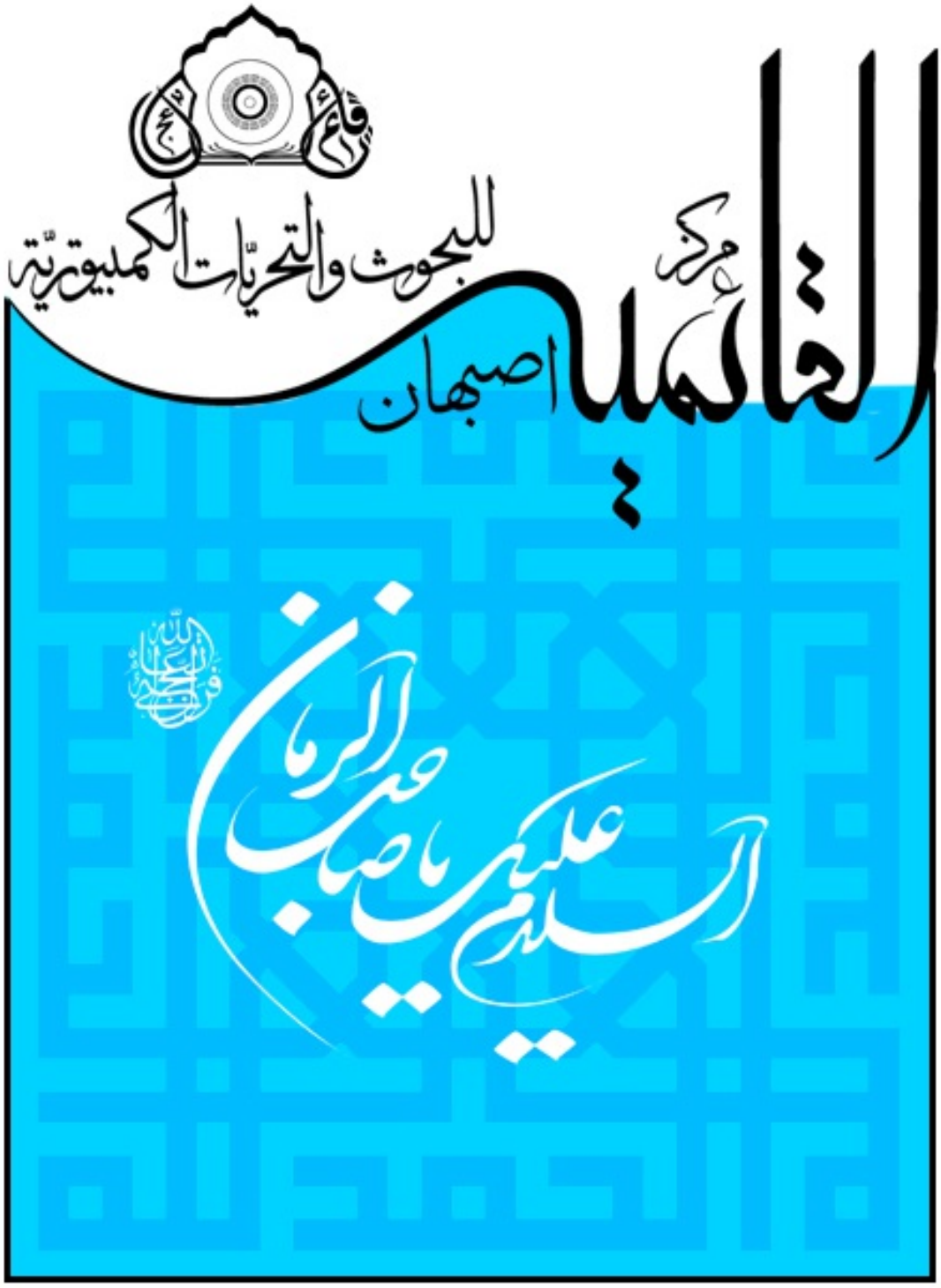

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

باقر شريف القرشي

حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

دراسة وتحليل

١

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الامام زين العابدين عليه السلام

كاتب:

باقر شريف قرشى

نشرت فى الطباعة:

دارالاضواء

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حیاة الامام زین العابدین(ع) المجلد ۱ ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
کلمة الناشر ----- ۱۸
الاهداء ----- ۱۹
تقدیم ----- ۱۹
السیدة شاه زنان ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
صفاتها النفسیة: ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الروایات فی زمن اقترانها: ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
أ- فی عهد عمر: ----- ۲۵
(ب) فی عهد عثمان: ----- ۲۶
(ج) فی خلافة أمیر المؤمنین: ----- ۲۶
التحقیق فی الروایات: ----- ۲۶
أقوال شاذة: ----- ۲۷
اسمها الشریف: ----- ۲۷
الرابطة المقدسة: ----- ۲۸
نعرة جاهلیة: ----- ۲۸
احتفاء الإمام علی بها: ----- ۳۰
عنایة الحسین بها: ----- ۳۰
إشادة المؤرخین بها: ----- ۳۱

اشارة ----- ۳۱
(أ) المبرد ----- ۳۱
(ب) ابن شدقم ----- ۳۱
(ج) الكنجي ----- ۳۱
الوليد العظيم ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۲
مراسيم الولادة ----- ۳۲
مكان الولادة: ----- ۳۲
الزمان: ----- ۳۲
تسميته: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
مع ابن تيمية: ----- ۳۴
كنيته: ----- ۳۴
ألقابه: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
۱- زين العابدين: ----- ۳۴
۲- سيد العابدين: ----- ۳۵
۳- ذو الثفنات: ----- ۳۵
۴- السجاد: ----- ۳۵
۵- الزكي: ----- ۳۵
۶- الأمين: ----- ۳۶
۷- ابن الخيرتين: ----- ۳۶
وفاة أمه: ----- ۳۶
مربيته: ----- ۳۷

صفاته الجسمیة: ۳۷
هیبته و وقاره: ۳۷
نقش خاتمه: ۳۷
نشأته و سلوکه ۳۸
اشارة ۳۸
نشأته: ۳۸
سلوکه: ۳۹
سیرته فی بیته: ۳۹
بره بمربیته: ۴۰
اشارة ۴۰
روایة موضوعة: ۴۰
مع أبویه ۴۰
دعاؤه لأبویه: ۴۱
مع ابنائه: ۴۳
وصایاه لأبنائه: ۴۳
دعاؤه لأبنائه: ۴۵
مع ممالیکه: ۴۷
مع جیرانه: ۴۷
اشارة ۴۷
دعاؤه لجیرانه: ۴۸
مع جلسائه: ۴۹
مع شیعته: ۵۰
اشارة ۵۰
روایة موضوعة: ۵۱

إلزامه للشيعة بالتقية ----- ۵۱
استغفاره لمذنبي شيعته: ----- ۵۲
مع أعدائه: ----- ۵۲
عناصره النفسية ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
الحلم: ----- ۵۳
الصبر: ----- ۵۵
العزة و الإباء: ----- ۵۶
الشجاعة: ----- ۵۷
التجرد من الأنانية: ----- ۵۷
الإحسان إلى الناس: ----- ۵۸
السخاء: ----- ۵۸
إطعام عام: ----- ۵۹
إعالته بمائة بيت: ----- ۵۹
حنوه على الفقراء: ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
أ- تكريمه للفقراء: ----- ۵۹
ب- عطفه على الفقراء: ----- ۵۹
نهيه عن رد السائل: ----- ۶۰
صدقاته: ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
أ- التصدق بثيابه: ----- ۶۱
ب- التصدق بما يحب: ----- ۶۱
ج- مقاسمة أمواله: ----- ۶۱

صدقاته فی السر: ۶۱
ابتغاؤه لمرضاة الله: ۶۲
الزهد فی الدنیا: ۶۳
مع الصوفیة: ۶۳
کراهته للهو: ۶۴
الإنابة إلی اللّه: ۶۴
صور رائعة من إنابته: ۶۵
اشارة ۶۵
۱- التجاؤه إلی اللّه ۶۵
۲- انقطاعه إلی اللّه: ۶۶
۳- طلبه الحوائج من اللّه ۶۶
۴- تضرعه إلی اللّه: ۶۷
۵- تذلّله أمام اللّه: ۶۸
إمامته ۶۹
اشارة ۶۹
معنی الإمامة: ۶۹
ضرورة الإمامة: ۷۰
النبی و الإمامة: ۷۰
سمو منزلة الأئمة: ۷۰
لزوم الرجوع إلی الأئمة: ۷۲
وجوب طاعة الإمام: ۷۲
عصمة الإمام: ۷۳
إمامته: ۷۳
اشارة ۷۳

النص على إمامته: ۷۴
الإمامة فی عصره: ۷۵
إمامة محمد بن الحنفیة: ۷۵
الإمام مع محمد بن الحنفیة: ۷۶
رجوع الکابلی إلی الحق: ۷۷
من دلائل امامته: ۷۸
اشارة ۷۸
۱- اخباره عن شهادة زید: ۷۸
۲- إخباره عن حکومة عمر بن عبد العزیز: ۷۹
۳- إخباره عن حکومة العباسیین: ۷۹
انطباعات عن شخصیته ۸۰
اشارة ۸۰
آراء معاصریه: ۸۰
اشارة ۸۰
۱- جابر الأنصاری: ۸۱
۲- عبد الله بن عباس: ۸۱
۳- الزهری: ۸۱
۴- سعید بن المسیب: ۸۲
۵- زید بن اسلم: ۸۳
۶- حماد بن زید: ۸۳
۷- یحیی بن سعید: ۸۳
۸- مالک: ۸۴
۹- أبو بکر بن البرقی: ۸۴
۱۰- أبو زرعة: ۸۴

۱۱- أبو حازم: ۸۴
۱۲- أبو حاتم الأعرج: ۸۴
۱۳- أبو حمزة الثمالی: ۸۴
۱۴- الإمام الصادق: ۸۴
۱۵- عمر بن عبد العزیز: ۸۵
۱۶- یزید بن معاویة: ۸۵
۱۷- عبد الملک بن مروان: ۸۶
۱۸- منصور الدوانیقی: ۸۶
۱۹- الفرزدق: ۸۶
۲۰- الحمیری: ۸۷
۲۱- ابن شهاب: ۸۷
۲۲- قال ابن زید: ۸۷
المؤرخون: ۸۷
اشارة ۸۷
۱- ابن عساکر: ۸۷
۲- ابن سعد: ۸۷
۳- ابن حجر العسقلانی: ۸۸
۴- ابن حجر الهیثمی: ۸۸
۵- الذهبی: ۸۸
۶- أبو الفتح: ۸۸
۷- أبو نعیم: ۸۸
۸- الیعقوبی: ۸۹
۹- الواقدی: ۸۹
۱۰- صفی الدین: ۸۹

۱۱- النووی: ۸۹
۱۲- عماد الدین: ۸۹
۱۳- ابن عنبة: ۹۰
۱۴- الشیخ المفید: ۹۰
۱۵- الجاحظ: ۹۰
۱۶- الشراوی: ۹۰
۱۷- القلیوبی: ۹۰
۱۸- ابن تیمیة: ۹۱
۱۹- الشیخانی: ۹۱
۲۰- ابن خلکان: ۹۱
۲۱- ابن شدقم: ۹۱
۲۲- المنوفی: ۹۱
۲۳- أبو الفتوح: ۹۱
۲۴- المناوی: ۹۲
۲۵- محمد بن طلحة: ۹۲
۲۶- محمد بن سعد: ۹۲
۲۷- السید عباس: ۹۲
۲۸- السید محسن: ۹۲
۲۹- النویری: ۹۳
۳۰- الشافعی: ۹۳
۳۱- علی بن عیسی الأربلی: ۹۳
۳۲- البستانی: ۹۴
۳۳- وجدی: ۹۴
۳۴- آغا بزرک: ۹۴

۳۵- ابن الجوزی: ۹۵
۳۶- تاج الدین: ۹۵
۳۷- عارف تامر: ۹۵
۳۸- الزرکلی: ۹۵
۳۹- أحمد محمود صبحی: ۹۵
۴۰- أحمد فهمی: ۹۶
۴۱- حسین علی محفوظ: ۹۶
نقاط مهمة: ۹۶
مع رزایا کربلاء ۹۷
اشارة ۹۷
علی صعید کربلاء: ۹۷
الإمام ینعی نفسه: ۹۸
یوم عاشوراء: ۹۹
خطبة الإمام: ۹۹
الحرب: ۱۰۱
مصارع الأبرار: ۱۰۲
استغاثة الإمام: ۱۰۲
مصرع الإمام العظیم: ۱۰۳
حرق الخیام: ۱۰۳
الهجوم علی زین العابدین: ۱۰۳
جزع الإمام زین العابدین: ۱۰۴
مواراته للجثث الطاهرة: ۱۰۴
سبایا أهل البیت فی الکوفة: ۱۰۵
خطاب الإمام زین العابدین: ۱۰۵

ورد الإمام علیهم هذا الولاء الکاذب قائلا: ۱۰۶
الطاغیة مع الإمام: ۱۰۶
اختطاف الإمام: ۱۰۷
سبایا آل البیت إلی دمشق: ۱۰۷
الشامی مع زین العابدین: ۱۰۸
الإمام فی مجلس یزید: ۱۰۸
خطاب الإمام زین العابدین: ۱۰۹
الإمام مع المنهال: ۱۱۱
اعتذار الطاغیة من الإمام: ۱۱۲
حبر یسأل عن الإمام: ۱۱۲
الإمام مع یزید: ۱۱۲
السفر إلی یثرب: ۱۱۳
نعی بشر للإمام: ۱۱۳
خطاب الإمام زین العابدین: ۱۱۴
حزن الإمام زین العابدین: ۱۱۵
وفاؤه لدیون أبیه: ۱۱۵
حنوه علی آل عقیل: ۱۱۶
إقامته فی یثرب: ۱۱۶
عباداته ۱۱۶
اشارة ۱۱۶
وضوؤه: ۱۱۷
صلاته: ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
تطیبه للصلاة: ۱۱۸

لباسه فی صلاته: ۱۱۸
خشوعه فی صلاته: ۱۱۸
صلاة الف رکعة: ۱۱۹
قضاؤه للنوافل: ۱۱۹
کثرة سجوده: ۱۲۰
کثرة تسبیحه: ۱۲۰
ملازمته لصلاة اللیل: ۱۲۰
دعاؤه بعد صلاة اللیل: ۱۲۰
ضعفه و ذبوله: ۱۲۴
اشارة ۱۲۴
۱- بعض أبنائه: ۱۲۴
۲- جابر الأنصاری: ۱۲۵
۳- عبد الملک: ۱۲۵
صومه: ۱۲۶
اشارة ۱۲۶
فی شهر رمضان: ۱۲۷
اشارة ۱۲۷
مبراته فی رمضان: ۱۳۰
اشارة ۱۳۰
أ- إطعام الطعام: ۱۳۰
ب- تحریره للعبید: ۱۳۰
دعاؤه فی السحر: ۱۳۱
دعاؤه فی وداع رمضان: ۱۳۳
اشارة ۱۳۳

۱- کرم اللّه: ۱۳۳
۲- عفو اللّه و عقابه: ۱۳۴
۳- قضاء اللّه: ۱۳۴
۴- شکره للشاکرین: ۱۳۴
۵- ستره علی العبد: ۱۳۴
فی یوم عید الفطر: ۱۳۸
حجه: ۱۴۰
اشارة ۱۴۰
حجه ماشیا: ۱۴۰
حجه راکبا: ۱۴۱
مرافقة القراء له: ۱۴۱
زاده إلی الحج: ۱۴۱
اضطرابه عند الأحرام: ۱۴۱
دعاؤه عند الحجر: ۱۴۲
صلاته تحت المیزاب: ۱۴۲
اشارة ۱۴۲
مع هشام بن عبد الملک: ۱۴۲
اشارة ۱۴۳
تشکیک أبی الفرج: ۱۴۵
اعتقال الفرزدق: ۱۴۶
مناجاته فی البیت الحرام: ۱۴۶
مع رجل یطوف بالکعبة: ۱۵۰
انکاره علی سائلین فی عرفة: ۱۵۰
تحریره للعبید فی عرفات: ۱۵۰

دعاؤه فی عرفات: ----- ۱۵۰

یوم عید الأضحی: ----- ۱۶۱

الفهرس ----- ۱۶۳

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۶۴

حياة الامام زين العابدين(ع) المجلد ۱

اشارة

نام كتاب: حياة الامام زين العابدين عليه السلام

نويسنده: باقر شريف قرشى

وفات: معاصر

تعداد جلد واقعى: ۲

زبان: عربى

موضوع: امام زين العابدين عليه السلام

ناشر: دار الاضواء

مكان نشر: بيروت

سال چاپ: ۱۴۰۹ ق

نوبت چاپ: اوّل

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(سورة آل عمران الآية ۳۳- ۳۴)

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

(سورة الأحزاب الآية ۳۳)

قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(سورة الشورى الآية ۱۵

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على محمّد سيّد المرسلين، و على آله الطاهرين.

للإسلام قادة، منهم من عرف بقوة سيفه و منهم من عرف بعمق فكره.

و تنوّعت أدوارهم على حسب العصر الذى كان يمرّ فيه.

فحياة الإمام زين العابدين عليه السلام كانت حافلة بالدروس الأخلاقية و كان مثالا للتقى مما يستوجب دراسة وافية حول حياة هذا الامام العظيم.

و تتمّة للمهمة التى بدأها سماحة العلّامة الجليل الشيخ باقر نجل المقدّس الشيخ شريف القرشى حول دراسة حياة الأئمّة عليهم السلام و التى سبق أن صدر منها حياة الإمام الحسن و حياة الإمام الحسين و حياة الإمام محمد الباقر عليهم السلام. تفخر دار الأضواء أن تقدّم للقرّاء هذا السفر العظيم حول حياة الإمام زين العابدين فى مجلدين تناول فيهم المؤلف حياة الامام بما حفلت و اشتملت عليه من أحداث.

نسأل اللّه التوفيق للمؤلف بإكمال هذه السلسلة و للدار المقدرة على إخراج هذه الجواهر لتصبح فى متناول جميع الناس العامى و

الخاص منهم و اللّه ولىّ التوفيق دار الأضواء

بيروت ۱/ ۹/ ۱۹۸۸ م ۲۰/ محرّم/ ۱۴۰۹ ه

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶

الاهداء

إلى ضمير الأمة الإسلامية، و رائد كرامتها و وعيها

إلى أبى الأحرار و سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ارفع- بخضوع و إجلال-

إلى مقامه الرفيع هذه الدراسة عن حياة ولده الإمام زين العابدين عليه السلام الذى هو ملء فم الدنيا فى فضائله و علومه و تقواه راجيا التفضل على بالقبول لأعده ذخرا يوم القى اللّه.

المؤلف

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷

تقديم

- ۱- و ليس فى تأريخ هذا الشرق- الذى هو مهد النبوات- من يضارع الإمام زين العابدين عليه السلام فى ورعه و تقواه، و شدة انابته إلى اللّه، اللهم إلا آباؤه الذين أضاءوا الحياة الفكرية بنور التوحيد، و واقع الإيمان.

لقد حكت سيرة هذا الإمام العظيم سيرة الأنبياء و المرسلين، و شابههم بجميع ذاتياتهم، و اتجاهاتهم، فهو كالمسيح عيسى بن مريم فى زهده، و إنابته إلى اللّه و كالنبى أيوب فى بلواه و صبره، و كالرسول محمد صلّى اللّه عليه و آله فى صدق عزيمته و سمو أخلاقه ... و لا تحد نزعاته الخيرة و أرصدته الروحية، و حسبه أنه وحده فى تأريخ هذه الدنيا، قد عرف بزين العابدين و لم يمنح لأحد هذا اللقب سواه.

- ۲- و برز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسى إسلامى عرفه التأريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة- و هو فى قيد المرض و أسر الأمويين- أن ينشر أهداف الثورة العظمى التى فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصيلة بأسلوب مشرق كان فى منتهى التقنين و الأصالة و الإبداع.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸

لقد قام هذا الإمام العظيم ببلورة الفكر العام، و إزاحة التخدير الاجتماعى الذى منيت به الأمة أيام الحكم الأموى الأسود الذى عمد إلى شل الحركة الثورية فى الإسلام، فأحال حياة المسلمين إلى اشلاء مبعثرة ما بها من حياة و إحساس لقد وضع هذا الإمام العبوات الناسفة فى أروقة السياسة الأموية ففجرت نصرهم المزعوم، و نسفت معالم زهوهم و جبروتهم، و أعادت للإسلام حياته و نضارته ... لقد حقق الإمام عليه السلام هذه الانتصارات الباهرة بخطبه الحماسية الرائعة التى ألقاها على الجماهير الحاشدة فى الكوفة، و فى دمشق، و فى يثرب، و التى كان لها الأثر البالغ فى إيقاظ الأمة و تحريرها من عوامل الخوف و الارهاب.

- ۳- لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل فى تخليد الثورة الحسينية، و تفاعلها مع عواطف المجتمع و أحاسيسه، و ذلك بمواقفه الرائعة التى لم يعرف لها التأريخ مثيلا فى دنيا الشجاعة و البطولات و كان من بينها أنه حينما حمل أسيرا إلى ابن مرجانة الذى هو أقذر ارهابى على وجه الأرض، فاستهان الإمام به، و نعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة و الإثم، و قابله الطاغية بالتهديد بالقتل، إلا- أن الإمام لم يعن به و سدد له السهام النافذة لقلبه ببليغ منطقه، و قد كان لحديثه معه صدى هامّ فى الأوساط الرسمية و غيرها من عامة الناس، و ظل يلقى الأضواء على معالم الثورة الحسينية، و يبث موجاتها على امتداد الزمن و التأريخ.

أما خطابه فی بلاط یزید فإنه من أروع الوثائق السیاسیة فی الإسلام، و لا أکاد أعرف خطابا سیاسیا أبلغ، و لا أشد تأثیرا منه فی إیقاظ الجماهیر و توعیة الرأی العام، فقد سد علی یزید کل نافذة یسلک منها للدفاع عن نفسه، و تبریر جریمته فی قتله لسید شباب أهل الجنة، و إبادته للعترة الطاهرة .. و أخذ الناس یتحدثون بإعجاب و إکبار عن خطاب الإمام الذی کان من ثمرات النهضة الحسینیة، و صفحة من صفحاتها المشرقة.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۹

-۴-

و کان من مظاهر تخلیده للثورة الحسینیة کثرة بکائه علی ما حل بأبیه و أهل بیته و أصحابه من أهوال یوم الطف، فقد حرم الإمام علی نفسه الفرح و السرور، و ذاب أسی و حزنا، و عد من البکائین الخمس الذین مثلوا الأسی علی امتداد التأریخ.

و فیما أحسب أن کثرة بکائه لیس من عظم ما منی به من الخطوب، و المصائب الجسام التی حلت به من فجائع کربلاء، و إنما کان تخلیدا لثورة أبیه التی کانت من أجل تحریر الإنسان من الظلم و العبودیة و الطغیان، و قد احدث بکاؤه علی أبیه لوعة فی نفوس المسلمین و لعل هذه الظاهرة جملة من العوامل التی حفزت الجماهیر الإسلامیة علی مناجزة الحکم الأموی، فقد انطلقت الشرارة الأولی من یثرب، فأعلن ابناء الصحابة عصیانهم المسلح علی حکومة یزید التی استهانت بقیم الأمة و مقدراتها.

- ۵- و اتجه الإمام الأعظم زین العابدین علیه السلام- بعد کارثة کربلا- صوب العلم لأنه وجد فیه خیر وسیلة لأداء رسالته الاصلاحیة، کما وجد فیه خیر ضمان لراحته النفسیة التی أذابتها کوارث کربلا، و قد هرع للانتهال من بحر علمه ابناء الصحابة، و العلماء و الفقهاء، فأخذ یغذیهم بعلومه و معارفه لیکونوا منارا للعلم و الأدب فی العالم الإسلامی، و یعرض هذا الکتاب إلی اعطاء صورة من تراجمهم.

لقد انبری الإمام علیه السلام إلی إنارة الفکر العربی و الإسلامی بشتی أنواع العلوم و المعارف، و قد دعا ناشئة المسلمین إلی الإقبال علی طلب العلم، و حثهم علیه، و قد مجّد طلابه، و أشاد بحملته، و قد نمت ببرکته الشجرة العلمیة المبارکة التی غرسها جده الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله، فأقبل الناس- بلهفة- علی طلب العلم و دراسته فکان حقا من ألمع المؤسسین للکیان العلمی و الحضاری فی دنیا الإسلام.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۱۰

-۶-

أما الثروات الفکریة و العلمیة التی أثرت عن الإمام زین العابدین علیه السلام فإنها تمثل الإبداع و الانطلاق و التطور، و لم تقتصر علی علم خاص، و إنما شملت الکثیر من العلوم کعلم الفقه و التفسیر و علم الکلام، و الفلسفة، و علوم التربیة و الاجتماع، و قد عنی بصورة خاصة بعلم الأخلاق، و اهتم به اهتماما بالغا، و یعود السبب فی ذلک إلی أنه رأی انهیار الأخلاق الإسلامیة، و ابتعاد الناس عن دینهم من جراء الحکم الأموی الذی حمل معول الهدم علی جمیع القیم الأخلاقیة فانبری علیه السلام إلی اصلاح المجتمع و تهذیب اخلاقه، و تقول عنه الشیعة: إنه حین استسلم الناس لشهواتهم تابعین لملوکهم جعل الإمام یداوی النفوس المریضة بالصرخات الأخلاقیة و الآیات السامیة «۱».

لقد عالج الإمام علیه السلام بصورة موضوعیة و شاملة القضایا التربویة و الأخلاقیة، و بحوثه فی هذا المجال من انفس البحوث الإسلامیة و أدقها فی هذا الفن.

- ۷- و لعل من أجمل تلک الثروات بل من أهمها و أکثرها عطاء فی تنمیة الفکر الإسلامی هی أدعیته الجلیلة التی عرفت بالصحیفة السجادیة، و التی اسماها العلماء تارة بزبور آل محمد (ص)، و أخری بإنجیل آل محمد (ص) وعدوها بعد القرآن الکریم، و نهج البلاغة فی الأهمیة و هی- بحق- منهج متکامل للحیاة الإسلامیة الرفیعة، و ذلک بما حوته من معالم الاخلاق، و قواعد الاجتماع ... و

من الجدير بالذكر أنها احتلت المكانة المرموقة عند الأوساط العلمية الإمامية فعكفوا على دراستها و شرحها، و قد تجاوزت شروحها أكثر من خمسة و ستين شرحا «۲»، كما أن من مظاهر اهتمامهم بها أنهم كتبوا نسخا منها

---

(۱) نظرية الإمامة (ص: ۳۵۰).

(۲) الذريعة فى تصانيف الشيعة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱

بخطوط جميلة تعد من أنفس الخطوط العربية، كما زخرفت بعضها بالزخرفة الثمينة التى هى من أنفس الذخائر فى الخطوط العربية.

- ۸- و نعود مرة أخرى للحديث عن الصحيفة السجادية فنقول: إن أهميتها لم تقتصر على العالم العربى و الإسلامى، و إنما تعدت إلى العالم الغربى فقد ترجمت إلى اللغة الإنكليزية و الألمانية و الفرنسية، و أقبل علماء تلك الأمم و الشعوب على دراستها، و الامعان فى محتوياتها، و قد وجدوا فيها كنزا من كنوز الفكر و العلم، كما وجدوها تفيض بالعطاء لتربية النفس و تهذيبها بمكارم الأخلاق .. و من الحق أنها اضافت إلى ذخائر الفكر الإنسانى ثروة لا- تطاول، و لن تثمن و أنها قد حوت من الوان الثقافة العالية ما ندر وجوده فى الكتب الدينية و الاخلاقية، كما أنها من أهم المصادر فى دراستنا عن شخصية الإمام (ع).

- ۹- أما مثل الإمام زين العابدين عليه السلام و عناصره النفسية فهى مما تبهر العقول و تدعو إلى الاعتزاز و الفخر لكل مسلم بل لكل إنسان يدين لإنسانيته، و يخضع لمثلها و قيمها.

لقد تحلى هذا الإمام العظيم بكل أدب، و تزين بكل فضيلة و شرف، و تجرد من كل أنانية، و ابتعد ابتعادا مطلقا عن جميع زخارف الحياة، و مباهجها، و كان من ألمع نزعاته الانابة إلى اللّه، و الانقطاع إليه، فقد شاعت فى عقله و قلبه و جسمه محبة اللّه و الخوف منه، و أشرقت نفسه بنور اليقين باللّه، و امتلأت ذاته رجاء و أملا برحمة اللّه ... و كان فيما اجمع عليه المؤرخون قد اجهد نفسه أى اجهاد على العبادة و الطاعة، و حملها من أمره رهقا.

و لم ير الناس فى عصره من هو أعبد، و لا من هو أتقى منه، و نظرا لكثرة عبادته فقد لقب بسيد الساجدين، و زين العابدين و إمام المتقين.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲

- ۱۰-

و أشفق عليه أهله من كثرة عبادته، و خافوا عليه ما يعانيه من المشقة و الإعياء فخفوا مسرعين إلى الصحابى العظيم جابر بن عبد الله الانصارى، و كان عنده أثيرا، و طلبوا منه أن يلتمس منه فى أن لا يجهد نفسه فى العبادة فكلمه جابر و طلب منه ذلك برجاء، و كان مما قاله له: أنه بقية النبوة، و بقية اللّه فى الأرض، و أنه ممن يستدفع به البلاء، إلا أن الإمام عليه السلام أصر على ما ذهب إليه من الدأب على العبادة، و ملازمة الطاعة، فانطلق جابر يقول بإعجاب:

«ما رؤى فى أولاد الأنبياء مثل على بن الحسين ...».

حقا إنه لم ير فى أولاد الأنبياء مثل على بن الحسين فى زهده و تقواه، و شدة إنابته للّه.

- ۱۱- و ظاهرة أخرى من المثل العليا التى اتصف بها الإمام عليه السلام هو أنه كان كثير البر و الإحسان بالعبيد، و كان يشفق عليهم كثيرا، و كان من أهم ما يصبو إليه فى حياته تحريرهم من الرق و العبودية، و قد اعتق مجموعة كبيرة منهم، و لو وجد مجالا لما أبقى رقا و لعل السبب فى ذلك هو القضاء على الرقية و على استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، و تعريف المسلمين بواقع دينهم العظيم الذى جاء لتحرير الإنسان و انقاذه من الذل و العبودية، و تحريره فكريا و جسديا من جميع ألوان التبعية.

- ۱۲- و من الحق أن يقال: إن هذا الإمام الملهم العظيم ليس لطائفة خاصة من الناس، و لا لفرقة معينة من الفرق الإسلامية دون

غيرهـا، و إنمـا هو للناس جميعا على اختلاف عصورهم، بل و على اختلاف أفكارهم و ميولهم و اتجاهاتهم، فإنه سـلام اللّه عليه يمثل القيم الإنسانية و الكرامة الإنسانية، و يمثل كل ما يعتز به هذا الإنسان من الكمال و الآداب، و سمو الأخلاق.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳

و نظرا لسـمو شخصـيته العظيمـة، و ما له من الأهميـة البالغة فى نفوس المسـلمين فقد سارعت كثير من الفرق الإسـلامية إلى القول بأنه منها، فالمعتزلـة التى تعـد من أكثر الفرق الإسـلامية تخصـصا فى البحوث الكلامية، قد عدوه- باعتزاز و شـرف- منهم «۱» واحدا. كما ادعت الصوفية أنه من أعلامهم، و ترجموا له فى موسوعاتهم «۲».

- ۱۳- و كان المسلمون يرون فى سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام تجسيدا حيا لقيم الإسلام و امتدادا مشرقا لجده الرسول الأعظم (ص)، فهو يحكيه فى منهجه و سيرته و مـآثره و قـد ملـك القلوب و العواطف بأخلاقه الرفيعـة، و كـانوا لا- يرون غيره أهلا لقيادتهم الروحية و الزمنية، و كانوا يزدرون بملوكهم الأمويين الذين لم تتوفر فيهم أية نزعة من نزعات الفضـيلة، و قد دلل على ذلك ما حدث فى البيت الحرام فى موسم الحـج، و كـان مزدحمـا بـالوفود من كـل حـدب و صوب، فأطل عليهم الإمام ليطوف بالبيت، و كأنما أطل عليهم النبى (ص)، فصعّدوا تهليلهم و تكبيرهم و ازدحموا عليه كازدحامهم على الحجر الأسود فكان السـعيد منهم من يلمس ثيابه أو يقبل يديه، أو يأخذ التراب من تحت أقدامه للتبرك به، فى حين أن خصـمه هشام بن عبد الملك عميد الأسـرة الأموية كان من جملة الحجيـج، الا- أنه لم يعن به أى أحـد، و قـد خف إليه أهـل الشام يسألونه عن هـذا الرجل العظيم الـذى قابله الجمهور بهـذه الحفاوة و التكريم، فـأنكر الطاغيـة معرفته لئلا- يزهـد فيه أهـل الشـام، فانبرى شاعر البلاد الأموى الفرزدق، و عرفه للجماهير برائعته الخالـدة التى مثلت وعى الفكر و يقظـة الضـمير، و قـد استحال البيت الحرام إلى سوق عكـاظ، و تعالت من جميع جنبات المسـجد الهتافات بإعادة لرائعة الفرزدق و الدعاء له، و قد تميز هشام غيضا، و انتفخت أوداجه.

---

(۱) طبقات المعتزلة (ص ۱۵- ۱۶).

(۲) حلية الأولياء ۳/ ۱۷۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴

لقـد كان الأمويون يشـعرون بـدخالتهم على هـذه الأمة، و أنهم ليسوا أهلا لقيادتها، و إنما فرضوا سـلطانهم عليها بقوة السـلاح، و إنما معـدن الحكم و القيادة للإمام على بن الحسين، فلـذلك كانوا يحقـدون عليه، و قـد أدلى الوليـد بـذلك قال: «لا راحـة لى و على بن الحسـين موجود فى دار الدنيا ...» «۱» و قـد عمـدوا إلى اغتياله كما اغتالوا غيره من أئمة المسـلمين، و أعلام الإسـلام من الذين كانوا يشكلون خطرا عليهم.

- ۱۴- و كان لا بد فى هذه الدراسة أن «تعنى بدراسة العصـر الذى نشأ فيه الإمام (ع) فإن دراسة العصـر اصبحت من الشؤون المنهجية التى لا غنى للباحث عنها، فهى تمثل الاستقرار السياسى أو الاضطراب السياسى، كما تصور الحياة الاجتماعية بما فيها من إبداع و تقدم أو جمود و انحطـاط، و من الطبيعى أن البحث عن هـذه الظاهرة مما له الـدخل المباشـر فى الكشف عن شـئون الشخصـية التى تتناولها الدراسة و البحث.

أما عصـر الإمام عليه السـلام- فإنه فيما أحسب- من أسوأ العصور الإسـلامية على امتـداد التأريـخ، فقـد حـدثت فيه كثير من الأحداث الجسام التى ابتلى بها المسـلمون، و أخلـدت لهم المحن و الخطوب، و كان من أقساها و أفجعها، و أشدها هولا مأساة كربلا، التى هى من أفجع القضايا العالميـة، فقـد انتهكت فيها حرمـة النبى (ص)، فى ذريته، و أهل بيته، و لم ترع له فيهم أيـة حرمـة، و قد شاهد الإمام (ع) بأسـى بالغ جميع مآسـى تلك الكارثـة الخالدة فى دنيا الأحزان فكانت فصولها المؤلمة تلاحقه فى كل ساعة من حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى، و من بين الأحداث المفجعة التى عاناها الإمام عليه السلام واقعة الحرة التى انتهكت فيها حرمة النبى (ص) فى مدينته و

مركز دعوته، فقد استباحتها جلاوزة يزيد بن معاوية فاقترفوا فيها كل ما حرمه اللّه من إثم و حرام و سحقوا جميع القيم و الأعراف ... و مضافا لذلك ثورة التوابين و ثورة القائد

---

(۱) حياة الإمام محمد الباقر ۱/ ۵۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵

الملهم العظيم المختار بن يوسف، و هذه الثورات- التي سنتحدث عنها في غضون هذا الكتاب- إنما كانت امتدادا لثورة أبي الشهداء عليه السلام.

و من الأحداث البارزة في ذلك العصر ثورة ابن الزبير التي كانت وليدة للأطماع السياسية، فلم يكن ابن الزبير- فيما اعتقد- قد ثار من أجل تحرير الأمة، و انقاذها من عنف الأمويين و بطشهم و إنما ثار ليأخذ الملك من أيديهم، و ينفرد بالملك و السلطان و يتلذذ بخيرات البلاد، و غطرسة الحكم، فما كان مثل هذا الإنسان ممن يعنى بصالح الأمة، و استقلالها و كرامتها.

- ۱۵- و ثمة مشكلة أخرى في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام، و هي تصارع الأحزاب السياسية، و تهالكها على الظفر بالحكم، و الفوز بالسلطة، و قد اغرقت البلاد بالمحن و الخطوب، و من المؤكد أن الأحزاب السياسية القائمة في ذلك العصر لم تنشد أي هدف من أهداف الأمة، و لم تسع لمعالجة أي قضية من قضاياها المصيرية، و إنما كانت تسعى وراء اطماعها، و مصالحها المادية ... و كان من أبرز تلك الأحزاب الحزب الأموي الذي تدعمه الدولة، و تسانده بجميع طاقاتها و كان يضم الزعماء و الطبقة المترفة في البلاد، و من بين تلك الأحزاب الحزب الزبيري، و هو يضم الكثير من أبناء الحجاز، الذين كانوا يسعون إلى أن ترجع لهم عاصمة الدولة الإسلامية، و ينفردون بالحكم ... و من بين تلك الأحزاب حزب الخوارج و هو حزب ثوري كان ناقما على حصر السلطة بالقرشيين، إلا أن ذلك الحزب قد مني بالجمود و الانحطاط الفكري، فقد اختلطت عليه الأمور فانساب في متاهات سحيقة من الضلال معتقدا عن غباوة و جهل أنها الحق، و من غبائه أنه نصب العداء للإمام أمير المؤمنين رائد الحق و العدالة الاجتماعية في الأرض، كما استباح إراقة دماء المسلمين من الذين لا يؤمنون بفكرتهم و سوف نتحدث عن هذه الأحزاب عند البحث عن الحياة السياسية في عصر الإمام.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۶

-۱۶-

و من الأحداث الجسام في عصر الإمام عليه السلام هو ما عمدت إليه السلطة الأموية من فرضهم سب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و العترة الطاهرة على المنابر و المآذن و خطب الجمعة، و جعل بغضهم جزءا من الحياة الدينية للمسلمين، بالإضافة إلى مطاردتهم لشيعة أهل البيت (ع) تحت كل حجر و مدر، و إشاعة القتل و التنكيل فيهم، و قد امتحنت الشيعة في عهدهم كأشد ما يكون الامتحان، و كان ذلك بمرأى و مسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام، و هو لم يتمكن من حمايتهم و انقاذهم مما هم فيه، و كان ذلك من أشق الآلام و أشدها عليه.

- ۱۷- و لا بد لنا من اعطاء صورة متميزة عن سيرة الملوك الذين حكموا الأمة في عصر الإمام عليه السلام، و ذكر اتجاهاتهم السياسية و الفكرية و ما جرى للإمام (ع) معهم فإن ذلك- فيما احسب- من متممات البحث عن شخصيته العظيمة.

و إنا إذ نذكر شئون أولئك الملوك فإنا لا نتعصب و لا نتحيز لأية جهة كما لا نقسو بالحكم على أي أحد منهم، و إنما نعرض لما أثر عنهم من الأحداث المؤسفة، التي وضعتهم أمام محكمة التأريخ، و من الطبيعي أن حملهم على الصحة، و التبرير لأعمالهم، إنما هو شطط على المنطق، و تمرد على الأدلة، و بعد عن الصواب، و انحراف عن الحق.

- ۱۸- أما دراستنا في هذا الكتاب فإنها تعتمد على أوثق المصادر المخطوطة و المصورة و المطبوعة التي هي علوم المؤرخين و

الرواة، و من الجدير بالذكر أن أكثر الأحداث و الصور التى نرسمها لا- نكتفى فى ذكر مصدر واحد لها بل ننقلها من عدة مصادر ليكون ذلك آكد، و أدل على المقصود.

و قد بذلت جهدا شاقا و عسيرا فى مراجعة المخطوطات و المصورات

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷

التى اقتبسنا منها هذه البحوث، و قد اشرت فى هامش الكتاب إلى الخزانة التى توجد فيها.

- ۱۹- و إنى إذ أسير فى نهاية هذا التقديم أعلن- بصورة جازمة- أنى لم استوعب فى هذا الكتاب- على ما فيه من جهل و تتبع- إلا أقل القليل من حياة هذا الإمام العظيم الذى هو ملء فم الدنيا فى فضائله و علومه، فإنى لم أفتش فى كتب الأخلاق و الحديث و التفسير و الفقه و غيرها من سائر العلوم الإسلامية إلا وجدت له كلمة ذهبية أو رأيا أصيلا أو حديثا ممتعا، فاذن لم يكن هذا الكتاب- على ما فيه من سعة و شمول- إلا صفحة موجزة عن حياته أو مؤشرا خافتا على بعض معالم حياته و شخصيته.

لقد كررت نفس هذه المقالة أو ما يشبهها فى كثير من مقدمات الكتب التى الفتها عن حياة الأئمة الطاهرين و لم يكن ذلك- يعلم اللّه- عن غلو فى الحب لهم أو اندفاع لعاطفة الوراثة لآبائى الذين هاموا بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، و إنما كان ذلك ناشئا عن دراسة جادة، و تتبع دقيق لحياتهم، و من المؤكد أن من يقرأ سيرتهم يؤمن إيمانا لا يخامره أدنى شك بأنهم سلام اللّه عليهم يمثلون سيرة الأنبياء فى إشراقها و سموها، و أنهم المثل الأعلى لكمالات العقل الإنسانى و الأنموذج الفريد لكل ما يعتز به هذا الإنسان من القيم و الآداب.

- ۲۰- و لا بد لنا من الإشارة إلى أن نشر أمثال هذه البحوث من سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، لا غنى لنا عنها، فإنا نعيش فى عصر تعيش فيه الإنسانية فى مستنقع آسن، و فى درك هابط، و فى ظلام بهيم، قد انحرفت عن سنن الكون، و شذت عن الفطرة الأصيلة التى فطرها اللّه عليها، و قد واجهت الطغيان و الاضطهاد و البغى، و التهديد و التشريد.

إن البشرية تعيش قلقة حائرة سادرة فى متاهات المادة، و جحيم

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸

الحروب، و جفاف الأرواح و القلوب، و انها فى حاجة إلى أن تستنشق نسائم الحياة الكريمة من هدى العترة الطاهرة الذين هم نفحة من رحمات اللّه التى تفضل بها على عباده، و هم كجدهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله الذى بعثه اللّه رحمة للبشرية لمن آمن به، و من لم يؤمن به على حد سواء.

- ۲۱- و إنى إذ اقفل هذا التقديم أرى من الحق على أن أشير إلى الجهد الخلاق الذى اضفاه على أخى سماحة الحجة الشيخ هادى شريف القرشى فى تأليفى لهذا الكتاب، فقد عانى الكثير من المتاعب فى مراجعة بعض الموسوعات و غيرها مما استفدته منه مضافا إلى كثير من ملاحظاته القيمة التى أسداها على فى هذه البحوث، و انى- يعلم اللّه- لعاجز عن تقديم ما يستحقه هذا الأخ الوفى من جزيل الشكر، و لكنى أوكل ذلك إلى اللّه تعالى، فهو الذى يتولى جزاءه، و يثيبه على ذلك كما يثيب المخلصين من عباده.

النجف الأشرف باقر شريف القرشى

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹

السيدة شاه زنان

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱

نحن بين يدى سيدة كريمة من سيدات نساء المسلمين عفة و شرفا و طهارة، و هى السيدة الجليلة «شاه زنان» سليلة الملوك، و أم الإمام زين العابدين عليه السلام، و تحتل هذه السيدة الجليلة المكانة المرموقة فى عالم المرأة المسلمة، فقد كانت من سيدات نساء عصرها بل و فى الطليعة من سيدات نساء المسلمين، و قد تحلت بأوسمة شريفة كان من بينها:

أ- نسبها الوضاح فهى حفيدة كسرى الملك العادل، و مفخرة ملوك الشرق الذى يقول فيه النبى (ص)- باعتزاز- ولدت فى زمن الملك العادل كسرى.

ب- إنها زوجة أبى الأحرار و سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

ج- إنها أم الإمام زين العابدين و سيد الساجدين عليه السلام.

د- إنها جدة الأئمة الطاهرين من نسل الإمام زين العابدين (ع).

ه- إنها الرابطة المقدسة بين العرب و الفرس.

و قد اكسبتها هذه الجهات شرفا إلى شرفها، و مجدا إلى مجدها.

صفاتها النفسية:

اشارة

أما صفاتها النفسية فكان البارز منها العفة، و الطهارة، و الكمال، و سمو الآداب وحدة الذكاء، و نظرا لما توفرت فيها من النزعات الخيرة، و الصفات الشريفة، فقد بادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى زواجها من ولده الإمام الحسين عليه السلام، كما عهد إليه بالإحسان إليها، و البر

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲

بها ... و نعرض- بإيجاز- إلى بعض شئونها حسبما نصت عليه المصادر التى فى أيدينا.

الروايات فى زمن اقترانها:

اشارة

و تضاربت الروايات فى الزمن الذى تم فيه اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام، و فيما يلى تلك الروايات:

أ- فى عهد عمر:

روى الكلينى بسنده عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

لما أقدمت بنت يزدجر على عمر أشرف لها عذارى المدينة، و أشرق المسجد بضوئها، فلما نظر إليها عمر غطت وجهها و قالت: «ا ف بيروج بادا هرمز».

و معنى ذلك فى اللغة العربية: اسود يوم هرمز إذا صارت بناته سبايا، فقال عمر: أ تشتمنى هذه؟ و همّ بها، فقال له أمير المؤمنين: ليس لك ذلك خيرها رجلا من المسلمين، و احسبها بفيئه فخيرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين «۱» و يقرب من هذه الرواية ما ذكره بعض المؤرخين من أن ليزدجر ابنتين وقعتا فى الأسر فى عهد عمر فأخذهما الإمام أمير المؤمنين فدفع واحدة منهما إلى الإمام الحسين فولدت له الإمام زين العابدين، و دفع الأخرى إلى محمد بن أبى بكر فولدت له القاسم «۲» و ذكر ابن خلكان مثل

ذلك إلا أنه زاد عليه انهن كن ثلاثا فدفع الثالثة إلى عبد الله بن عمر «۳».

(ب) فى عهد عثمان:

روى الصدوق أن عبد الله بن عامر لما فتح خراسان أيام عثمان أصاب ابنتى يزدجر فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما إلى الحسن، و الأخرى للحسين، و أنهما توفيتا فى حال نفاسيهما «۴».

---

(۱) أصول الكافى ۱/ ۴۶۷، دلائل الإمامة (ص ۲۷۰).

(۲) شذرات الذهب ۱/ ۱۰۴، نزهة المجالس ۲/ ۱۹۲، زهرة المقول (ص ۶).

(۳) وفيات الأعيان ۲/ ۴۲۹.

(۴) عيون الأخبار و فنون الآثار (ص ۱۴۳)، روضة الواعظين ۱/ ۱۳۷، تحفة الراغب (ص ۱۳) اعلام الورى (ص ۱۵۱)، الارشاد.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳

(ج) فى خلافة أمير المؤمنين:

روى جمع من المؤرخين و الرواة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما ولى الخلافة أرسل حريث بن جابر واليا على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتى يزدجر بن شهريار فنحل شاه زنان إلى ولده الإمام الحسين (ع) فولدت له الإمام زين العابدين (ع)، و نحل الأخرى إلى محمد بن أبى بكر فولدت له القاسم، الفقيه المشهور.

هذه هى الروايات التى ذكرت فى زمن زواجها بالإمام سيد الشهداء عليه السلام و من الجدير بالذكر أن الروايتين الأخيرتين لم تصرحا بسبى السيدة شاه زنان مع شقيقتها، و إنما صرحتا بإرسالهما إلى الخليفة، نعم الرواية الأولى صريحة بسبيهما.

التحقيق فى الروايات:

و لا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر فى هذه الروايات المتضاربة، و الذى نراه بمزيد من التأمل أن الرواية الأولى بعيدة عن الصحة، و ذلك لما يلى:

أولا:- إن يزدجر كان حيا طيلة خلافة عمر و توفى بعد وفاته، و قد قتل فى مرو سنة (۳۰ ه) و ذلك فى السنة السادسة من خلافة عثمان و أكبر الظن أن شاه زنان مع شقيقتها قد اختفيتا بعد مقتل أبيهما حتى خلافة الإمام أمير المؤمنين فلما ولى حريث بن جابر على تلك المنطقة ظفر بهما، و بعث بهما إلى الإمام (ع).

ثانيا:- أن مما يؤكد عدم صحة الرواية الأولى هو ما رواه أبو حنيفة أنه لما جيء بابنة يزدجر إلى الإمام أمير المؤمنين، قال (ع) لها:

«اختارى من شئت من المسلمين ...».

فأجابته عن وعى و سمو قصد:

«إنى أريد رأسا لا رأس عليه ...».

و دل ذلك على مدى وعى هذه الأميرة، و ردّ عليها الإمام بلطف قائلا:

«إن عليا شيخ كبير ...».

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴

و معنى ذلك أن الإمام عليه السلام لا رغبة له فى النساء لأنه شيخ كبير يضاف إلى ذلك انشغاله بالشؤون العامة التى أحاطت به.

و اصرت الأميرة على ما ذهبت إليه قائلة:

«قد كلمتك بالجملة ...»

و انبرى بعض الدهاقين من الفرس فطلب من الإمام أن يزوجها منه، فرده الإمام قائلا:

«ذاك إليها إن شاءت رفضت، و إن شاءت قبلت ...».

إنه ليس للإمام عليها سلطان فى أمر زواجها، و إنما ذلك يتبع إلى رغباتها النفسية، و ليس لأحد أن يجبرها على ما يريد، و امتنعت السيدة من أجابته «۱» و من المظنون قويا أنها السيدة (شاه زنان)، و أن زمان زواجها قد تم فى عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثالثا: أن الرواية الثالثة أشهر من الروايتين المتقدمتين، و الشهرة من مرجحات الرواية حسبما يرى ذلك أكثر الفقهاء، و قد ذهب المحقق المقرم إليها.

أقوال شاذة:

ذكر بعض المؤرخين أقوالا شاذة فيما يتعلق بنسب السيدة (شاه زنان) و هى:

(أ) إنها من بلاد السند «۲».

(ب) أنها من سبى كابل «۳».

---

(۱) الأخبار الطوال.

(۲) مرآة الجنان ۱/ ۱۹۰، النجوم الزاهرة ۱/ ۲۲۹، المنمق فى أخبار قريش (ص ۴۳۷).

(۳) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵

و هذان القولان قد خالفا ما اجمع عليه الرواة و المؤرخون من أنها ابنة يزدجر ملك الفرس، و قد شاع ذلك حتى فى عصر الإمام، و عرفه الناس جميعا، و فى ذلك يقول ابو الأسود الدؤلى المعاصر للإمام:

و أن وليدا بين كسرى و هاشملأكرم من نيطت عليه التمائم

هو النور نور اللّه موضع سرهو منبع ينبوع الإمامة عالم «۱» و قد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك بقوله: «أنا ابن الخيرتين» و قد أشار عليه السلام بذلك إلى الحديث النبوى المستفيض «للّه تعالى من عباده خيرتان: فخيرته من العرب قريش، و من العجم فارس ...» «۲» و قال بعض المؤرخين: أن على بن الحسين جمع بين النبوة و الملك من ناحية أجداده.

اسمها الشريف:

و عرفت السيدة أم الإمام عليه السلام بشاه زنان، و هذا ليس اسما لها، و إنما هو لقب لها، و معناه فى اللغة العربية ملكة النساء أو سيدة النساء «۳»، أما اسمها الشريف فقد اختلف فيه المؤرخون، و فيما يلى بعض اقوالهم:

۱- سلامة «۴».

۲- سلافة «۵».

۳- غزالة «۶».

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۱۶۶.

(۲) وفيات الأعيان ۲/ ۴۲۹، الأئمة الاثنا عشر لابن طولون (ص ۷۵).

(۳) نور الأبصار للشبلنجيّ (ص ۱۲۶).

(۴) أصول الكافى ۱/ ۴۶۶، تهذيب الكمال م ۷/ ق ۲ مصور فى مكتبة السيد الحكيم، سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۷، الطبقات لخليفة خياط (ص ۲۳۸) الأسامى و الكنى للنيسابورى.

(۵) تاريخ الإسلام للذهبى ۲/ ورقة ۴۶ مصور فى مكتبة السيد الحكيم، الإمامة فى الإسلام (ص ۱۱۶) أنساب الأشراف (ص ۱۰۲) دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۵ نور الأبصار (ص ۱۳۶) الكامل ۲/ ۴۶۴.

(۶) صفة الصفوة ۲/ ۵۲، شذرات الذهب ۱/ ۱۰۴ سر السلسلة العلوية (ص ۳۱) نهاية الارب ۲۱/ ۳۲۴ خلاصة الذهب المسبوك (ص ۸).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶

۴- سلمة «۱».

۵- سادرة «۲».

۶- شهربانويه «۳».

هذه بعض الأقوال التى ذكرت فى اسمها أما التحقيق فى أن أى واحد منها هو الصحيح فلن يعنينا ذلك إذ ليس فيه فائدة تعود إلى القراء.

الرابطة المقدسة:

لقد كانت السيدة شاه زنان الرابطة المقدسة بين العرب و الفرس، فقد تفرع منها زين العابدين الذى هو ابن الخيرتين، و أبو الذرية الطاهرة التى امدت العالم العربى و الإسلامى بجميع عوامل الوعى، و الشرف و النهوض، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل: «و زين العابدين رباط قوى بيننا نحن العرب، و بين فارس، ثم هو رباط قوى ما بين الناس جميعا، و كأنه أحد الأسباب القوية التى ساقها القدير اللطيف ليمحو الفرقة و يعز الألفة، و يقرب بين الناس» «۴» لقد كانت هذه الرابطة من أقوى الروابط و أكثرها عائدة على العرب و الفرس فقد أشاعت بينهما المحبة و المودة و الألفة.

نعرة جاهلية:

و هدم الإسلام جميع الحواجز الجاهلية التى تفرق المسلمين، و تشل وحدتهم، و التى منها امتناع العربى من الزواج بغير العربية، و ذلك حفظا على الدم العربى، و على الأنساب العربية، و من المحقق أن هذه الظاهرة مما توجب تفككك المسلمين، و تصدع شملهم، فإن الاسلام بكل اعتزاز و فخر- قد طرح هذه الأنانيات الفارغة، و العناوين الجوفاء، و نادى بشرف النفس،

---

(۱) الأئمة الاثنى عشر (ص ۷۵).

(۲) الاتحاف بحب الأشراف (ص ۴۹).

(۳) روضة الواعظين ۱/ ۲۳۷، عيون المعجزات مخطوط (ص ۳۱) غاية الاختصار (ص ۱۵۵).

(۴) زين العابدين (ص ۷).

و جمال الروح، فقال النبى (ص): إن أكرمكم عند اللّه اتقاكم. لقد بين الإسلام بصورة إيجابية المساواة العادلة بين المسلمين، فحطم الفوارق الطبقية، و سائر العنصريات، فقد زوج رسول اللّه (ص)، قريبته زينب بنت جحش، و هى من سيدات بنى هاشم من مولاه زيد بن حارثة، و قد اراد (ص) بذلك أن تتخذ الجماعة المسلمة درسا منه، و تسير على ضوء هذا الطريق الواضح المستقيم و قد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام على ضوء هذا المنهج الرسالى فحاربوا العنصرية، و قاوموا الامتيازات الجاهلية فتزوجوا بالإماء بعد عتقهن، أو قبل عتقهن بالملك، و كان لذلك الأثر البالغ فى نفوس العرب، فقد تراجعوا عن نظرتهم الجاهلية، و يقول المؤرخون أنه عند ما تزوج الإمام الحسين عليه السلام بالسيدة شاه زنان، و انجبت منه علم الهدى الإمام زين العابدين (ع)، و رأى العرب كماله و سمو ذاته هرعت قريش على اتخاذ امهات الأولاد «۱» و من الطريف ما روى المبرد عن رجل من قريش كانت أمه أمة، قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لى يوما:

«من أخوالك؟ ...».

«أمى فتاة» «۲».

و نقص الرجل فى عين سعيد، و انحط شأنه إلا أن الرجل كان ذكيا، و انتظر فترة حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر، و هو من المع شخصيات قريش و كانت أمه أمة، و تعاطى معه الحديث فلما خرج بادر الرجل قائلا:

«يا عم من هذا؟».

فثار سعيد، و صاح بالرجل قائلا:

«يا سبحان اللّه!! أ تجهل مثل هذا من قومك، هذا سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ..».

و انبرى الرجل قائلا:

---

(۱) تأريخ دمشق.

(۲) الفتاة: مؤنث الفتى تجمع على فتيات و فتوات.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸

من أمه؟».

«فتاة».

و أقبل عليه القاسم بن محمد بن أبى بكر، و كانت أمه فتاة، و دار بينهما حديث فلما انصرف من عنده سأله مثل السؤال الأول فأجابه سعيد بمثل جوابه السالف، ثم دخل عليه الإمام زين العابدين و سيد الساجدين فقابله سعيد باحتفاء و تكريم، فلما خرج من عنده، قال له الرجل:

«يا عم من هذا؟».

فرد عليه سعيد بتأثر قائلا:

«هذا الذى لا يسع لكل مسلم أن يجهله، هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب ...».

«و سارع الرجل قائلا:

«من أمه؟».

فتاة ...»

و انبرى الرجل قائلا:

«يا عم رأيتنى نقصت فى عينك حين قلت لك: أمى فتاة فما لى أسوة بهؤلاء؟».

و التفت سعيد إلى خطئه، و راح يكبر الرجل، و يعتنى به «۱».

إن هـذه الظـاهرة المنحطـة التى كـانت سائـدة فى ذلك العصـر إنما هى من مخلفات العصـر الجاهلى المتخلف فكريا و اجتماعيا، فأى نقص على الرجل فى أن تكون أمه رومية أو فارسية أو غيرهما يقول الشاعر:

لا تشمتن امرأ فى أن تكون لهأم من الروم أو سوداء عجماء

فإنما أمهات القوم أوعيةمستودعات و للأحساب آباء إن الذى يرفع من شأن الإنسان إنما اعماله الحسنة، و خدماته لأمته

---

(۱) الكامل للمبرد ۲/ ۴۶۲، نزهة الجليس ۲/ ۲۳، الأئمة الاثنا عشر (ص ۷۶).

و بلاده،. و سـمو ذاته، و إن كانت أمه سوداء عجماء، و إذا كانت اعماله سـيئة، و ذاته منحطة فإنه وضـيع، و إن كان سيدا قرشيا، و قد قرر ذلك و أكده الإسلام العظيم الذى لا يعنى إلا بالأعمال فهى المقياس عنده فى الرفع و الخفض.

احتفاء الإمام على بها:

و احتفى الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام بالسـيدة شاه زنان، و ذلك لعلمه بإيمانها و وفور عقلها، و قد أثرت عنه مجموعة من الأخبار التى تشيد بفضلها، كان منها ما يلى:

(أ) أنه اوصى ولده الإمام الحسين بالبر بها و الإحسان إليها قائلا:

و احسن إلى شهر بانويه، فإنها مرضية ستلد لك خير أهل الأرض بعدك.» «۱».

(ب) أنه أخبر أهله بأنها ستكون الأم الطاهرة للأئمة الطاهرين قال عليه السلام: «و هى أم الأوصياء، الذرية الطاهرة» «۲».

لقد تفرع من هذه السيدة الكريمة الأئمة الطاهرون الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

لقد اعتنى الإمام أمير المؤمنين بالسـيدة شاه زنان، فقد وجد عندها طاقات من الفضل و الكمال، و الأدب، و قد سألها عليه السلام فقال لها:

«ما حفظت من أبيك بعد وقعة الفيل؟ ...».

فأجابته بهذه الكلمة الذهبية التى تنم عن سعة فكر أبيها، و خبرته بشئون الحياة:

«إنه كان يقول: إذا غلب اللّه على أمر ذلت المطامع دونه، و إذا انقضت المدة كان الحتف فى الحيلة ...».

و بهر الإمام من هذه الكلمة الحكيمة التى حكت واقع الحياة فراح يبدى

---

(۱) عيون المعجزات مخطوط فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين، اثبات الهداة ۵/ ۱۴،

(۲) بصائر الدرجات (ص ۹۶) اثبات الهداة ۵/ ۲۱۴، ناسخ التواريخ ۱/ ۱۳.

اعجابه بها قائلا: «ما احسن ما قال أبوك! تذلّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف فى التدبير ...» «۱».

إن كل شـىء فى هـذا الوجود خاضع لمشـيئة اللّه و إرادته، و إن اللّه تعالى هو القاهر و الغالب و أن الإنسان مهما اعتمـد على الوسائل الوثيقة و المحكمة التى يتخيل أنها تدرأ الأخطار عنه فإنها لا تجديه شيئا لأنها قد تنقلب عليه فيكون بها حتفه و نهايته.

عناية الحسين بها:

و أحاط الإمام الحسين عليه السلام زوجته السيدة شاه زنان بهالة من العناية و التكريم، و قدمها على بقية نسائه، و قد وجدت هذه السيدة في كنف الإمام و تحت ظلاله من الاحتفاء و التكريم ما أنساها ما كانت فيه من الترف و النعيم أيام ملك أبيها، و قد غذاها الإمام بتعاليم الإسلام، و روحانيته، حتى زهدت بما كانت فيه من الملك و السلطان، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل:

«و علمها الحسين عليه السلام من تعاليم الإسلام ما أنساها قصور المدائن و مروج كابل ...» «۲».

إشادة المؤرخين بها:

اشارة

و أشاد بعض المؤرخين بهذه السيدة الكريمة، و فيما يلي ما قالوه:

(أ) المبرد

و أدلى المبرد في حق هذه السيدة الجليلة بقوله: «كانت شاه زنان من خيرة النساء ...» «۳».

حقا لقد كانت شاه زنان من سيدات النساء في عفتها، و وفور عقلها و سمو آدابها.

---

(۱) الإرشاد (ص ۱۶۰) البحار ۴۶/ ۱۱- ۱۲.

(۲) زين العابدين (ص ۱۶).

(۳) الكامل ۲/ ۴۶۲.

(ب) ابن شدقم

قال ابن شدقم: «كانت شاه زنان ذات فضل كثير ...» «۱».

(ج) الكنجي.

قال الإمام الحافظ محمد بن يوسف الكنجي: «لقد جعل اللّه تبارك و تعالى الأئمة المهديين من نسل الحسين من بنت كسرى دون سائر زوجاته ..» «۲»، لقد منح اللّه هذه السيدة الكريمة بالطافه و عنايته فقد حباها بالفضل العظيم بأن جعلها أما كريمة للإمام زين العابدين و جدة طيبة زكية للأئمة الطاهرين الذين رفعوا كلمة اللّه عالية في الأرض ... و بهذا ينتهي بنا الحديث في شئون هذه السيدة الجليلة.

---

(۱) زهرة المقول (ص ۱۶).

(۲) كفاية الطالب (ص ۴۵۴).

الوليد العظيم

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۵

و أشرقت الدنيا بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام الذى فجر ينابيع العلم و الحكمة فى الأرض، و قدم للناس بسيرته أروع الأمثلة و الدروس فى نكران الذات، و التجرد عن الدنيا، و الانقطاع إلى اللّه.

و قد استقبلت الأسرة النبوية بمزيد من الأفراح و المسرات هذا الوليد المبارك الذى بشر به النبى صلّى اللّه عليه و آله، و قد شملت الابتهاجات جميع من يتصل بأهل البيت من الصحابة و أبنائهم، و قد ولد- فيما يقول بعض المؤرخين- ضعيفا نحيفا، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل: «لقد ولد ضعيفا نحيفا تلوح فى نظراته و مضات خافتة، و كأنها و مضات هم منطفئ، و ما لبثت هذه الومضات المكسورة ان دلت فإنما تدل على حزن قادم يوشك أن يقع ...» «۱» لقد رافقته الخطوب و صاحبته الآلام منذ ولادته فقد اختطفت يد المنون أمه الزكية، و هو فى المهد، و تتابعت عليه المحن بعد ذلك يتبع بعضها بعضا، فلم يبتل أى إنسان بمثل ما ابتلى به هذا الإمام العظيم.

مراسيم الولادة

و سارع الإمام أمير المؤمنين (ع) أو ولده الإمام الحسين (ع) إلى إجراء

---

(۱) الإمام زين العابدين (ص ۱۸).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶

مراسيم الولادة الشرعية على الوليد المبارك فأذن فى أذنه اليمنى و أقام فى اليسرى، و قد أقام بذلك فى قلبه معبدا ينبض بأحاسيس التقوى و الصلاح، فكانت نغما حيا يسيره نحو البر و العمل الصالح.

إن أول ما استقبل به الإمام زين العابدين فى هذه الحياة، هو صوت «اللّه أكبر» و قد طبع فى قلبه و مشاعره، و صار فى ذاتياته و مقوماته و فى اليوم السابع من ولادته عق عنه أبوه بكبش، و حلق رأسه، و تصدق بزنته فضة أو ذهبا على المساكين عملا بالسنة الإسلامية المقدسة.

مكان الولادة:

و اختلف المؤرخون فى المكان الذى حظى بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام، و فيما يلى ما ذكروه.

(أ) انه ولد فى الكوفة «۱».

(ب) كانت ولادته فى يثرب «۲».

و الذى أراه أن ولادته كانت فى الكوفة، و ذلك لما اجمع عليه الرواة و المؤرخون أنه ولد قبل وفاة جده أمير المؤمنين (ع) بسنتين «۳» و من المقطوع به أن الإمام الحسين و أفراد عائلته كانوا مع الإمام أمير المؤمنين فى الكوفة، و لم يقم أى أحد منهم فى يثرب طيلة خلافته.

الزمان:

و تضاربت أقوال المؤرخين فى الزمان الذى كانت فيه ولادة الإمام،

(۱) شذرات الذهب (۱/ ۱۰۴).

(۲) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۱۸۷) بحر الأنساب (ورقة ۵۲) مصور فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين، دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۵، الإمامة فى الإسلام (ص ۱۱۶) نور الأبصار (ص ۱۳۶).

(۳) أخبار الدول (ص ۱۰۹) نور الأبصار (ص ۱۳۶) مطالب السئول ۲/ ۴۱ تأريخ الأئمة لابن ابى الثلج (ص ۴) دائرة المعارف ۹/ ۳۵۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷

و فيما يلى ما ذكروه:

(أ) ولد فى اليوم الخامس من شعبان سنة (۳۸ ه) «۱» و ذلك فى يوم الخميس «۲».

(ب) ولد فى يوم الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة (۳۸ ه) «۳».

(ج) ولد فى النصف من جمادى الأولى سنة (۳۸ ه) «۴».

(د) ولد يوم الجمعة ۲۶ جمادى الآخرة سنة (۳۸ ه) «۵».

(ه) ولد فى شهور سنة (۳۳ ه) «۶» و هذا القول شاذ و مخالف لما اجمع عليه الرواة و المؤرخون من أن ولادته كانت سنة (۳۸ ه).

و المشهور عند الإمامية هو القول الأول، فإنهم يقيمون مهرجاناتهم العامة احياء لذكرى ولادته فى اليوم الخامس من شعبان.

تسميته:

اشارة

الشىء المحقق الذى اجمع عليه المؤرخون و الرواة هو أن الرسول الأعظم (ص) قد سمى حفيده بعلى بن الحسين، و لقبه بزين العابدين، و ذلك قبل أن يخلق بعشرات السنين، و كان ذلك من العلامات الباهرة لنبوته ...

و قد تضافرت الأخبار بنقل ذلك عنه، و هذه بعضها ...

۱- روى الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى قال كنت جالسا عند رسول اللّه (ص) و الحسين فى حجره، و هو يد عبه، فقال (ص) يا جابر يولد له مولود اسمه (على) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين،

(۱) تحفة الراغب (ص ۱۳) مطالب السئول ۲/ ۴۱ الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۲۱۲ كشف) الغمة.

(۲) الصراط السوى (ورقة ۱۹۲) مصور فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين، مطالب السئول ۲/ ۴۱ نور الأبصار (ص ۱۳۶).

(۳) روضة الواعظين ۱/ ۲۲۲.

(۴) بحر الأنساب (ورقة ۵۲).

(۵) الإمامة فى الإسلام (ص ۱۱۶).

(۶) النفحة العنبرية مصور فى مكتبة السيد الحكم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸

فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن ادركته يا جابر فأقرئه منى السلام .. «۱».

و أذاع جابر هذا الحديث كما أنه أدرك الإمام محمد الباقر عليه السلام و بلغه هذه التحية من جده الرسول (ص) فتلقاها الإمام بمزيد من الغبطة و السرور.

۲- روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن الزبير قال: كنا عند جابر فدخل عليه على بن الحسين، فقال له جابر: كنت عند رسول اللّه (ص) فدخل عليه الحسين فضمه إليه، و قبله، و اقعده إلى جنبه، ثم قال (ص): يولد لابن هذا ابن يقال له: على بن الحسين إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو «۲».

۳- روى سعيد بن المسيب عن ابن عباس ان رسول اللّه (ص) قال:

إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين؟ فكأنى انظر إلى ولدى على بن الحسين يخطر بين الصفوف ... «۳» هذه بعض النصوص التى أثرت عن النبى (ص) فى تسميته لحفيده بعلى و منحه بلقب زين العابدين، كما فيها الإشادة بأهميته و مكانته عند اللّه تعالى.

مع ابن تيمية:

و أنكر ابن تيمية تسمية النبى (ص) لولده على بهذا الاسم، و قال:

هذا شيء لا أصل له، و لم يروه أحد من أهل العلم «۴». و قد اغمض ابن تيمية عينيه عما ذكره الحفاظ و اعلام المؤرخين و الرواة فى ذلك .. و لكن الرجل قد منى بالانحراف عن الحق فأعلن العداء لأهل البيت عليهم السلام الذين الزم اللّه بمودتهم، و جعلهم الرسول (ص) سفن النجاة و أمن العباد، و قد تنكر لكل فضيلة من فضائلهم، و جحد كل ما يرويه الحفاظ من مآثرهم.

---

(۱) وسيلة المآل فى مناقب الآل (ورقة ۷) مصور فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(۲) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۴۲ مصور فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(۳) علل الشرائع (ص ۸۷) البحار ۴۶/ ۳.

(۴) منهاج السنة ۲/ ۱۲۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۹

كنيته:

و كنى الإمام زين العابدين عليه السلام بما يلى:

(أ) أبو الحسين.

(ب) أبو الحسن.

(ج) أبو محمد «۱».

(د) أبو عبد الله «۲».

ألقابه:

اشارة

أما القابه الشريفة فهى تحكى نزعاته الخيرة، و ما اتصف به من محاسن الصفات و مكارم الأخلاق، و عظيم الطاعة و العبادة للّه، و هذه بعضها:

۱- زين العابدين:

و أضفى عليه هذا اللقب جده رسول اللّه (ص)- كما تقدم- و إنما لقب به لكثرة عبادته «۳» و قد عرف بهذا اللقب، و اشتهر به، حتى صار اسما له، و لم يلقب به أحد سواه، و حقا أنه كان زينا لكل عابد و فخرا لكل من أطاع اللّه

۲- سيد العابدين:

من القابه البارزة (سيد العابدين) و ذلك ما ظهر منه من الانقياد و الطاعة للّه، فلم يؤثر عن أى أحد من العبادة مثل ما أثر منه عدا جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(۱) تهذيب اللغات و الأسماء القسم الأول (ص ۳۴۳) نور الأبصار ۱۳۷ صفة الصفوة ۲/ ۵۲، تحفة الراغب ص ۱۳.

(۲) تهذيب الكمال م ۷/ ق ۲ ورقة ۳۳۴ مصور فى مكتبة السيد الحكيم سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۷، تأريخ الإسلام ۲/ ۶۶، تأريخ دمشق ۳۶/ ورقة ۱۴۲ مصور فى مكتبة الإمام امير المؤمنين.

(۳) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۶، شذرات الذهب ۱/ ۱۰۴ و جاء فيه «سمى زين العابدين لفرط عبادته».

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۰

۳- ذو الثفنات:

لقب بذلك لما ظهر على اعضاء سجوده من شبه ثفنات البعير «۱» و قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان لأبى فى مواضع سجوده آثار ناتئة، و كان يقطعها فى السنة مرتين: فى كل مرة خمس ثفنات فسمى ذو الثفنات لذلك «۲» و فى رواية أنه جمع الثفنات فى كيس و أوصى أن تدفن معه.

۴- السجاد:

من القابه الشريفة التى اشتهر بها «السجاد» «۳» و ذلك لكثرة سجوده فقد كان من أكثر الناس سجودا للّه تعالى و طاعة له، و حدث الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام عن كثرة سجود أبيه قال: إن على بن الحسين ما ذكر للّه عزّ و جلّ نعمة عليه إلا سجد، و لا قرأ أية من كتاب اللّه عزّ و جلّ فيها سجود إلا سجد، و لا دفع اللّه عنه سوء يخشاه إلا سجد و لا فرغ من صلاة مفروضة الا سجد، و كان أثر السجود فى جميع مواضع سجوده فسمى السجاد لذلك «۴» و نظم ابن حماد كثرة سجود الإمام و عبادته بهذه الأبيات الرقيقة:

و راهب أهل البيت كان و لم يزليلقب بالسجاد حين تعبده

يقضى بطول الصوم طول نهارهمنيبا و يقضى ليله بتهجده

فأين به من علمه و وفائهو أين به من نسكه و تعبده «۵»

۵- الزكى:

لقب بالزكى لأن اللّه زكاه و طهره من كل دنس كما زكى آباءه الذين أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

---

(۱) صبح الأعشى ۱/ ۴۵۲، بحر الأنساب ورقة ۲۵، تحفة الراغب (ص ۱۳) الأضداد فى كلام العرب ۱/ ۱۲۹، ثمار القلوب (ص ۲۹۱) و جاء فيه كان يقال لكل من على بن الحسين، و على بن عبد الله بن العباس ذو الثفنات لما على اعضاء السجود منهما من السجادات

الشبيهة بثفنات الابل و ذلك لكثرة صلاتهما.

(۲) علل الشرائع (ص ۸۸) بحار الأنوار ۴۶/ ۶ وسائل الشيعة ۴/ ۹۷۷.

(۳) علل الشرائع (ص ۸۸).

(۴) وسائل الشيعة ۴/ ۹۷۷ علل الشرائع (ص ۸۸).

(۵) المناقب.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۱

۶- الأمين:

من القابه الشريفة التي عرف بها (الأمين) «۱» فقد كان المثل الأعلى لهذه الصفة الكريمة، و قد قال (ع): (لو أن قاتل أبي أودع عندي السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه).

۷- ابن الخيرتين:

من القابه التي اشتهر بها (ابن الخيرتين) و كان يعتز بهذا اللقب و يقول: أنا ابن الخيرتين، إشارة لقول جده رسول اللّه (ص): «للّه تعالى من عباده خيرتان، فخيرته من العرب هاشم و من العجم فارس» «۲» و نسب الشبراوي إليه هذه الأبيات التي ذكر فيها اعتزازه بهذا اللقب:

خيرة اللّه من الخلق أبيبعد جدي و أنا ابن الخيرتين

فضة قد صيغت من ذهبفأنا الفضة ابن الذهبين

من له جد كجدي في الوريأو كأبي و أنا ابن القمرين

فاطمة الزهراء أمي و أبيقاصم الكفر ببدر و حنين

و له في يوم أحد وقعةشفت الغل بعض العسكرين «۳» و أكبر الظن أن هذه الأبيات ليست للإمام زين العابدين، و إنما قيلت على لسان أبيه كما هي صريحة في ذلك.

هذه بعض القابه، و ذكرت له القاب اخرى «۴»، و هي تنم عما اتصف به من الصفات الرفيعة و النزعات العظيمة.

وفاة أمه:

و أول نكبة داهمته و هو في المرحلة الأولى من طفولته وفاة أمه، فقد

---

(۱) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۱۸۷) بحر الأنساب (ورقة ۵۲) نور الأبصار (ص ۱۳۷).

(۲) الكامل للمبرد ۱/ ۲۲۲ وفيات الأعيان ۲/ ۴۲۹.

(۳) الأتحاف بحب الأشراف (ص ۴۹)- و في صدر البيت الثاني- كما لا يخفى- زحاف.

(۴) ناسخ التواريخ.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۲

اصابتها بعد ولادتها حمى النفاس، و ضلت ملازمة لها، و قد اجتهد الإمام الحسين (ع) في أن يطفئ عنها و قدة الحمى و جذوتها فلم يستطع، و اشتد بها الحال، و فتك بها المرض فتكا ذريعا و ذبلت نضارتها، و عادت كأنها جثمان فارقته الحياة، و كانت تلقى نظرات

مشفوعة بالالم و الحسرات على طفلها الرقيق الذى لم ينتهل من نمير عطفها و حنانها.

و اشتدت بها الحمى، و انتابتها الام مبرحة، و بقيت أياما تعانى من شدة الأسقام حتى صعدت روحها إلى السماء كأسمى روح صعدت إلى اللّه «۱» و قد انطوت بموتها صفحة ناصعة من صفحات الفضيلة و العفة و الحياء، و كل ما تعتز به المرأة من أدب و كمال ... و قد رزئت الأسرة النبوية بوفاة هذه السيدة الجليلة التى كانت تمثل الشرف و الفضيلة، و قد جرى لها تشييع حاشد ضم الإمام الحسين و خيار المسلمين و جماهير كثيرة من المسلمين، و قد وارى جثمانها الشريف فى الكوفة و قد تألم الإمام الحسين لفقد هذه السيدة التى عاشت بينهم أياما كأيام الزهور فلم يطل منها العهد.

لقد نكب الإمام زين العابدين عليه السلام بوالدته و هو فى أول مرحلة من مراحل طفولته، و كان ذلك ايذانا لتتابع المحن و الخطوب عليه التى لم تجر على أى إنسان سواه.

مربيته:

و عهد الإمام الحسين عليه السلام إلى سيدة زكية من أمهات اولاده بالقيام بحضانة ولده زين العابدين و رضاعته و رعايته، و قد عنيت به هذه المرأة الصالحة كأشد ما تكون العناية، فكانت ترعاه كما ترعى الأم الرءوم فلذة كبدها، و قد درج الإمام فى جو من الكتمان الشديد، فلم يخبره أحد بموت أمه الا بعد أن كبر لئلا يحترق قلبه و يقلق باله «۲».

---

(۱) اثبات الوصية للمسعودى (ص ۱۴۳) الإمام زين العابدين (ص ۱۸).

(۲) الإمام زين العابدين (ص ۱۹).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳

صفاته الجسمية:

أما صفاته و ملامحه الجسمية فقد ذكر المؤرخون أنه كان اسمر قصيرا نحيفا «۱» و رقيقا «۲»، و كان كلما تقدمت به السن ازداد ضعفا و ذبولا، و ذلك لكثرة عبادته، و قد اغرقته فى الأحزان و الآلام مذبحة كربلاء، فقد ضلت اهوالها تلاحقه حتى لحق بالرفيق الأعلى.

هيبته و وقاره:

أما هيبته فتعنو لها الوجوه و الجباه، فكانت تعلو على اسارير وجهه أنوار الأنبياء، و هيبة الأوصياء، و وصف شاعر العرب الأكبر الفرزدق فى رائعته هيبة الإمام بقوله:

يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضى حياء و يغضى من مهابتهفلا يكلم الا حين يبتسم و يقول الشيخانى القادرى: و كان لا تشبع من رؤية صباحة وجهه عين الناظر «۳» لقد كانت هيبته تحكى هيبة جده الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله، و قد بهر بها المجرم السفاح مسلم بن عقبة الذى استهان بجميع القيم و المقدرات فحينما رأى الإمام ارتعدت فرائصه، و قابله بمزيد من العناية و التكريم و قال لمن حوله: إن على زين العابدين سيماء الأنبياء.

نقش خاتمه:

أما نقش خاتمه فقد كان يحكى مدى انقطاعه و اتصاله باللّه، فقد نقش عليه «وَ ما تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ» «۴» و قيل كان نقش خاتمه،

«علمت فاعمل» «۵».

---

(۱) نور الأبصار (ص ۳۶).

(۲) أخبار الدول، ص ۱۰۹، الصراط السوى فى مناقب آل النبى (ص ۱۹۲) من مصورات مكتبة الإمام امير المؤمنين.

(۳) الصراط السوى فى مناقب آل النبى ص ۱۹۲.

(۴) الفصول المهمة (ص ۱۸۷) لابن الصباغ، اخبار الدول ص ۱۰۹) الصراط السوى (ورقة ۱۹۲).

(۵) عيون الأخبار لابن قتيبة ۱/ ۳۰۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵

نشأته و سلوكه

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۷

لقد توفرت للإمام زين العابدين عليه السلام جميع المكونات التربوية الرفيعة التى لم يظفر بها أحد سواه، و قد عملت على تكوينه، و بناء شخصيته بصورة متميزة جعلته فى الرعيل الأول من أئمة المسلمين الذين منحهم الرسول (ص) ثقته، و جعلهم قادة لأمته، و أمناء على اداء رسالته ... لقد تجسدت فى نشأة الإمام و سلوكه جميع عناصر الخير و الفضيلة و الكمال، و نعرض- بإيجاز- إلى هاتين الظاهرتين من مناحى حياته:

نشأته:

نشأ الإمام زين العابدين فى بيت النبوة و الإمامة ذلك البيت الذى أذن اللّه أن يرفع و يذكر فيه اسمه، و فى المرحلة الأولى من طفولته كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتعاهده، و يفضى عليه أشعة من روحه التى طبق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد- بحق- صورة صادقة عن جده يحاكيه و يضاهيه فى عناصره، و مكوناته النفسية.

أما الفترة التى عاشها الإمام زين العابدين فى كنف جده فقد كانت قصيرة جدا، و قد حددها المؤرخون بسنتين، و هى من أثقل السنين التى مرت على الإمام أمير المؤمنين فقد طافت به الأزمات، و تفاقمت عليه الأحداث بصورة رهيبة و مذهلة، و كان من أشدها و أثقلها عليه أن جيشه الذى كان يقاتل

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۸

باطل معاوية قد منى بالهزيمة و التمرد و العصيان، و قد راح يعج بالدعاء و الابتهال إلى اللّه أن ينقله إلى جواره، و ينقذه من ذلك المجتمع الغوغائى الذى لم يع اهدافه، و قد استجاب اللّه دعاءه فانبعث له اشقى الأولين و الآخرين الإرهابى المجرم عبد الرحمن بن ملجم فاغتاله و هو فى بيت من بيوت اللّه، و كان قائما يصلى لربه، و فى الساعات الأخيرة من حياته احتف به أهل بيته و ابناؤه، و كان من بينهم الإمام زين العابدين، فعهد بالإمامة إلى ولديه الحسن و الحسين، و نص على إمامة حفيده الطفل زين العابدين، و أبلغه تحيات النبى (ص) و تحياته إلى ولده محمد الباقر عملاق هذه الأمة، و رائد نهضتها الفكرية و العلمية.

و ممن تولى تربية الإمام زين العابدين عمه الزكى الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة، و ريحانة رسول اللّه (ص) و سبطه الأول، فقد كان يغدق عليه بعطفه و حنانه، و يغرس فى نفسه مثله العظيمة و نزعاته الفذة، و ظل ملازما له حتى أشرف على ميعة الشباب، و قد

انطبعت فی أسارير نفسه، و دخائل ذاته سيرة عمه بطل الفكر و الاصلاح فی الإسلام و كان ممن تولی تربية الإمام زين العابدين والده أبو الأحرار و سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فقد رأی فيه امتدادا ذاتيا و مشرقا لروحانية النبوة و مثل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته و عنايته، و قد سكب فی نفسه قيمه و طاقاته النديۀ، و قد قدمه علی بقيۀ ابنائه، و صاحبه فی أكثر أوقاته، و يقول المؤرخون: إن زين العابدين قد مرض فخف إليه الإمام الحسين مسرعا لعيادته، و راح يمنّيه قائلا:

«ما تشتهی يا بنی؟ ...».

فأجابه جواب من أناب إلی اللّه و انقطع إليه:

«اشتهی أن أكون ممن لا يقترح علی اللّه ربی ما يدبره لی ...».

و بهر الإمام الحسين من هذه الكلمات المشرقۀ التی دلت علی عظيم المعرفۀ و عمق الإيمان، و انبری قائلا بإعجاب:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۴۹

«أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل حيث قال جبرائيل له: هل من حاجۀ؟ فقال: لا أقترح علی ربی، بل حسبی اللّه و نعم الوكيل!!!» «۱».

حقا لقد ضاهی زين العابدين إبراهيم خليل اللّه فی عظيم إيمانه، و شدۀ إنابته، و انقطاعه إلی اللّه.

لقد كان الإمام عليه السلام بحكم تربيته و نشأته المثل الأعلی لكل ما يعتز به الإنسان من سمو الكمال، و قيم الأخلاق.

سلوكه:

أما سلوك الإمام زين العابدين فكان كسلوك آبائه مصدر إشعاع و هداية إلی الناس، و كان يتحری فی سلوكه السير علی منهج جده الإمام أمير المؤمنين (ع) و الاقتداء بسيرته و هديه، و يقول الرواۀ: إنه كان يمعن فی قراءۀ سيرۀ جده حينما تجهده العبادۀ فيتنفس تنفس الصعداء، و يقول بحسرات:

«اين عبادتی من عبادۀ جدی أمير المؤمنين؟ ..».

لقد كان يحمل فی سريرته روح جده الإمام أمير المؤمنين، و سيد العارفين فسار علی منهاجه، و اقتدی به فی جميع مناحی سلوكه، و نتحدث عن بعض مظاهر هذه الناحيۀ من حياته.

سيرته فی بيته:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرأف الناس و أبرهم و أرحمهم بأهل بيته، و كان لا يتميز عليهم، بل كان كأحدهم، و أثر عنه أنه قال: لأن أدخل السوق و معی دراهم ابتاع بها لعيالی لحما، و قد قرموا «۲» أحب إلی من أن اعتق نسمۀ «۳» و كان يبكر فی خروجه صبحا لطلب الرزق لعياله، فقيل

---

(۱) البحار ۴۶/ ۶۶ دعوات قطب الراوندی مخطوط بمكتبۀ الإمام أمير المؤمنين.

(۲) قرموا: أی اشتد شوقهم إلی اللحم.

(۳) البحار ۴۶/ ۶۷.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۵۰

له: إلی أين تذهب؟ فقال: اتصدق لعيالی من طلب الحلال، فإنه من اللّه عز و جل صدقۀ عليهم «۱». و كان يعين أهله فی حوائجهم البيتيۀ، و لا يأمر أحدا منهم فيما يرجع إلی أی شأن من شئونه الخاصۀ، كما كان يتولی بنفسه خدمۀ نفسه خصوصا فيما يرجع إلی شئون عبادته فإنه لم يكد يستعين بها أو يعهد إلی أحد فی قضائها.

لقد سار الإمام فى بيته سيرة لم ير الناس مثلها فقد تمثلت فيها الرحمة و التعاون و الرأفة، و نكران الذات.

بره بمربيته:

اشارة

و بعد أن كبر الإمام زين العابدين عليه السلام علم بموت أمه، و أدرك أن ما أسدته إليه هذه المربية الصالحة من ألوان البر و الإحسان إنما كان خدمة له و تقربا إلى اللّه، فقابل (ع) ذلك المعروف بكل ما تمكن عليه من أنواع الإحسان و قد بلغ من جميل بره بها أنه امتنع أن يواكلها فلامه الناس، و أخذوا يسألونه بالحاح قائلين:

«أنت أبر الناس، و أوصلهم رحما فلما ذا لا تؤاكل أمك؟ ...».

فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه و كماله قائلا:

«أخشى أن تسبق يدى إلى ما سبقت عينها إليها «۲» فأكون قد عققتها ...» «۳».

أية إنسانية تضارع هذه الإنسانية؟ و أى نفس ملائكية هذه النّفس؟

و حسبه أنه ابن الحسين الذى ملأ الدنيا بشرفه و كماله.

رواية موضوعة:

ذكر ابن كثير رواية لا أساس لها من الصحة، فقد روى أن الإمام زين

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۶۷.

(۲) شذرات الذهب ۱/ ۱۰۵ الكامل للمبرد ۱/ ۳۰۲.

(۳) عيون الأخبار لابن قتيبة ۳/ ۹۷.

العابدين زوج أمه من مولى له، و اعتقد أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه فى ذلك فكتب إليه «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً، و قد اعتق صفية فتزوجها، و زوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش» «۱».

أما صدر هذه الرواية دون ذيلها فهو مفتعل، و الذى يدلل عليه ما يلى:

أولا: إن السيدة أم الإمام توفيت فى نفاسها، و قد ذكر ذلك جمهور المؤرخين و الرواة، و قد المحنا فيما تقدم إلى مصادر ذلك فى هامش الكتاب.

ثانيا: أن الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام صرح بذلك فى حديثه مع سهل بن القاسم النوشجانى، فقد قال له: إنها- أى أم الإمام على بن الحسين- ماتت فى نفاسها فكفله بعض امهات ولد أبيه فسماها الناس أمه، و إنما هى مولاته، و زعموا أنه زوج أمه، و معاذ اللّه ذلك، و إنما زوج هذه، قال سهل: و لم يبق طالب بخراسان إلا كتب هذه عن الرضا «۲».

إن مصدر هذه الرواية لا أساس له من الصحة مطلقا، و أما عتق الإمام لبعض مملوكاته و زواجه بها فأمر يتفق مع روح الإسلام و هديه، و لا مانع منه.

مع أبويه

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بأبيه و مربيته، فقد خفض لهما جناح المودة و الرحمة، و لم تبق مبرة و لا خدمة إلا قدمها لهما، و بلغ من عظيم بره لأبيه أنه طلب من عمته زينب بطلة كربلا- في يوم الطف أن تزوده بالعصى ليتوكأ عليها، و بالسيف ليذب به عن أبيه في حين أن المرض قد فتك به فلم يتمكن أن يخطو خطوة واحدة على الأرض إلا أن عمته صدته

---

(۱) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۸.

(۲) عيون اخبار الرضا (ص ۲۷۰).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۵۲

عن ذلك لئلا تنقطع ذرية النبي (ص) فأي مبرة مثل هذه المبرة؟ و من خدماته لأبيه أنه قام بعد شهادته بتسديد ما عليه من الديون الضخمة التي كان قد أنفقها على البؤساء و المحرومين ... فمن مبراته لأبويه دعاؤه لهما.

دعاؤه لأبويه:

أما دعاء الإمام زين العابدين (ع) لأبويه فهو من المع القواعد في التربية الإسلامية الهادفة إلى إصلاح الأسرة و سعادتها، و شيوع المحبة و الاحترام بين أفرادها و من الطبيعي أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع بأسره، و إذا فسدت فسد المجتمع كذلك، لأنها الخلية الأولى في بناء المجتمع و تكوينه، و فيما يلي نص هذه اللوحة الذهبية من دعائه:

«اللهم صل على محمد عبدك، و رسولك و أهل بيته الطاهرين، و اخصصهم بأفضل صلواتك و رحمتك و بركاتك، و سلامك و اخصص اللهم والدي بالكرامة لديك، و الصلاة منك يا أرحم الراحمين.

اللهم صلّ على محمد و آله، و ألهمني علم ما يجب لهما على الهاما، و اجمع لي علم ذلك كله تماما، ثم استعملني بما تلهمني منه، و وفقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه، حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتنيه، و لا تثقل اركاني «۱» عن الحفوف «۲» فيما الهمتنيه ...».

و مثلت هذه الكلمات المشرقة سمو آداب الإمام و معالي اخلاقه، و مدى احترامه لأبويه، فقد دعا لهما اللّه أن يخصهما بالفضل و الكرامة لديه، و أن يلهمه تعالى ما يجب لهما من الحقوق ليقوم بأدائها، و أن لا يثقله عن أدائها .. و لنستمع إلى قطعة أخرى من دعائه لهما ..

«اللهم صلّ على محمد و آله كما شرفتنا به، و صل على محمد و آله كما أوجبت لنا الحق على الخلق بسببه.

---

(۱) اركاني: أي اعضائي و جوارحي.

(۲) الحفوف: الاحاطة و الشمول.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۵۳

اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف، و أبرهما بر الأم الرءوف، و اجعل طاعتي لوالدي، و برى بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان «۱» و اثلج لصدري من شربة الظمآن حتى اوثر على هواى هواهما، و أقدم على رضاى رضاهما، و استكثر برهما بي و إن قل، و استقل برى بهما و إن كثر ...» و ليس في دنيا البر و الإحسان للأبوين مثل ما ذكره الإمام في هذه الفقرات لأبويه فقد سأل من اللّه تعالى أن يمنحه المزيد من الهيبة لهما ليطيعهما و لا- يخالفهما، و أن يبرهما بر الأم الرءوف لولدها، و أن يؤثر هواهما على هواه، و يقدم رضاهما على رضاه، و أن يشكر ما أسدياه إليه من البر و الإحسان و أن يستقل بره لهما، و من الطبيعي أن مثل هذه الآداب من الأبناء تجاه آبائهم فإنها مما تنسيهم متاعب الحياة و آلام الشيخوخة، كما توجد سعادة الأسرة و ازدهار الحياة الاجتماعية، و نعود إلى مواصلة ذكر الفقرات المشرقة من دعاء الإمام لأبويه.

«اللهم خفض لهما صوتی» و اطب لهما عریکتی «۲» و اعطف علیهما قلبی، و صیرنی بهما رفیقا، و علیهما شفیقا، اللهم اشکر لهما تربیتی، و أثبهما علی تکرمتی، و احفظ لهما ما حفظاه منی فی صغری، اللهم ما مسهما منی من أذی أو خلص لهما عنی من مکروه أوضاع قبلی لهما من حق فاجعله حطة لذنوبهما، و علوا فی درجاتهما و زیادة فی حسناتهما، یا مبدل السیئات بأضعافها من الحسنات ...»

و مثلت هذه القطعة آداب أهل البیت علیهم السلام و سمو تربیتهم فقد أضاف الإمام فیها إلی ما ذکره سابقا من حقوق الأبوین حقوقا أخری و هی:

۱- أن یخفض الولد صوته أمام أبویه، و لا یعلو به علیهما.

۲- أن یطیب لهما عریکته، و لا یقابلهما بالشدة و القسوة.

۳- أن یملأ قلبه عطفا و حنانا و مودة لهما.

---

(۱) الوسنان الشدید النعاس الذی تتوق نفسه إلی النوم.

(۲) العریکة: الطبع.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۵۴

۴- الدعاء لهما بالمغفرة و الرضوان علی ما أسدیاه إلیه من المعروف و اللطف أیام صغره الذی هو فی أمس الحاجة إلی رعایتهما و تربیتهما.

۵- الطلب من اللّه أن یکتب لهما المزید من الأجر علی ما مسهما من الأذی، و خلص إلیهما من المکروه أو التقصیر فی أداء حقوقهما من قبله، و لیس فی عالم التربیة المثالیة مثل هذه الآداب التی یسمو بها الإنسان و تزدهر بها حیاته، و لنستمع إلی قطعة اخری من کلامه علیه السلام.

«اللهم و ما تعدیا علی فیه من قول أو أسرفا علی فیه من فعل، أو ضیعاه لی من حق، أو قصرا بی عنه من واجب فقد وهبته لهما، وجدت به علیهما، و رغبت إلیک فی وضع تبعته عنهما، فإنی لا اتهمهما علی نفسی، و لا استبطئهما فی بری، و لا أکره ما تولیاه من أمری یا رب، فهما أوجب حقا علی، و أقدم احسانا إلی، و اعظم منه لدی من أن أقاصهما بعدل أو أجازیهما علی مثل، أین ذا یا إلهی طول شغلهما بتربیتی؟ و أین شدة تعبهما فی حراستی؟ و أین اقتارهما علی أنفسهما للتوسعة علی؟ هیهات ما یستوفیان منی حقهما، و لا أدرک ما یجب علی لهما، و لا أنا بقاض وظیفة خدمتهما ... فصل علی محمد و آله، و اعنی یا خیر من استعین به، و وفقنی یا أهدی من رغب إلیه، و لا تجعلنی فی أهل العقوق للآباء و الأمهات یوم تجزی کل نفس بما کسبت و هم لا یظلمون ...».

إن هذه التربیة العلویة إنما هی نفحة من روح اللّه لتکون منارا إلی الأمم و الشعوب لترفع من قیمة الإنسان، و تسمو به إلی عالم الملکوت ... لقد عرض هذا الإمام المربی إلی أن الواجب یحتم علی الأبناء أن یسامحوا آباءهم علی ما یصدر منهم من تعد علیهم فی القول أو إسراف فی الفعل أو تقصیر فی واجب، علیهم أن یهبوا کل ذلک لهم مکافأة لهم و مجازاة لتربیتهم و عنایتهم و نعمتهم التی لا یؤدی الولد البار مهما عمل من خدمة بعض ما یجب علیه من البر و الإحسان لأبیه ... و لنستمع إلی القطعة الأخیرة من دعاء الإمام:

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۵۵

«اللهم صلی علی محمد و آله و ذریته، و اخصص أبوی بأفضل ما خصصت به آباء عبادک المؤمنین، و أمهاتهم یا أرحم الراحمین، اللهم لا تنسنی ذکرهما فی ادبار صلواتی، و فی آناء من أناء اللیل، و فی کل ساعة من ساعات نهاری، اللهم صل علی محمد و آله، و اغفر لی بدعائی لهما، و اغفر لهما ببرهما بی مغفرة حتما، و ارض عنهما بشفاعتی لهما رضی عزما، و بلغهما بالکرامة مواطن السلامة اللهم و ان سبقت مغفرتک لهما فشفعهما فی، و إن سبقت مغفرتک لی فشفعنی فیهما حتی نجتمع برأفتک فی دار کرامتک، و محل

مغفرتك و رحمتك إنك ذو الفضل العظيم، و المن القديم، و أنت أرحم الراحمين ...» «۱» إن الإنسانية إنما تسمو و تتميز بهذه الأخلاق العلوية الهادفة إلى خلق مجتمع متكامل واحد تسوده المحبة و الألفة و الاحترام المتبادل خصوصا فى عالم الأسرة التى ينطلق منها تهذيب الفرد و بناء شخصيته.

لقد دعا الإمام (ع) لأبويه فى هذه الفقرات الأخيرة طالبا من اللّه أن يتفضل عليهما بالمغفرة و الرضوان، و أن يغفر له ببركة دعائه لهما، و أن يغفر لهما ببرهما له، فأى مودة و رحمة للأبوين مثل هذه المودة و الرحمة؟

مع ابنائه:

أما سلوك الإمام زين العابدين عليه السلام مع أبنائه فقد تميز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس فى نفوسهم نزعاته الخيرة، و اتجاهاته الإصلاحية العظيمة و قد صاروا بحكم تربيته لهم من المع رجال الفكر و العلم و النضال فى الإسلام، فكان ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام من أشهر ائمة المسلمين، و من أكثرهم عطاء للعلم، و هو صاحب المدرسة الفقهية الكبرى التى تخرج منها كبار الفقهاء و العلماء أمثال ابان بن تغلب و زرارة بن أعين، و غيرهما ممن اضاءوا الحياة الفكرية فى الإسلام، .. و أما ولده

---

(۱) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع و العشرون.

عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين فى فضله، و سمو منزلته العلمية، و قد روى عن أبيه علوما شتى، و كتب الناس عنه ذلك «۱» أما ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين و قد تخصص فى علوم كثيرة كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها و هو الذى تبنى حقوق المظلومين و المضطهدين، و قاد سيرتهم النضالية، فى ثورته الخالدة التى نشرت الوعى السياسى فى المجتمع الإسلامى، و ساهمت مساهمة ايجابية و فعالة فى الإطاحة بالحكم الأموى.

و على أى حال فإنا نعرض- بإيجاز- إلى بعض مناحى سلوك الإمام (ع)، مع ابنائه.

وصاياه لأبنائه:

و زود الإمام زين العابدين عليه السلام أبناءه ببعض الوصايا التربوية التى هى خلاصة تجاربه فى هذه الحياة لتكون منهجا يسيرون عليها، و فيما يلى بعض وصاياه.

۱- أوصى عليه السلام بعض ابنائه بهذه الوصية القيمة التى القت الأضواء على الأصدقاء و الأصحاب، و الزمت بالاجتناب عمن يتصف منهم بالنزعات الشريرة خوفا من سريان العدوى و التلوث إلى من يصادقهم، و هذا نص وصيته:

«يا بنى انظر خمسة فلا تصاحبهم، و لا تحادثهم، و لا ترافقهم فى طريق، فقال له ولده: من هم؟ قال (ع) إياك و مصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد، و يبعد لك القريب، و إياك و مصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، و إياك و مصاحبة البخيل فإنه يخذلك فى ماله، و أنت أحوج ما تكون إليه، و إياك و مصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، و إياك و مصاحبة القاطع لرحمة فإنى وجدته ملعونا فى كتاب

---

(۱) غاية الاختصار (ص ۱۰۶).

اللّه ...» «۱» إن مزاملة هؤلاء الأصناف تجر الويل و الخسران، و تعود بالأضرار البالغة على من يصادقهم، و ما أكثر هؤلاء الأصناف فى

المجتمع قديما و حديثا، و ما اندر الأزكياء و الأصفياء الذين ينتفع بمصاحبتهم.

۲- و من جملة وصاياه الرفيعة لأبنائه هذه الوصية الحافلة بالنصائح الجليلة و هذا نصها:

«يا بنى اصبر على النائبة، و لا تتعرض للحقوق، و لا تجب أخاك إلى شيء مضرته عليك اعظم من منفعته لك ...» «۲».

لقد أوصى الإمام الحكيم ولده بالصبر على النوائب، و الأحداث التى تداهمه و عدم الانهيار أمامها، فإن ذلك مما يؤدى إلى تماسك الشخصية، و صلابتها، كما أوصى (ع) بعدم التعرض و التعدى على حقوق الناس، فإن ذلك اضمن لسلامة الشخص من الاعتداء عليه و مقابلته بالمثل، كما أوصاه بعدم اجابة الصديق إلى أمر يعود عليه بالضرر و الخسران.

۳- و من وصاياه لبعض أولاده هذه الوصية الرائعة، و هى:

«يا بنى إن اللّه لم يرضك لى فأوصاك بى، و رضينى لك فحذرنى منك، و اعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه، و خير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له ...» «۳».

و حفلت هذه الوصية بالنقاط التالية:

أ- إن الأبناء لا يكنون فى أعماق نفوسهم لآبائهم من المودة و العطف مثل ما يكنه الآباء لهم، و لذلك أكد تعالى فى غير آية من كتابه المجيد بلزوم رعايتهم و طاعتهم.

ب- إن اللّه تعالى حذر الآباء من أبنائهم من مصادر الفتنة و الشقاء لهم.

---

(۱) تحف العقول (ص ۲۷۹) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵، وسائل الشيعة.

(۲) البيان و التبيين ۲/ ۷۶، العقد الفريد ۳/ ۸۸.

(۳) العقد الفريد ۳/ ۸۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۸

ج- إن التربية الناجحة للأبناء هى أن لا يفرط الآباء بالمودة و الحنان لهم فإن ذلك مما يؤدى إلى ضعف شخصية الطفل، و عدم استطاعته على الصمود أمام الأحداث، و قد أكد هذه الظاهرة علماء التربية و النفس.

د- إن أفضل الأبناء هم الذين يقومون بخدمة آبائهم و الإحسان إليهم و بذلك يخرجون من حدود التقصير و العقوق لهم.

۴- و من وصاياه القيمة هذه الوصية التى خص بها ولده الإمام الباقر عليه السلام، و قد حذره فيها من مصاحبة الأحمق، و قد جاء فيها:

«يا بنى إياك من مصاحبة الأحمق أو تخالطه، و اهجره، و لا تحادثه فإن الأحمق هجنة عياب، غائبا كان أو حاضرا، إن تكلم فضحه حمقه، و إن سكت قصر به عيه، و إن عمل أفسد، و إن استرعى اضاع، لا علمه من نفسه يغنيه، و لا علم غيره ينفعه، و لا يطيع ناصحه، و لا يستريح مقارنه، تود أمه أنها ثكلته، و امرأته انها فقدته، و جاره بعد داره، و جليسه الوحدة من مجالسته، إن كان اصغر من فى المجلس أعنى من فوقه، و إن كان أكبرهم أفسد من دونه ..» «۱» لقد عرض الإمام عليه السلام إلى لزوم الابتعاد عن الأحمق، و ذلك لما فى الاتصال به من المضاعفات السيئة التى تجر الويل و العطب و قد أدلى عليه السلام بعيوب الأحمق و نقائصه.

۵- و من وصاياه الرائعة التى نصح بها ابناءه هذه الوصية:

«جالسوا أهل الدين و المعرفة، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس و اسلم فإن ابيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يزمتون فى مجالسهم ..» «۲».

هذه بعض وصاياه التربوية لأبنائه، و قد وضع فيها المناهج السليمة لسلوكهم و مسيرتهم فى هذه الحياة.

---

(۱) وسائل الشيعة ۵/ ۴۲۱.

(۲) رجال الكشى (ص ۴۱۹).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۹

دعاؤه لأبنائه:

أما دعاء الإمام لأبنائه فهو فى منتهى الروعة و الجلال، فقد حكى سلوكه النير معهم و ما يتمناه لهم من سمو الآداب، و مكارم الأخلاق، و لنستمع و نصغى إليه فإنه من أسمى الثروات فى التربية الإسلامية.

«اللهم و منّ على ببقاء ولدى، و بإصلاحهم لى، و بامتاعى بهم، إلهى امدد لى فى أعمارهم، و زد فى آجالهم، و رب لى صغيرهم، و قوّ لى ضعيفهم، و أصح لى ابدانهم و أديانهم و أخلاقهم، و عافهم فى أنفسهم، و فى جوارحهم، و فى كل ما عنيت به من أمرهم، و أدرر لى، و على يدى ارزاقهم، و اجعلهم ابرارا اتقياء بصراء سامعين، مطيعين لك و لأوليائك محبين مناصحين، و لجميع اعدائك معاندين و مبغضين آمين ...».

و مثلت هذه الفقرات مدى روحانية الإمام عليه السلام فى سلوكه لتربية ابنائه، فقد قامت تربيته لهم على الإصلاح الشامل، و التهذيب المطلق، فقد دعا لهم بما يلى:

أ- أن يمن اللّه عليهم بالبقاء و الإصلاح ليكونوا قرة عين له.

ب- أن ينعم اللّه عليهم بالصحة الشاملة لأبدانهم، و أديانهم و أخلاقهم.

ج- أن يعافى اللّه نفوسهم و أرواحهم، و ذلك بتطهيرها من الرذائل و الآثام.

د- أن يمنحهم تعالى العافية فى جوارحهم لئلا يصابوا بعاهة فى أجسامهم مما تشل فعالياتهم.

ه- أن يوسع اللّه عليه و عليهم من أرزاقه، و لا يذيقهم مرارة الفقر فإنه من أفجع الكوارث و افتكها.

و- أن يهديهم تعالى إلى مرضاته فيجعلهم ممن يسارعون إلى الخيرات و بأمره يعملون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۰

ز- أن يحبب لهم تعالى اولياءه، و يبغض لهم اعداءه.

و هذا العطف مما يوجب تماسك الأسرة و انسجامها، و إذا تربى الولد على هذا الأنموذج من الخلق الرفيع كان قرة عين لأبيه ... و لنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف.

«اللهم اشدد بهم عضدى، و أقم بهم أودى، و كثر بهم عددى، و زين لهم محضرى، و أحى بهم ذكرى، و اكفنى بهم فى غيبتى، و اعن بهم على حاجتى، و اجعلهم لى محبين، و على حدبين مقبلين، مستقيمين لى، مطيعين غير عاصين، و لا مخالفين و لا خاطئين، و اعنى على تربيتهم و تأديبهم، و هب لى من لدنك معهم أولادا ذكورا، و اجعل ذلك خيرا لى، و اجعلهم لى عونا على ما سألتك، و أعذنى و ذريتى من الشيطان الرجيم، فإنك خلقتنا و أمرتنا و نهيتنا، و رغبتنا فى ثواب ما أمرتنا، و رهبتنا عقابه، و جعلت لنا عدوا يكيدنا، سلطته على ما لم تسلطنا عليه منه، اسكنته صدورنا، و أجريته مجارى دمائنا لا- يغفل إن غفلنا و لا ينسى إن نسينا يؤمننا عقابك، و يخوفنا بغيرك، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها، و إن هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه، يتعرض لنا بالشهوات و ينصب لنا بالشبهات، إن وعدنا كذبنا، و إن منانا اخلفنا و الا تصرف عنا كيده يضلنا، و الا تقنا خباله «۱»، يستزلنا «۲» اللهم فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده فى المعصومين بك ...».

و احتوت هذه الفقرات الرائعة على أمرين، و هما:

أولا: إن الإمام سأل اللّه تعالى أن يحقق له ما يرجوه و يأمله فى اولاده، الأزكياء، و كان مما يرجوه منهم ما يلى:

۱- أن يشد بهم عضده، و يقويه بهم فإن الولد الصالح قوة للأب.

۲- أن يقيم بهم ما اعوج، و اشكل عليه من أموره.

---

(۱) خباله: أى فساده.

(۲) يستزلنا: أى يوقعنا فى المهالك و المزلات.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۱

۳- أن يكثر بهم عدده فيكونوا أسرة ذات عدد كبير ملحوظين أمام المجتمع.

۴- أن يزين بهم محضرة و مجلسه، و ذلك بسمو آدابهم و معالى أخلاقهم.

۵- أن يكفيه بهم فى حال غيابه، و ذلك بقيامهم فى مهماته.

۶- أن يعينوه على حوائجه، و لا يتركوه وحده.

۷- أن يمنحهم تعالى حب أبيهم و العطف عليه، ليطيعوا أوامره، و يجتنبوا معاصيه، و ما لا يرضيه.

إن الأبناء إذا كانوا بهذه الصفة من الصلاح، و الاخلاص لآبائهم، فإن جل متاعب الدنيا تزول و ينعمون بهم فى حال شيخوختهم التى هى مركز الضعف.

ثانيا: إن الإمام اعاذ نفسه و ذريته باللّه تعالى من شر الشيطان الرجيم الذى هو العدو الأول للإنسان الذى يلقيه فى متاهات سحيقة من المعاصى و الآثام، و قد عرض الإمام عليه السلام إلى سلطة الشيطان على الإنسان، و هيمنته عليه فقد سكن فى أعماق النفوس، و نفذ إلى جميع خلايانا و ذكر أمورا أخرى، و التى منها ما يلى:

۱- إن الشيطان يغرى الإنسان باقتراف المعاصى، و يسهل عليه عقاب اللّه الذى اعده للعصاة من عباده، كما يخوف الإنسان بغير اللّه تعالى فيجعله يخاف و يخشى منه أكثر مما يخشى و يخاف من اللّه.

۲- إن الإنسان إذا همّ بمعصية شجعه الشيطان عليها، و دفعه لها حتى يوقعه بها.

۳- إن الإنسان إذا همّ بعمل الخير، و بما يقربه إلى اللّه زلفى ثبطه عنه الشيطان و جعله يتكاسل عنه، حتى يصرفه عنه.

۴- إن الشيطان يغرى الإنسان بالشهوات، و يزينها له حتى ينقاد لها.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۲

۵- ن الشيطان يلقى فى قلب الإنسان الأوهام و الشبهات التى توجب بعد الإنسان عن ربه.

و عرض الإمام بعد ذلك إلى أن جميع أمانى الشيطان للإنسان كذب و خداع، و لا حقيقة و لا واقع لها، ثم سأل الإمام عليه السلام أن يصرف عن المؤمنين كيد الشيطان و مكره حتى لا يقعوا فى حباله ... و لنستمع بعد هذا إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء الشريف.

«اللهم اعطنى كل سؤلى، و اقض لى حوائجى، و لا تمنعنى الاجابة، و قد ضمنتها لى و لا تحجب دعائى عنك، و قد امرتنى به، و امنن على بكل ما يصلحنى فى دنياى و آخرتى ما ذكرت منه، و ما نسيت، أو أظهرت أو اخفيت أو اعلنت أو أسررت، و اجعلنى فى جميع ذلك من المصلحين بسؤالى إياك، المنجحين بالطلب إليك غير الممنوعين بالتوكل عليك المعوذين بالتعوذ بك، و الراغبين فى التجارة عليك المجارين «۱» بعزك الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك الواسع بجودك و كرمك، المعزين من الذل بك، و المجارين من الظلم بعدلك، و المعافين من البلاء، برحمتك، و المغنين من الفقر بغناك، و المعصومين من الذنوب و الزلل و الخطأ بتقواك و الموفقين للخير و الرشد و الصواب بطاعتك، و المحال بينهم و بين الذنوب بقدرتك، التاريكين لكل معصيتك، الساكنين فى جوارك، اللهم اعطنا جميع ذلك بتوفيقك و رحمتك، و اعذنا من عذاب السعير، و أعط جميع المسلمين و المسلمات، و المؤمنين و المؤمنات مثل الذى سألتك لنفسى و لولدى، فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة، إنك قريب مجيب، سميع عليم، عفو غفور، رءوف رحيم، و آتنا فى الدنيا حسنة، و فى الآخرة حسنة، و قنا عذاب النار ...» «۲».

سلام اللّه عليك يا زين العابدين لقد أوتيت من الحكمة و فصل الخطاب

---

(۱) المجارين: أى المحفوظين من الظلم.

(۲) الصحيفة السجادية: الدعاء الخامس و العشرون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۳

ما لم يؤته أحد سوى آبائك الذين سنوا أصول الفصاحة و البلاغة و الحكمة فى دنيا العرب و الإسلام.

لقد أعرب الإمام عليه السلام فى هذه الفقرات عن عظيم اخلاصه و إنابته و طاعته للّه، و تعلقه به، و انقطاعه إليه، فقد سأل منه تعالى أن يعطيه جميع ما سأله و أن يقضى له جميع حوائجه، و أن يمن عليه بما يصلحه فى أمر آخرته و دنياه، و أن يجعله ممن يريد الإصلاح فيما يستجيب له من دعائه، و أكثر من التذلل و التملك إلى اللّه الذى بيده ملكوت كل شىء، ثم سأل اللّه تعالى أن يعطى جميع المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات مثل الذى سأل لنفسه و لولده فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة.

لقد ربى ابناءه على مثل هذا الهدى الذى يمثل جوهر الإسلام، و واقع الإيمان فكانوا من اتقى ابناء المسلمين، و من أكثرهم تحرجا فى الدين.

مع مماليكه:

و سار الإمام زين العابدين عليه السلام مع مماليكه سيرة تتسم بالرفق و العطف و الحنان فكان يعاملهم كابنائه، و يغدق عليهم بره و معروفه و إحسانه، و قد وجدوا فى كنفه من الرفق ما لم يجدوا فى ظل آبائهم، و يقول الرواة إنه لم يعاقب أمة و لا عبدا فيما إذا اقترفا ذنبا «۱» و قد كان له مملوك فدعاه مرتين فلم يجبه، و فى الثالثة قال له الإمام برفق و لطف:

- «يا بنى أ ما سمعت صوتى؟ ...».

- «بلى ..».

- «لم لم تجبنى؟ ..».

- «أمنت منك ...».

فخرج الإمام و راح يحمد اللّه و يقول:

---

(۱) البحار ۴۶/ ۱۰۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۴

«الحمد للّه الذى جعل مملوكى يأمننى ...» «۱».

لقد فرح الإمام لأنه لم يكن قاسيا، و لا جبارا حتى يخاف منه الناس أو يحذرون.

مع جيرانه:

اشارة

و كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بجيرانه، فكان يرعاهم كما يرعى أهله، و كان يعول ضعفاءهم و فقراءهم، و يعود مرضاهم، و يشيع موتاهم، و لم يترك لونا من ألوان البر إلا اسداه إليهم، و كان يستقى لضعفاء جيرانه فى غلس الليل البهيم كما روى

ذلك الزهرى «۲» و ليس فى تاريخ الإنسانية مثل هذا اللون من البر و المعروف.

دعاؤه لجيرانه:

و لم يكتف الإمام زين العابدين عليه السلام بما أسداه على جيرانه من أنواع البر و الإحسان و إنما شملهم بدعائه، فكان يدعو لهم بالتوفيق و الحسنى و السداد كما كان يدعو لنفسه و أهل بيته، و كانوا من مهامه، و قد خصهم بدعاء من أدعيته الشريفة، و فيما يلى نصه:

اللهم صلى على محمد و آله، و تولنى فى جيرانى، و موالى العارفين بحقنا، و المنابذين لأعدائنا بأفضل ولايتك، و وفقهم لإقامة سنتك، و الأخذ بمحاسن أدبك فى إرفاق ضعيفهم، و سد خلتهم، و عيادة مريضهم، و هداية مسترشدهم، و مناصحة مستشيرهم، و تعهد قادمهم، و كتمان أسرارهم، و ستر عوراتهم، و نصرة مظلومهم، و حسن مواساتهم بالماعون، و العود عليهم بالجدة و الأفضال، و إعطاء ما يجب لهم قبل السؤال ...».

---

(۱) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۵۵.

(۲) بهجة الأبرار.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۵

لقد دعا الإمام عليه السلام بهذه الدعوات المباركة لجيرانه، و خص دعاءه بالعارفين و المؤمنين بحق أهل البيت عليهم السلام الذين ألزم الله مودتهم و جعلهم النبى (ص) سفن النجاة و أمن العباد، و الأدلاء على مرضاة الله و طاعته، و كان من بنود هذا الدعاء:

۱- أن يوفقهم الله لإقامة سنة الإسلام، و إحياء فروضه و تعاليمه.

۲- أن يوفقهم الله، و يهديهم للأخذ بمحاسن آداب الله، و هى:

(أ) أن يرفقوا بضعفائهم، و يعطفوا عليهم.

(ب) أن يقوموا بسد حاجات جيرانهم، و يعينوهم على شئون هذه الدنيا.

(ج) أن يعود كل فرد منهم مرض عند إخوانه فى الله.

(د) أن يهدوا من يطلب الهداية و الرشاد.

(ه) أن يقدموا الرأى الصائب، و النصيحة الكاملة لمن يستشيرهم.

(و) أن يتعاهدوا من يقدم من إخوانهم من السفر.

(ز) إذا أسرّ بعضهم فى سره لأخيه فعليه أن يكتمه و لا يذيعه بين الناس.

(ح) أن يستر بعضهم عورة بعض و لا يبديها لأن فى نشرها هتكا له و إسقاطا لكرامته.

(ط) أن يقوموا بنصرة المظلوم منهم، و لا يدعوه وحده لأن فى ذلك نشرا للظلم و إماتة للعدل.

(ى) أن يواسى بعضهم بعضا فى الحياة الاقتصادية، فلا يتركوا الضعفاء و الفقراء ينهشهم الفقر و البؤس.

(ك) أن يسعفوا فقراءهم بالمال قبل السؤال لأن فيه مذلة على الفقير.

و هذه البنود من أهم المواد فى النظام الاجتماعى فى الإسلام الذى يهدف إلى جمع الناس على صعيد المحبة و المودة و الالفة، و يقضى على جميع النعرات، و الفوارق التى توجب فساد الحياة الاجتماعية. و لنستمع إلى بقية هذا الدعاء الشريف:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۶

«و اجعلنى اللهم أجزى بالإحسان مسيئهم، و أعرض بالتجاوز عن ظالمهم، و أستعمل حسن الظن فى كافتهم، و أتولى بالبر عامتهم، و

أغض بصرى عنهم عفة، و ألين جانبى لهم تواضعا، و أرق على أهل البلاء منهم رحمة، و أسر لهم بالغيب مودة، و أحب بقاء النعمة عندهم نصحا، و أوجب لهم ما أوجب لحامتى «۱»، و أرعى لهم ما أرعى لخاصتى، اللهم صل على محمد و آله، و ارزقنى مثل ذلك منهم و اجعل أوفى الحظوظ فيما عندهم، و زدهم بصيرة فى حقى و معرفة بفضلى حتى يسعدوا بى، و أسعد بهم آمين رب العالمين ..» «۲».

إن أهم ما يتمناه الإمام- فى هذه الفقرات- أن يسدى إلى جيرانه الأيادى البيضاء، و يقدم لهم المزيد من الخدمات التى منها:

۱- أن يقابل من أساء إليه بالبر و الإحسان، ليقتلع بذلك النزعة الشريرة من نفس المسىء.

۲- أن يتجاوز عمن ظلمه، و اعتدى عليه، و لا يقابله بالمثل، و هذه سيرة جده رسول الله (ص) فقد كان يصفح الصفح الجميل عمن ظلمه.

۳- أن يستعمل حسن الظن بجيرانه، و لا يظن بأحد منهم سوءا، و الظن الحسن يجمع الناس على صعيد المحبة و الإلفة و الوفاق.

۴- أن يتولى بالبر و الإحسان كافة جيرانه، سواء منهم الضعيف و الغنى، و العدو و الصديق.

۵- أن يلين لهم جانبه تواضعا، و لا يكون معهم فظا غليظا.

۶- أن يرق قلبه على أهل البلاء منهم فيحسن لهم، و يدعو لهم.

۷- أن يسر لهم فى أعماق قلبه المودة و الرحمة.

۸- أن يحب لهم دوام النعمة.

۹- أن يعاملهم بالإحسان و المعروف كما يعامل أقاربه و أرحامه.

۱۰- أن يرعاهم بألطافه كما يرعى خاصته.

---

(۱) الحامه: الأقارب.

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء السادس و العشرون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۷

إن هذه الأخلاق العلوية تمثل جوهر الإسلام، و واقعه، و هى تدعو بصورة إيجابية إلى بناء مجتمع متكامل، متحد بمشاعره، متماسك بعواطفه.

و على أى حال فإن الإمام عليه السلام بعد ما أعلن هذه العواطف الكريمة تجاه جيرانه تمنى أن يكنوا له مثل ما يكن لهم من المودة و الحب، كما سأل من الله أن يجعل له عندهم أوفى الحظوظ، و أن يزيدهم بصيرة و معرفة بفضله، و أن يوفقهم للقيام برعاية حقوقه.

مع جلسائه:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ج۱ ۶۷ مع جلسائه: ..... ص : ۶۷

ا سلوك الإمام عليه السلام مع جلسائه فكان يتميز بالآداب الرفيعة و الخلق الإسلامى العظيم، فكان يحترم، و يكرم كل من جلس معه، و قد قال عليه السلام: «ما جلس إلى أحد قط إلا عرفت له فضله» «۱» و كان يوقر جلساءه، و يقابلهم بالمزيد من ألطافه، و معالى أخلاقه، و قد دخل عليه نصر ابن أوس الطائى، فرحب به الإمام، و قال له:

- «ممن أنت؟».

- «من طى ..».

- «حياك الله، و حيا قوما عزيت إليهم، نعم الحى حيك ...».

و التفت الطائى إلى الإمام فقال له:

- «من أنت؟ ..».

- «على بن الحسين ..».

- «أ و لم يقتل بالعراق مع أبيه؟ ..».

فقابله الإمام ببسمات فياضة بالبشر قائلة:

- «لو قتل يا بنى لم تره ..» «۲».

و يقول المؤرخون إنه كان لا يسمح لأحد من جلسائه أن يعتدى على من

---

(۱) بهجة المجالس و أنس المجالس ليوسف القرطبى ۱/ ۴۶.

(۲) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۴۵.

أساء إليه فقد دخل عليه أحد أعدائه، فقال له:

«هل تعرف الصلاة؟ ..».

فانبرى أبو حازم و هو من أصحاب الإمام فأراد الوقيعة به، فزجره الإمام، و قال له «مهلا يا أبا حازم إن العلماء هم الحلماء الرحماء، ثم التفت إلى الرجل بلطف و قال له:

«نعم أعرفها ..».

سأله الرجل عن بعض خصوصيات الصلاة فأجابه الإمام عنها، فخجل الرجل، و راح يعتذر للإمام و يقول له: ما تركت لأحد حجة «۱».

لقد كان شأن الإمام فى معالى أخلاقه مع جلسائه و غيرهم شأن جده الرسول الأعظم (ص) الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

مع شيعته:

اشارة

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتحرى فى سلوكه مع شيعته أن يكونوا قدوة حسنة لكل إنسان مسلم فى ورعهم و تقواهم و حريجتهم فى الدين و قد جهد فى تربيتهم و تهذيبهم بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، و قد بث فيهم المواعظ و النصائح، و حفزهم على التقوى و العمل الصالح، فقد قال (ع) لبعض شيعته:

«أبلغ شيعتنا أنه لن يغنى عنهم من الله شىء، و أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع ..» «۲».

إن الورع عن محارم الله من أهم الوسائل فى نجاة الإنسان من عذاب الله و عقابه، كما انه من أنجح الطرق للظفر بولاية أهل البيت عليهم السلام التى هى حصن من حصون الله.

---

(۱) بهجة الأبرار.

(۲) الدر النظيم (ص ۱۷۳).

و وفد جماعة على الإمام (ع) و عرفوا نفوسهم له بأنهم من الشيعة فأمعن الإمام فى وجوههم فلم ير عليها أثر الصلاح، فقال لهم: «أين

السمت فى الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا بعبادتهم، و شعثهم، قد قرحت العبادة منهم الآماق و وثرت الجباه و المساجد، خمص البطون، ذبل الشفاه، قد هيجت وجوههم، و اخلق سهر الليالى، و قطع الهواجر، حثيثهم، المسبحون إذا سكت الناس، و المصلون إذا نام الناس، و المحزونون إذا فرح الناس، يعرفون بالزهد، و شاغلهم الجنة ..» «۱».

إن هذه الصفات التى ذكرها الإمام (ع) إنما تتوفر فى خواص الشيعة، و حوارى الأئمة عليهم السلام أمثال عمار بن ياسر، و أبى ذر، و سلمان الفارسى، و ميثم التمار، و نظرائهم ممن أترعت نفوسهم بالتقوى و الصلاح، و وعوا رسالة الإسلام، أما الأكثرية الساحقة من الشيعة فإنما هم من أتباع أهل البيت و مواليهم، و لا شبهة أن الولاء للأئمة عليهم السلام مما يوجب الغفران، و يدلل على ذلك ما روى عنه عليه السلام، حينما مرض فقد دخل عليه جماعة من صحابة النبى (ص) لعيادته فقالوا له:

«كيف أصبحت يا ابن رسول اللّه فدتك أنفسنا؟».

«فى عافية و الله المحمود على ذلك، و كيف أصبحتم أنتم؟ ..».

«أصبحنا و اللّه لك يا ابن رسول اللّه محبين، وادين ..».

فبشرهم الإمام بالفردوس الأعلى لولائهم لأهل البيت قائلا:

«من أحبنا لله أسكنه الله فى ظل ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله و من أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله الجنة، و من أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب ..» «۲».

---

(۱) صفات الشيعة من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم.

(۲) نور الأبصار (ص ۱۲۷).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۰

رواية موضوعة:

من الروايات الموضوعة ما رواه ابن عساكر أن جماعة من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين عليه السلام، فقال لهم: «يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، و لا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا ..» «۱» و هذه الرواية افتعلت للحط من شأن الشيعة و انهم يغالون فى حبهم و ولائهم لأهل البيت عليهم السلام، و يرفعونهم إلى مستوى الخالق العظيم، و هو اتهام رخيص لا سند له من الواقع. إن حب الشيعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام قائم على أساس الفكر و الوعى و يستند إلى الكتاب العزيز و السنة المتواترة، و ليس فيه أى شائبة من الغلو ... إن أهم ظاهرة فى ولاء الشيعة لأئمة أهل البيت (ع) هى أنها تأخذ معالم دينها عنهم- تلتزم بما أثر عنهم فى حياتهم الدينية، و مما لا شبهة فيه أن الأخذ بفقه أهل البيت و الاستناد إليه فى مقام العمل مجز عن الواقع، فهل فى هذه الجهة غلو، و انحراف عن الدين؟

و قد رويت نفس هذه الرواية بشكل آخر ليس فيها طعن على الشيعة، فقد روى يحى بن سعيد قال: كنت عند على بن الحسين فجاءه نفر من الكوفيين، فقال لهم على بن الحسين: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، فإنى سمعت أبى يقول: قال رسول الله (ص): يا أيها الناس لا- ترفعونى فوق حقى، فإن الله عز و جل قد اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى نبيا «۲»» و ليس فى هذه الرواية ما يدعو إلى التشكيك فيها.

إلزامه للشيعة بالتقية

و ألزم الإمام زين العابدين عليه السلام شيعته بالتقية نظرا للظروف العصيبة الخانقة التى كانت تمر بهم، فقد كان الحكم الأموى يفتش

بدقة عن

---

(۱) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۵۷. و الشين: ضد الزين، أى: العيب.

(۲) الذرية الطاهرة ورقة ۲۹ مخطوط فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ۴۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۱

العناصر الموالية لأهل البيت ليقوم بتصفيتهم جسديا، و قد جاء أمر الإمام (ع) بلزوم التقية و إخفاء شيعته موافقا للحكمة، و متفقا مع روح الإسلام و جوهره، قال عليه السلام: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، و يطهره منه فى الدنيا و الآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية، و تضييع حقوق الأخوان» «۱».

لقد حفظت التقية دماء شيعة أهل البيت فى تلك العصور السود التى كان فيها الحكم الأموى يتتبعهم تحت كل حجر و مدر فأشاع فيهم القتل و الإعدام، و بلغ الحال أن من يقذف من المسلمين باليهودية و النصرانية أهون عليه من أن يوصف بأنه من شيعة آل محمد (ص) و قد ندد بالشيعة من لا وعى له من الحاقدين على آل البيت (ع) لالتزامهم بالتقية، و لم يعلم انها ضرورة إسلامية ملحة، و لو لا التزامهم بها لم يبق أحد يدين بالولاء للأئمة الطاهرين.

استغفاره لمذنبى شيعته:

و بلغ من حب الإمام زين العابدين عليه السلام لشيعته و الموالين انه كان يدعو لمذنبيهم فى كل يوم، فقد قال (ع) لأم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر: «إنى لأدعو لمذنبى شيعتنا فى اليوم و الليلة مائة مرة، لأنا نصبر على ما نعلم و يصبرون على ما لا يعلمون ..» «۲» و دل هذا الحديث على مدى تعاطف الإمام على شيعته، و حبه لهم، فقد دعا لمذنبيهم بالمغفرة و الرضوان فأى بر و أى إحسان أعظم من هذا البر و الإحسان».

مع أعدائه:

أما سلوك الإمام عليه السلام مع أعدائه، و الحاقدين عليه، و الظالمين له فقد تميز بالصفح و العفو عنهم، و الإحسان إليهم، و البر بهم، يقول

---

(۱) الإمام زين العابدين (ص ۲۰۲) نقلا عن المحاسن للبرقى.

(۲) الوافى ۲/ ۱۸۳ عيون المعجزات (ص ۷۶).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۲

المؤرخون: إن إسماعيل بن هشام المخزومى كان واليا على يثرب، و كان شديد البغض و الحقد على آل البيت (ع) و كان يبالغ فى إيذاء الإمام زين العابدين، و يشتم آباءه على المنابر تقربا إلى حكام دمشق، و لما ولى الوليد ابن عبد الملك الخلافة بادر إلى عزله و الوقيعة به لهنات كانت بينهما قبل أن يلى الملك و السلطان، و قد أوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه، و فزع ابن هشام كأشد ما يكون الفزع من الإمام زين العابدين لكثرة اعتدائه عليه، و إساءته له، و قال: ما أخاف إلا من على بن الحسين فإنه رجل صالح يسمع قوله فى، أما الإمام (ع) فقد عهد إلى أصحابه و مواليه أن لا يتعرضوا له بمكروه، و أسرع إليه فقابله ببسمات فياضة بالبشر و عرض عليه القيام بما يحتاج إليه من معونة فى أيام محنته قائلا:

«يا ابن العم عافاك الله لقد ساءنى ما صنع بك فادعنا إلى ما أحببت ..» و ذهل هشام و راح يقول بإعجاب:

«الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء ...» «۱».

و لنستمع و نمعن فى دعائه الشريف بالمغفرة لأعدائه و ظالميه، إلى ما اقترفوه من الاعتداء عليه يقول عليه السلام:

«اللهم و أيما عبد نال منى ما حظرت عليه، و انتهك منى ما حجرت عليه فمضى بظلامتى ميتا، أو حصلت لى قبله حيا، فاغفر له ما ألم به منى، و اعف له ما أدبر به عنى، و لا تقفه على ما ارتكب فىّ، و لا تكشفه عما اكتسب بىّ، و اجعل ما سمحت به من العفو عنهم، و تبرعت به من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين و أعلى صلات المتقربين، و عوضنى من عفوى عنهم عفوك، و من دعائى رحمتك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك، و ينجو كل منا بمنك ..» «۲».

حقا لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام نسخة لا ثانى لها فى تاريخ البشرية عدا آباءه ... لقد كان فى سلوكه دنيا من الشرف و النبل و الإنسانية مما يعجز عنه الوصف، و يقصر اللفظ أن يحيط أو يلم به.

---

(۱) حياة الإمام محمد الباقر ۱/ ۳۵ طبقات أبن سعد ۵/ ۲۲۰.

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء الثامن و الثلاثون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۳

عناصره النفسية

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۵

و لم يخلق الله فضيلة أو موهبة كريمة يتميز بها هذا الإنسان إلا و هى من عناصر شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام و من ذاتياته، فلم يجاره أى أحد فى نزعاته، و عناصره النفسية التى كان السائد فيها سمو الآداب، و مكارم الأخلاق، و شدة التحرج فى الدين ... و لا يكاد يقرأ أحد سيرته النديه إلا و ينحنى إجلالا و إكبارا له، و يذهب به الإعجاب إلى غير حد، و قد استصغر عظماء الرجال فى الإسلام من المعاصرين له نفوسهم أمام الحشد الهائل من فضائله و عبقرياته، يقول سعيد بن المسيب و هو من كبار علماء المدينة: «ما رأيت قط أفضل من على بن الحسين، و ما رأيته قط إلا مقت نفسى ..» «۱».

لقد رفعته مثله العليا إلى قمة الشرف و المجد التى ارتقى إليها العظماء من آبائه الذين وهبوا حياتهم للإصلاح الاجتماعى، و نتحدث- بإيجاز- عن بعض عناصره النفسية.

الحلم:

أما الحلم فهو من صفات الأنبياء و المرسلين، و هو من أجل صفات

---

(۱) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۶

الإنسان، و أميزها لأنه ينم عن سيطرة الإنسان على نفسه، و عدم خضوعه لأية نزعة من نزعات الغضب و الانتقام، و قد عرفه الجاحظ بقوله: «إنه ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك» «۱» و كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم الناس حلما، و أكظمهم للغيظ، و قد ذكر الرواة و المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه كان منها ما يلى:

۱- كانت له جارية تسكب فى يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الابريق من يدها على وجهه الشريف فشجه، فبادرت الجارية قائلة:

- إن الله عز و جل يقول: «و الكاظمين الغيظ».

و أسرع الإمام قائلا:

- «كظمت غيظى ..».

و طمعت الجارية فى حلم الإمام و نبله فراحت تطلب منه المزيد قائلة:

- «و العافين عن الناس».

فقال لها الإمام برفق و لطف:

- «عفا الله عنك ..».

و أسرعت الجارية قائلة:

- «و الله يحب المحسنين ..».

و قابلها الإمام بمزيد من اللطف و الإحسان قائلا:

- «اذهبى فأنت حرة ..» «۲».

۲- و من بوادر حلمه أن و غدا لئيما استقبله بالسب و الشتم بلا سبب، فقابله الإمام باللطف قائلا له:

«يا فتى إن بين أيدينا عقبة كئودا، فإن جزت منها فلا أبالى بما تقول:

و إن أتحير فيها فأنا شر مما تقول ..» «۳».

---

(۱) تهذيب الأخلاق (ص ۱۹)

(۲) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۵۵ نهاية الارب ۲۱/ ۳۲۶.

(۳) البحار ۴۶/ ۹۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۷

لقد كان الإمام مشغولا بعواطفه و مشاعره نحو الله، و الفزع من أهوال دار الآخرة التى لا ينجو فيها إلا المتقون، و لم يزعجه هذا الهراء الذى ينم عن نفس قد خسرت الأخلاق و الآداب.

۳- و من آيات حلمه انه خرج من المسجد فسبه رجل فأسرع إليه الناس للانتقام منه فنهاهم (ع) عن ذلك، و أقبل عليه قائلا:

«ما ستره الله عنك أكثر أ لك حاجة نعينك عليها؟ ..».

و خجل الرجل، و ود أن الأرض قد ساخت به، و لما نظر إليه الإمام أشفق عليه فألقى إليه خميصة «۱» كانت عليه، و أمر له بألف درهم، و قد قلع بذلك من نفس الرجل نزعة الاعتداء على الناس بغير حق، و أعاده إلى طريق الحق و الرشاد فكان إذا رأى الإمام بادر إليه قائلا: إنك من أولاد الأنبياء «۲».

۴- و ظاهرة أخرى من حلم الإمام أن لئيما اعتدى عليه فسبه، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه، فانتفخت أوداج اللئيم، و راح يقول له:

«إياك أعنى ..».

و أسرع الإمام قائلا:

«و عنك أغضى ...».

و تركه الإمام و انصرف عنه، و لم يقابله بالمثل «۳» و قد تميز الرجل غيظا و غضبا.

۵- و من عظيم حلمه أن رجلا افترى عليه، و بالغ فى سبه، فقال (ع) له:

«إن كنا كما قلت: فنستغفر الله، و إن لم نكن كما قلت: فغفر الله لك ...».

---

(۱) الخميصة: ثوب أسود مربع.

(۲) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵.

(۳) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۸

و بهت الرجل، و راح يعتذر من الإمام قائلا:

«جعلت فداك، ليس كما قلت: أنا فاغفر لى ...».

فقابله الإمام ببسمات مقرونة بالرضا و العفو قائلا:

«غفر الله لك ..».

و انصرف الرجل و كله إعجاب، و إكبار للإمام، و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء «۱».

۶- و نادرة أخرى من حلمه فقد كان رجل من آل الزبير اعتدى عليه شخص فسبه فأعرض عنه فلما انصرف الرجل قام الزبيرى فجعل يسب الإمام و يفترى عليه، و الإمام ساكت لم يجبه، فقال له الزبيرى:

«ما يمنعك من جوابى؟ ..».

فقال له الإمام برفق و لطف: ما منعك من جواب الرجل «۲».

هذه بعض النوادر التى ذكرها المؤرخون من حلمه، و هى تكشف عن طاقات غير متناهية من الفضائل الماثلة فيه، و التى رفعته إلى أعلى درجات الكمال الإنسانى.

الصبر:

و من عناصره النفسية الصبر على ما ألم به من المحن و البلوى، فمن المقطوع به أنه لم يبتل أحد فى هذه الدنيا بمثل ما ابتلى به هذا الإمام العظيم فقد طافت به الخطوب و المصائب منذ أن أدرك الحياة إلى أن فارقها، فقد فجع بوفاة أمه و هو فى المرحلة الأولى من طفولته، و لم ينتهل من نمير حنانها، و عطفها، و شاهد و هو فى غضون الصبا لوعة أسرته على فقد جده الإمام أمير المؤمنين الذى اغتاله المجرم عبد الرحمن بن ملجم، و ما أعقب ذلك من إجبار عمه الإمام الزكى الحسن (ع) على مصالحة الباغى ابن

---

(۱) صفة الصفوة ۲/ ۵۴.

(۲) الكامل للمبرد ۳/ ۸۰۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۹

الباغية معاوية بن أبى سفيان الذى هو وصمة عار و خزى على العالم العربى و الإسلامى. فإنه حينما استوى على أريكة الحكم ظهرت نزعاته الجاهلية، و حقده البالغ على الإسلام و المسلمين، فقد سخر جميع أجهزة دولته على محو الإسلام من خارطة الوجود و اتخذ أشد الإجراءات القاسية ضد أهل البيت عليهم السلام ففرض سبهم على المنابر و المآذن، كما قام بالتصفية الجسدية لشيعتهم الذين كانوا يمثلون الوعى الدينى و السياسى فى الإسلام.

و لما أشرف الإمام زين العابدين (ع) على ميعة الشباب فجع بوفاة عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد اغتاله بالسم كسرى

العرب معاوية بن هند «۱»، و قد ترك ذلك حزنا عميقا فى نفس الإمام (ع) و بقية أفراد الأسرة النبوية فقد أذهلهم هذا المصاب الجلل.

و من أعظم المحن التى منى بها الإمام أنه رأى السيوف الآثمة فى صعيد كربلاء، و هى تحصد رءوس الصفوة من أهل بيت النبوة بصورة مفجعة لم يعهد لها نظير فى تأريخ الأمم و الشعوب، و بعد مصرع تلك الكوكبة من دعاة العدالة و الحق، أحاط الجناة من أجلاف أهل الكوفة بالإمام زين العابدين عليه السلام فأحرقوا خباءه و أخبية عقائل النبوة، و حملوه أسيرا إلى طاغية لئيم وضيع، و هو ابن مرجانة فقابله بالشماتة و الازدراء، و الإمام صابر قد أوكل أمره إلى الله، و بعد ذلك حمل إلى لقيط آخر و هو يزيد بن معاوية، و قد جرت عليه من المحن و الخطوب ما تذوب لها لفائف القلوب، و قد تجرع (ع) تلك الآلام القاصمة راضيا بقضاء الله، فأى نفس كانت نفسه و أى ضمير كان ضميره؟ أما نفسه فإنها قد رجعت عند كل هول عصف بها إلى خالق الكون و واهب الحياة، و أما ضميره فهو الطاهر النقى الذى هو أصلب و أقوى من كل شىء.

لقد كان الصبر على المصائب من عناصره و ذاتياته، و قد أثر عنه فى مدح الصبر أنه رأس طاعة الله «۲» و من عظيم صبره أنه سمع ناعية فى بيته،

---

(۱) منحه هذا اللقب الخليفة الثانى.

(۲) الإمام زين العابدين للمقرم (ص ۱۹).

و كان عنده جماعة فنهض ليرى ما ذا حدث، فأخبر أنه قد توفى أحد أبنائه، و رجع إلى مجلسه فأخبر أصحابه بالأمر فعجبوا من صبره، فقال لهم: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، و نحمده فيما نكره «۱» و كان يرى الصبر من الغنائم و الجزع من الضعف «۲».

إن قوة شخصيته، و عدم انهيارها أمام الأحداث المذهلة تعد من أندر الشخصيات على امتداد التأريخ.

العزة و الإباء:

و من ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام العزة و الإباء، فقد ورث ذلك من أبيه سيد الشهداء عليه السلام الذى مشى إلى الموت بشوق و رغبة فى سبيل عزته و كرامته فقد خيره الزعانف بين السلة و الذلة فاختار السلة، و خاطبهم بقوله: و الله لا أعطيكم بيدى إعطاء الذليل، و لا أقر لكم إقرار العبيد، و قد تمثلت هذه الظاهرة الكريمة فى الإمام زين العابدين، فقد قال:

«ما أحب أن لى ببذل نفسى حمر النعم» «۳» و قال فى عزة النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا» «۴». و لما حمل أسيرا إلى الشام لم يكلف أحدا من الموكلين بحراسته كما لم يكلم أى أحد منهم استهانة بهم و احتقارا لهم.

و يقول المؤرخون: إن أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حق و كان (ع) بمكة و الوليد الذى كان ملكا قد حضر موسم الحج فقيل له: لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك؟ فقال لهم هذه الكلمة الخالدة فى دنيا الشرف و الإباء:

---

(۱) حلية الأولياء ۳/ ۱۳۸.

(۲) الدر النظيم (ص ۱۷۳).

(۳) الخصال (ص ۲۴).

(۴) البحار ۷۸/ ۱۳۵.

«أ فى حرم الله عز و جل أسأل غير الله عز و جل!! إنى آنف أن أسأل الدنيا من خالقها فكيف أسألها مخلوقا مثلى ...» «۱» و من عزته انه ما أكل بقرابته من رسول الله (ص) درهما قط «۲» و نقل المؤرخون نوادر كثيرة من عزته و إبائه، و هى تكشف عن نفس عصية على الذل و الضيم.

الشجاعة:

و من عناصره النفسية الشجاعة و البسالة، فقد كان من أشجع الناس و أربطهم جأشا، فهو ابن الحسين الذى هو أشجع من ولد من صلب آدم ...

و كان من شجاعته النادرة أنه لما أدخل أسيرا على الطاغية عبيد الله بن مرجانة جابهه الطاغية بكلمات التشفى فأجابه الإمام بكلمات نارية ملتهبة كانت أشد على الطاغية اللئيم من وقع السيوف و ضرب السياط، و لم يحفل الإمام بسلطانه و جبروته، فاستشاط ابن مرجانة غيظا، و انتفخت أوداجه، و أمر بقتله، فلم يرتهب الإمام و لم يفزع، و إنما قال له بكل هدوء:

«القتل لنا عادة، و كرامتنا من الله الشهادة ..».

و لما أدخل على يزيد بن معاوية، قابله الإمام بكل جرأة، و نعى عليه ما اقترفه من عظيم الجرم، و سد عليه كل ثغرة يسلك منها للدفاع عن نفسه، و تبرير جريمته.

لقد ورث الشجاعة من أبويه على و الحسين اللذين هما من أشجع من خلق الله، فليس فى دنيا الإسلام، و لا فى غيره من يضارعهما فى البطولة و البسالة و قوة العزم، و الصلابة فى الدفاع عن الحق.

التجرد من الأنانية:

و من عناصره النفسية البارزة التجرد من كل أنانية، فلم يكن لها أى

---

(۱) البحار ۴۶/ ۶۴.

(۲) مجالس ثعلب ۲/ ۴۶۲.

سلطان عليه، و قد نقل المؤرخون عنه نوادر كثيرة تدلل على ذلك، كان من بينها أنه إذا أراد السفر سافر مع قوم لا يعرفونه ليقوم بنفسه برعايتهم و خدماتهم و لا يخدمه أحد منهم، و سافر مرة مع قوم لا يعرفونه، فنظر إليه رجل فعرفه فصاح بالقوم:

- «ويلكم أ تعرفون هذا؟ ..»

- «لا ندرى ..»

- «هذا على بن الحسين ..»

و أسرع القوم نحو الإمام، و جعلوا يقبلون يديه و رجليه رافعين عقيرتهم قائلين:

«أ تريد أن تصلينا نار جهنم؟ ما الذى حملك على هذا؟ ..»

فأجابهم بصوت خافت رقيق النبرات:

«كنت قد سافرت مع قوم يعرفوننى فأعطونى برسول الله (ص) ما لا أستحق و إنى أخاف أن تعطونى مثل ذلك، فصار كتمان أمرى أحب إلى ..» «۱».

و كان من تجرده من هذه الظاهرة أنه إذا مر بشارع، و رأى ما يؤذى السائرين فيه من حجر أو مدر «۲» نزل عن دابته، و نحاه بيده

الكريمة عن الطريق «۳» و كان إذا سار فى الطريق على بغلته لم يقل لأحد: الطريق، و يقول: هو مشترك، و ليس لى أن أنحى عنه أحدا «۴» لقد تجسدت فى هذه النفس العظيمة جميع خصائص النبى (ص) التى امتاز بها على سائر النبيين و التى كان من أبرزها سمو الآداب و مكارم الأخلاق.

---

(۱) عيون أخبار الرضا ۲/ ۱۴۵ و قريب منه فى الكامل للمبرد ۲/ ۴۸۲.

(۲) المدر: الطين الذى لا رمل فيه.

(۳) الإمام زين العابدين (ص ۷۰).

(۴) سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۴۰ تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۶۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۳

الإحسان إلى الناس:

و من ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام الإحسان إلى الناس و البر بهم فقد كان قلبه الشريف يفيض بالرحمة و الحنان عليهم، يقول المؤرخون:

إنه ما علم أن على أحد دينا، و له به مودة إلا- أدى عنه دينه «۱» و كان يبادر لقضاء حوائج الناس خوفا من أن يقوم بقضائها غيره فيحرم الثواب، و قد قال: إن عدوى يأتينى بحاجة فأبادر إلى قضائها خوفا من أن يسبقنى أحد إليها أو أن يستغنى عنها فتفوتنى فضيلتها «۲» و بلغ من عطفه على الناس ما رواه الزهرى قال: كنت عند على بن الحسين (ع) فجاء رجل من أصحابه، فقال له: إنى أصبحت و على أربعمائة دينار دين، و لا أتمكن من قضائها، و عندى عيال، و لم يكن عند الإمام فى ذلك الوقت شيء من المال ليسعفه به فبكى عليه السلام و قال: أية محنة أو مصيبة أعظم على حر مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها «۳».

السخاء:

أما السخاء فكان عنصرا من عناصره، و مقوما من مقوماته، و قد أجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس، و أنداهم كفا، و أبرهم بالفقراء و الضعفاء، و قد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده و كرمه كان منها ما يلى:

مع محمد بن أسامة:

و مرض محمد بن أسامة فعاده الإمام، و لما استقر به المجلس أجهش محمد بالبكاء فقال له الإمام:

«ما يبكيك؟»

«على دين».

«كم هو؟».

---

(۱) الإمام زيد لأبى زهرة (ص ۲۴).

(۲) ناسخ التواريخ ۱/ ۱۳.

(۳) أمالى الصدوق.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۴

«خمسة عشر ألف دينار».

«هى على».

و لم يقم الإمام (ع) من مجلسه حتى دفعها له «۱» و قد أزاح عنه كابوس الدين و همه.

إطعام عام:

و من كرمه و سخائه أنه كان يطعم الناس إطعاما عاما فى كل يوم فى يثرب، و ذلك فى وقت الظهر فى داره «۲».

إعالته بمائة بيت:

و من فيض جوده أنه كان يعول بمائة بيت بالمدينة فى السر «۳» و كان فى كل بيت جماعة من الناس «۴».

إن السخاء يدل على طهارة النفس من الشح، و على الشعور برحمة الناس و على شكر الله على عطائه.

حنوه على الفقراء:

اشارة

و من ذاتياته و عناصره العطف و الحنان على الفقراء و المحرومين و البؤساء، و نعرض لبعض شئونهم معهم:

أ- تكريمه للفقراء:

كان عليه السلام يحتفى بالفقراء، و يرعى عواطفهم و مشاعرهم، فكان

---

(۱) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵ سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۹ تأريخ الإسلام ۲/ ۲۶۶ الحلية ۳/ ۱۴۱.

(۲) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۶.

(۳) تهذيب اللغات و الأسماء (ص ۳۴۳).

(۴) البحار ۴۶/ ۸۸.

إذا أعطى سائلا قبله لئلا يرى عليه أثر الذل و الحاجة «۱» و كان إذا قصده سائل رحب به و قال له: مرحبا بمن يحمل زادى إلى دار الآخرة «۲».

إن تكريم الفقير بمثل هذا النحو من المودة و العطف مما يوجب تماسك المجتمع، و شيوع المحبة بين أبنائه.

ب- عطفه على الفقراء:

كان عليه السلام كثير العطف و الحنان على الفقراء و المساكين، و كان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى و الأضراء و الزمنى و المساكين الذين لا حيلة لهم، و كان يناولهم بيده «۳» كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتى بابا من أبوابهم فيناولهم إياه «۴»، و بلغ من مراعاته لجانب الفقراء و العطف عليهم أنه كره اجتذاذ النخل فى الليل، و ذلك لعدم حضور الفقراء فى هذا الوقت فيحرمون من العطاء فقد قال (ع): (لقهرمانه) و قد جذ نخلا له من آخر الليل «لا تفعل أ لا تعلم أن رسول الله (ص) نهى عن الحصاد و الجذاذ بالليل، و كان يقول: الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده «۵».

نهيه عن رد السائل:

و نهى الإمام (ع) عن رد السائل، و حرمانه من العطاء و ذلك لما له من المضاعفات السيئة التى منها زوال النعمة و فجأة النقمة فقد روى سعيد بن المسيب قال: حضرت عند على بن الحسين يوما حتى صلى الغداة فإذا سائل على الباب فقال (ع): أعطوا السائل، و لا تردوا السائل «۶» و أكد الإمام عليه

---

(۱) الحلية ۳/ ۱۳۷.

(۲) صفة الصفوة ۲/ ۵۳.

(۳) البحار ۴۶/ ۶۲.

(۴) البحار ۴۶/ ۶۲، و قريب منه فى دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۵.

(۵) وسائل الشيعة ۶/ ۱۳۸.

(۶) الكافى ۴/ ۱۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۶

السلام على ضرورة ذلك فى كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالى قال: صليت مع على بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلما فرغ من صلاته نهض إلى منزله، و أنا معه فدعا مولاة له تسمى سكينة، فقال لها: لا يعبر على بابى سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم يوم جمعة، فقال له أبو حمزة:

ليس كل من يسأل مستحقا، فقال (ع): أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقا فلا نطعمه، و نرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب و آله، أطعموهم، أطعموهم، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه، و يأكل منه هو و عياله، و إن سائلا مؤمنا صواما مستحقا له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان فطاره، فجعل يهتف على بابه: أطعموا السائل، الغريب الجائع من فضل طعامكم، و هم يسمعونه، قد جهلوا حقه، و لم يصدقوا قوله: فلما يئس منهم و غشيه الليل مضى على وجهه، و بات طاويا يشكو جوعه إلى الله، و بات يعقوب و آل يعقوب شباعا، بطانا، و عندهم فضلة من طعامهم، فأوحى الله إلى يعقوب فى صبيحة تلك الليلة لقد أذللت عبدى ذلة استجررت بها غضبى، و استوجبت بها أدبى، و نزول عقوبتى و بلواى عليك، و على ولدك، يا يعقوب أحب أنبيائى إلى و أكرمهم على من رحم مساكين عبادى، و قربهم إليه، و أطعمهم و كان له مأوى و ملجأ، يا يعقوب أ ما رحمت عبدى المجتهد فى عبادته، القانع بالسر من ظاهر الدنيا ... أما و عزتى لأنزلن بك بلواى، و لأجعلنك و ولدك غرضا للمصائب.

فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ «۱» قال (ع) فى تلك الليلة التى بات فيها يعقوب و آله شباعا، و بات السائل الفقير طاويا جائعا «۲».

إن حرمان الفقير المحتاج، و عدم إسعافه مما يوجب زوال النعمة، و حلول غضب الله، و قد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى بذلك، فلا ينبغى

---

(۱) هى التى رأى فيها أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر له ساجدين.

(۲) دار السلام ۲/ ۱۴۱ للنورى.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۷

لمن أحب بقاء نعمة الله عليه أن يرد سائلا أو يحرم بائسا و فقيرا مما هو وديعة فى يده.

صدقاته:

اشارة

و كان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فى حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم و رفع البؤس عنهم، و كان (ع) يحث على الصدقة، و ذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال «ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء فى تلك الساعة إلا أستجيب له» «۱» و نعرض إلى بعض ألوان صدقاته:

أ- التصدق بثيابه:

كان عليه السلام يلبس أفخر الثياب فكان يلبس فى الشتاء الخز فإذا جاء الصيف تصدق به أو باعه و تصدق بثمنه، و كان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر، و يتصدق بهما إذا جاء الشتاء «۲» و كان يقول: إنى لأستحى من ربى أن آكل ثمن ثوب قد عبدت اللّه فيه «۳».

ب- التصدق بما يحب:

كان عليه السلام يتصدق بما يحب، و يقول الرواة: إنه كان يتصدق باللوز و السكر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» «۴» و روى المؤرخون أنه كان يعجبه العنب، و كان صائما فقدمت له جاريته عنقودا من العنب وقت الإفطار فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، و قدمته إلى الإمام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر

---

(۱) وسائل الشيعة ۶/ ۲۹۶.

(۲) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۶۱.

(۳) ناسخ التواريخ ۱/ ۶۷.

(۴) البحار ۴۶/ ۸۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۸

(ع) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، و قدمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه «۱» و قد ضارع بهذه المبرة آباءه الذين قدموا قوتهم ثلاثة أيام متوالية و هم صائمون إلى المسكين و اليتيم و الأسير فأنزل الله فى حقهم سورة هَلْ أَتى التى بقيت و سام الشرف لهم على امتداد الزمن حتى يرث الله الأرض و من عليها.

ج- مقاسمة أمواله:

و قاسم الإمام أمواله مرتين فأخذ قسما له، و تصدق بالقسم الآخر على الفقراء و المساكين «۲» و قد ضارع بذلك عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد قاسم أمواله مرتين أو ثلاثا.

صدقاته فى السر:

و كان أحب شيء عند الإمام (ع) الصدقة فى السر لئلا يعرفه أحد، و قد أراد أن يربط نفسه، و من يعطيهم من الفقراء برباط الحب فى الله، و توثيقا لصلته باخوانه الفقراء فى الإسلام، و كان يحث على صدقة السر و يقول: إنها تطفئ غضب الرب «۳» و كان يخرج فى

غلس الليل البهيم فيوصل الفقراء بهباته و عطاياه، و هو متلثم، و قد اعتاد الفقراء على صلته لهم فى الليل فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا و قالوا: جاء صاحب الجراب «۴» و كان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئا من الدنانير، فيقول له العلوى: إن على بن الحسين لا يوصلنى، و يدعو عليه فيسمع الإمام ذلك، و يغضى عنه، و لا يعرفه بنفسه، و لما توفى (ع) فقد الصلة فعلم أن الذى

---

(۱) المحاسن للبرقى (ص ۵۴۷، فروع الكافى ۶/ ۳۵۰.

(۲) خلاصة تهذيب الكمال (ص ۲۳۱) الحلية ۳/ ۱۴۰ جمهرة الأولياء ۲/ ۷۱ البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵ طبقات ابن سعد ۵/ ۱۹.

(۳) تذكرة الحفاظ ۱/ ۷۵ أخبار الدول (ص ۱۱۰) نهاية الأرب ۲۱/ ۳۲۶.

(۴) البحار ۴۶/ ۸۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۹

كان يوصله هو، الإمام فكان يأتى إلى قبره باكيا و معتذرا منه «۱» و قال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات على ابن الحسين «۲». و روى المؤرخون أن جماعة من أهل المدينة كانوا يعيشون و هم لا يدرون من الذى يأتيهم بمعاشهم، فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتونه بالليل «۳» و كان عليه السلام شديد التكتم فى صلاته و هباته فكان إذا ناول أحدا شيئا غطى وجهه لئلا يعرفه «۴» و يقول الذهبى: إنه كان كثير الصدقة فى السر «۵»

و كان عليه السلام يجعل الطعام الذى يوزعه على الفقراء فى جراب و يحمله على ظهره و قد ترك أثرا عليه. و يروى اليعقوبى أنه لما غسل الإمام (ع) وجد على كتفيه جلب كجلب البعير «۶» فقيل لأهله ما هذه الآثار؟

فقالوا: من حمل الطعام فى الليل يدور به على منازل الفقراء «۷»

و على أى حال فقد كانت صدقاته فى السر من أعظم المبرات، و من أكثرها أجرا و ثوابا عند الله.

ابتغاؤه لمرضاة الله:

و لم يك الإمام عليه السلام يبتغى فى بره و إحسانه إلى الفقراء إلا وجه اللّه و الدار الآخرة، فكان من أبرز من عناهم الله تعالى بقوله: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۸».

---

(۱) البحار ۴۶/ ۱۰۰.

(۲) صفة الصفوة ۲/ ۵۴ الاتحاف بحب الاشراف (ص ۴۹).

(۳) الأغانى ۱۵/ ۳۲۶.

(۴) البحار ۴۶/ ۶۲.

(۵) تذكرة الحفاظ ۱/ ۷۵.

(۶) الجلب: جمع جلبة- بضم الجيم و سكون اللام- و هى القشرة التى تعلو الجرح عند البرء، و منه قولهم: «طارت جلبة الجرح» تاج العروس.

(۷) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۵.

(۸) سورة البقرة: آية ۲۶۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۰

إن عطايا الإمام و صدقاته للفقراء كانت خالصة لوجه الله غير مشوبة بأى غرض من أغراض الدنيا التى يؤول أمرها إلى التراب، و قد

روى الزهرى قال: رأيت على بن الحسين فى ليلة باردة، و هو يحمل على ظهره دقيقا فقلت له:

«يا ابن رسول اللّه ما هذا؟».

و سارع الإمام قائلا بصوت خافت:

«أعد سفرا، أعد له زادا أحمله إلى موضع حريز».

«هذا غلامى يحمله عنك ..».

فامتنع الإمام من إجابته، و تضرع الزهرى إليه أن يحمله هو بنفسه عنه إلا أن الإمام أصر على ما ذهب إليه و قال له:

«و لكنى لا أرفع نفسى عما ينجينى فى سفرى، و يحسن ورودى على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك ..».

و انصرف الزهرى عن الإمام، و بعد أيام التقى به، و قد ظن أنه كان على جناح سفر و لم يع مراده، فقال له:

«يا ابن رسول اللّه لست أرى لذلك السفر الذى تركته أثرا؟ ...».

فأخبره عليه السلام بالسفر الذى اعد له العدة، و هيأ له الجهاز اللازم، انه السفر إلى دار الحق قائلا:

«يا زهرى ليس ما ظننت، و لكنه الموت، و له استعد، إنما الاستعداد للموت، تجنب الحرام، و أبذل الندى للخير ...» «۱».

لقد كان انفاق الإمام عليه السلام على الفقراء انفاقا منبعثا عن طلب مرضاة اللّه و السعى وراء مغفرته و رضوانه.

---

(۱) علل الشرائع (ص ۸۸) البحار ۴۶/ ۶۵- ۶۶.

الزهد فى الدنيا:

و ظاهرة أخرى من نزعات الإمام النفسية، و هى الزهد فى الدنيا، و عدم الاعتناء بأى مبهج من مباهجها، لقد اعتصم الإمام بالزهد، و الاعراض الكامل عن الدنيا، فلم تفتنه و لم تخدعه، فقد عرف واقعها و حقيقتها، و علم أن الإنسان مهما تقلب فى الطيبات و المناعم لا بد أن يتحول عن هذه الحياة، و لا يجد بين يديه إلا ما عمل من خير، و قد شاع فى عصره أنه من أزهد الناس، و قد سئل الزهرى عن أزهد الناس فقال: على بن الحسين «۱» و قد رأى عليه السلام سائلا يبكى فتأثر منه، و راح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت فى كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغى له أن يبكى عليها» «۲» إن زهد الإمام لم يكن استكانة للفقر أو استسلاما للعجز أو قناعة بغير عمل، و إنما كان قائما على التقوى، و الورع عن محارم اللّه، و الاحتياط الشديد فى أمور الدين، شأنه فى ذلك شأن جده و أبيه اللذين طلقا الدنيا، و لم يحفلا بأى شأن من شئونها سوى ما يتصل بالحق و تأييد الفضيلة.

مع الصوفية:

و نظرا لزهد الإمام عليه السلام، و إعراضه الكامل عن الدنيا فقد عده الصوفيون من أعلامهم، و ترجموا له ترجمة وافية «۳» و جعله الكلاباذى ممن نطق بعلومهم و نشر مقاماتهم، و وصف احوالهم قولا و فعلا بعد الصحابة «۴» و هذا الرأى- فيما اعتقد- ليس موضوعيا، و إنما هو سطحى للغاية فإن منهج الصوفيين رفض الحياة الدنيا رفضا كاملا، و العيش فى ظلمات الكهوف، و لبس أخشن الثياب، و أكل الجشب من الطعام، و غير ذلك من الأمور التى

---

(۱) البحار ۴۶/ ۶۲.

(۲) الفصول المهمة (ص ۱۹۲).

(۳) جمهرة الأولياء ۲/ ۷۱ حلية الأولياء ۳/ ۱۳۳.

(۴) التعرف (ص ۱۱).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۹۲

لم تتفق مع واقع الدين الذى لم يقنن أى حكم فيه حرجا أو ضيقا على الناس لقد كانت الحياة التى عاشها الإمام زين العابدين (ع) تتجافى مع التصوف، فقد كان يلبس افخر الثياب، و يقول الرواة: أنه كان يلبس جبة خز، و مطرف «۱» خز و عمامة خز و فند بعض الباحثين عن التصوف الرأى القائل أنه من الصوفية، يقول: «فزهد على بن الحسين نفسى، و عقلى باطنى، و ذلك اجدى من الزهد القائم على الجوع، و لبس الصوف لأن الأول يمليه الادراك و تقيمه الفطرة العميقة إلى الحياة، أما اللباس ففيه تظاهر ..» «۲».

إن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام صريحة واضحة فى رفض المناهج الصوفية، يقول المؤرخون: ان الإمام الرضا (ع) لما بويع بولاية العهد قال له بعض الصوفية: إن الإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب، و يلبس الخشن، و كان الإمام متكئا فاستوى جالسا، فرد عليه هذا المقال الرخيص قائلا له:

«كان يوسف بن يعقوب نبيا فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب و القباطى المنسوجة بالذهب، و إنما يراد من الإمام قسط و عدل، إن اللّه لم يحرم ملبوسا و لا مطعما، و تلا قوله تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ «۳».

إن هذه السيرة الندية لا تلتقى بأى حال مع التصوف الذى لا يحمل أى طابع اسلامى.

كراهته للهو:

و من الصفات التى طبع عليها كراهته للهو، فقد كان يبغض الحياة التافهة و يمجها و لا يميل إليها، فلم ير فى جميع فترات حياته لاهيا و لا

---

(۱) المطرف: رداء من خز مربع ذى اعلام، القاموس.

(۲) الصلة بين التشيع و التصوف ۱/ ۱۶۹.

(۳) عيون أخبار الرضا.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۹۳

ضاحكا، و قد قال (ع): «من ضحك ضحكة مجّ من العلم مجة» و كان فى يثرب رجل بطال يضحك منه الناس، فقال: قد اعيانى هذا الرجل- يعنى الإمام زين العابدين- ان اضحكه، و اجتاز عليه الإمام و خلفه موليان له فبادر الرجل فانتزع الرداء منه، و ولى هاربا، فلم يلتفت له الإمام و سارع من كان مع الإمام فأخذوا الرداء منه، و طرحوه عليه فقال (ع) لهم: من هذا؟ فقالوا:

إنه بطال يضحك أهل المدينة منه، فقال (ع) قولوا له: ان للّه يوما يخسر فيه المبطلون «۱».

الإنابة إلى اللّه:

و من أبرز عناصر الإمام و ذاتياته الإنابة إلى اللّه، و الانقطاع إليه، و قد تمثل ذلك فى مناجاته، و أدعيته و عباراته التى حكت شدة اتصاله باللّه، خالق الكون و واهب الحياة.

لقد أناب الإمام إلى اللّه، و أوكل جميع أموره و مهامه إليه تعالى، فما أهمه أمر الا فزع الى اللّه، فقد أيقن أن الالتجاء إلى غيره يعود بالخيبة و الخسران، و قد روى المؤرخون أنه اجتاز على رجل جالس على باب رجل من الأثرياء فبادره الإمام قائلا:

- «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ ..».

- «البلاء- أى الفقر و البؤس-»

- «قم فارشدك إلى باب خير من بابه، و الى رب خير لك منه ..».

و نهض معه الرجل فأخذ به حتى انتهى به إلى مسجد رسول اللّه (ص) و قال له: استقبل القبلة، و صل ركعتين، و ارفع يدك بالدعاء إلى اللّه تعالى وصل على نبيه، ثم ادع بآخر سورة الحشر، و ست آيات من أول سورة الحديد، و بالآيتين فى أول سورة عمران، ثم سل اللّه سبحانه، فإنك لا

---

(۱) أمالى الصدوق (ص ۲۲۰).

تسأله شيئا إلا اعطاك «۱» إن من التجأ إلى اللّه فقد التجأ إلى حصن حريز، و أما الالتجاء إلى غيره فإنه لا يغنى شيئا، و لا يجدى نفعا.

صور رائعة من إنابته:

اشارة

للإمام زين العابدين عليه السلام من إنابته و عظيم اخلاصه للّه تعالى ما احتوت عليه صحيفته السجادية التى هى انجيل آل محمد (ص) و هى تصور مدى تمسك الإمام و تعلقه باللّه، و فيما يلى بعضها.

۱- التجاؤه إلى اللّه

و التجأ الإمام عليه السلام بقلبه و مشاعره نحو اللّه، و أوكل إليه جميع أموره صغيرها و كبيرها، و قد أدلى بذلك فى هذا الدعاء.

«اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك، و ان تشأ تعذبنا فبعدلك، فسهل لنا عفوك بمنك، و اجرنا من عذابك بتجاوزك، فإنه لا طاقة لنا بعدلك، و لا نجاة لأحد منا دون عفوك، يا غنى الأغنياء ها نحن عبادك بين يديك، و أنا افقر الفقراء إليك، فاجبر فاقتنا بوسعك، و لا تقطع رجاءنا بمنعك، فتكون قد اشقيت من استسعد بك، و حرمت من استرفد فضلك فإلى من حينئذ منقلبنا عنك، و إلى اين مذهبنا عن بابك، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم، و أهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم، و أشبه الأشياء بمشيتك، و أولى الأمور بك فى عظمتك، رحمة من استرحمك، و غوث من استغاث بك، فارحم تضرعنا إليك و اغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك، اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك، فصل على محمد و آله، و لا تشمته بنا بعد تركنا إياه لك، و رغبتنا عنه إليك ...» «۲».

و يلمس فى هذا الدعاء الشريف مدى التجاء الإمام إلى اللّه، و اعتصامه

---

(۱) الجنة الواقية و الجنة الباقية للكفعمى (ص ۱۹۰) مخطوط فى مكتبة السيد الحكيم تسلسل (۱۲۷۲).

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء العاشر.

به، فقد اعلن عليه السلام فقره و حاجته الملحة إلى عفو اللّه و لطفه، فهو يطلب منه أن لا يحرمه من فيضه و كرمه، و أن لا يقطع رجاءه بمنعه فيكون بذلك قد شقى بعد سعادته بمعرفته، و قد أبدى عليه السلام من التذلل و التضرع أمام الخالق العظيم ما جعله من سادات المتقين و المنيبين إلى الله تعالى.

۲- انقطاعه إلى اللّه:

و انقطع الإمام عليه السلام إلى اللّه انقطاعا كاملا و قد آمن إيمانا لا يخامره شك أن مصادر النفع و القوة إنما هى بيد اللّه تعالى وحده، و ان الالتجاء إلى غيره إنما هو التجاء إلى ما لا يملك نفعا و لا ضرا، و لنستمع إلى دعائه فى ذلك:

«اللهم إنى اخلصت بانقطاعى إليك، و اقبلت بكلى عليك، و صرفت وجهى عمن يحتاج إلى رفدك، و قلبت مسألتى عمن لم يستغن عن فضلك، و رأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه، و ضلة من عقله، فكم قد رأيت يا إلهى من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، و راموا الثروة من سواك فافتقروا، و حاولوا الارتفاع فاتضعوا، فصح بمعاينة أمثالهم حازم، وفقه اعتباره، و أرشده إلى طريق صوابه اختياره، فأنت يا مولاى دون كل مسئول موضع مسألتى، و دون كل مطلوب إليه ولى حاجتى، أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتى، لا يشركك أحد فى رجائى، و لا يتفق أحد معك فى دعائى، و لا ينظمه و إياك ندائى، لك يا إلهى وحدانية العدد، و ملكة القدرة الصمد، و فضيلة الحول و القوة، و درجة العلو و الرفعة، و من سواك مرحوم فى عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، مختلف الحالات، متنقل فى الصفات، فتعاليت عن الأشباه و الأضداد، و تكبرت عن الأمثال و الأنداد، فسبحانك لا إله إلا أنت ...» «۱».

و يلمس فى هذه اللوحة الذهبية مدى انقطاع الإمام إلى اللّه فقد أقبل بمشاعره و عواطفه نحوه تعالى، و صرف وجهه و قلبه عن غيره من المخلوقين

---

(۱) الصحيفة السجادية: الدعاء السابع و العشرون.

المحتاجين إلى رفده و عطائه، فإن تعلق الرجاء و الأمل بهم إنما هو سفه فى الرأى، و ضلال فى العقل، و قد حصر الإمام عليه السلام جميع موارد النفع و القوة به تعالى، و قد نعى على الذين يطلبون العزة، و الثروة، و الارتفاع من غير طريق اللّه فإنهم جميعا قد باءوا بالخيبة و الخسران، فقد ذلوا، و افتقروا، و اتضعوا، و ينبغى لكل من يروم الخير، و يطلب العزة و الكرامة أن يتصل باللّه و ينقطع إليه فهو وحده الذى بيده ملكوت كل شىء، و أما غيره فهو مرحوم فى عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، ... لقد احتوى هذا الدعاء على خالص الإيمان، و جوهر التوحيد.

۳- طلبه الحوائج من اللّه

و كان من إنابته إلى اللّه أنه قصر طلب حوائجه عليه تعالى وحده لأنه مصدر الفيض و منبع الرحمة و الإحسان، و كان يتوجه إلى اللّه و يدعوه بهذا الدعاء الشريف:

«اللهم يا منتهى مطلب الحاجات، و يا من عنده نيل الطلبات، و يا من لا يبيع نعمه بالأثمان، و يا من لا يكدر عطاياه بالامتنان، و يا من يستغنى به، و لا يستغنى عنه، و يا من يرغب إليه، و لا يرغب عنه، و يا من لا تفنى خزائنه المسائل، و يا من لا تبدل حكمته الوسائل و يا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، و يا من لا يعنيه دعاء الداعين، تمدحت بالغناء عن خلقك، و أنت أهل الغنى عنهم، و نسبتهم إلى الفقر، و هم أهل الفقر إليك، فمن حاول سد خلته من عندك، و رام صرف الفقر عن نفسه بك، فقد طلب حاجته فى مظانها، و أتى طلبته من وجهها، و من توجه بحاجته إلى أحد من خلقك، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان، و استحق من عندك فوت الإحسان.

اللهم ولى إليك حاجة قد قصر عنها جهدى، و تقطعت دونها حيلى، و سولت لى نفسى رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك، و لا يستغنى فى طلباته عنك، و هى زلة من زلل الخاطئين، و عثرة من عثرات المذنبين، ثم انتبهت

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۷

بتذكيرك لى من غفلتى، و نهضت بتوفيقك من زلتى، و رجعت و نكصت بتسديدك عن عثرتى، و قلت: سبحان ربى كيف يسأل محتاج محتاجا و أنى يرغب معدم إلى معدم؟ فقصدتك يا إلهى بالرغبة، و أوفدت عليك رجائى بالثقة بك، و علمت أن كثير ما اسألك يسير فى وجدك، و أن خطير ما استوهبك حقير فى وسعك، و أن كرمك لا يضيق عن سؤال أحد، و أن يدك بالعطايا أعلى من كل يد.

اللهم فصل على محمد و آله و احملنى بكرمك على التفضل، و لا تحملنى بعدلك على الاستحقاق، فما أنا بأول راغب رغب إليك فاعطيته، و هو يستحق المنع، و لا بأول سائل سألك فافضلت عليه، و هو يستوجب الحرمان.

اللهم صلّ على محمد و آله، و كن لدعائى مجيبا، و من ندائى قريبا، و لتضرعى راحما، و لصوتى سامعا، و لا تبت «۱» سببى منك، و لا توجهنى فى فى حاجتى هذه و غيرها إلى سواك، و تولنى بنجح طلبتى و قضاء حاجتى و نيل سؤالى قبل زوالى عن موقفى هذا بتيسيرك العسير، و حسن تقديرك لى فى جميع الأمور، و صل على محمد و آله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها، و لا منتهى لأمدها، و اجعل ذلك عونا لى و سببا لنجاح طلبتى، إنك واسع كريم،

و كان عليه السلام يذكر حاجته بعد هذا الدعاء ثم يسجد و يقول فى سجوده. فضلك آنسنى و احسانك دلنى، فاسألك بك و بمحمد و آله صلواتك عليهم أن لا تردنى خائبا .. «۲».

و حكى هذا الدعاء الشريف شدة تمسك الإمام عليه السلام باللّه، و عظيم إيمانه به، فقد ايقن بأنه تعالى وحده هو المنتهى فى طلب حوائج العباد، و هو الذى يفيض عليهم نعمه و الطافه، و لا يبيعها عليهم بالأثمان، و لا يكدرها عليهم بالمن، فبعطاياه يستغنى الإنسان، و إن جميع الخلق

---

(۱) البت: القطع.

(۲) الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث عشر.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۸

محتاجون إلى نيله، و مفتقرون إلى كرمه، و هو تعالى فى غنى عنهم، و إن الذكى العارف هو الذى يلتجئ إلى اللّه تعالى وحده فى سد خلته و صرف الفقر عن نفسه، و اما من توجه إلى غيره فى سد خلته و قضاء حوائجه فقد تعرض للحرمان، و فوت على نفسه الاحسان ... و يأخذ الإمام عليه السلام فى التضرع و التذلل إلى اللّه تعالى طالبا منه المغفرة و الرضوان و عرض (ع) إلى أن خطير ما سأله من اللّه إنما هو يسير بالنسبة إليه تعالى فهو ذو الهبات و العطايا الواسعة، و إن يده تفيض بالجود و الكرم و هى أعلى من كل يد كريمة و سخية.

حقا لقد كان هذا الإمام العظيم سيد العارفين، و إمام المتقين، و إن فى ادعيته و مناجاته مع اللّه أرصدة هائلة لإصلاح النفوس من الغى و التمرد و الشر.

۴- تضرعه إلى اللّه:

و من انابته إلى اللّه أنه كان دائم التضرع و الاستكانة إليه تعالى، و كان يدعو بهذا الدعاء الشريف:

«الهى احمدك- و أنت للحمد أهل- على حسن صنيعك إلى، و سبوغ نعمائك على، و جزيل عطائك عندى، و على ما فضلتنى به من رحمتك، و اسبغت «۱» على من نعمتك، فقد احسنت عندى ما يعجز عنه شكرى، و لو لا احسانك إلى و سبوغ نعمائك على ما بلغت احراز حظى، و لا اصلاح نفسى، و لكنك ابتدأتنى بالإحسان، و رزقتنى فى أمورى كلها الكفاية، و صرفت عنى جهد البلاء، و

منعت منى محذور القضاء.

الهى: فكم من بلاء جاهد «۲» قد صرفت عنى، و كم من نعمة سابغة أقررت بها عينى، و كم من صنيعة كريمة لك عندى، أنت الذى اجبت عند الاضطرار دعوتى، و أقلت عند العثار زلتى، و أخذت لى من الأعداء بظلامتى

---

(۱) اسبغت: اى أوسعت على.

(۲) جاهد: أى موجب للمشقة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۹

إلهى، ما وجدتك بخيلا- حين سألتك، و لا منقبضا حين اردتك بل وجدتك لدعائى سامعا، و لمطالبى معطيا، و وجدت نعماك على سابغة فى كل شأن من شأنى، و كل زمان من زمانى، فأنت عندى محمود، و صنيعك لدى مبرور، تحمدك نفسى و لسانى و عقلى حمدا يبلغ الوفاء و حقيقة الشكر حمدا يكون مبلغ رضاك عنى، فنجنى من سخطك يا كهفى حين تعيينى المذاهب، و يا مقيلى عثرتى، فلولا سترك عورتى لكنت من المفضوحين، و يا مؤيدى بالنصر، فلولا نصرك إياى لكنت من المغلوبين، و يا من وضعت له الملوك نير «۱» المذلة على اعناقها، فهم من سطواته خائفون و يا أهل التقوى، و يا من له الأسماء الحسنى، اسألك أن تعفو عنى، و تغفر لى، فلست بريئا فاعتذر، و لا بذى قوة فأنتصر، و لا مفر لى فافر، و استقيلك عثراتى، و اتنصل إليك من ذنوبى التى قد أوبقتنى، و أحاطت بى فأهلكتنى، منها فررت إليك رب تائبا، فتب على متعوذا، فاعذنى مستجيرا، فلا تخذلنى سائلا، فلا تحرمنى معتصما، فلا تسلمنى داعيا، فلا تردنى خائبا، دعوتك يا رب مسكينا مستكينا «۲» مشفقا «۳» خائفا، وجلا فقيرا، مضطرا إليك، اشكو إليك يا إلهى ضعف نفسى عن المسارعة فيما وعدته أولياءك و المجانبة عما حذرته اعداءك، و كثرة همومى، و وسوسة نفسى.

إلهى: لم تفضحنى بسريرتى و لم تهلكنى بجريرتى، ادعوك فتجيبنى و إن كنت بطيئا حين تدعونى، و أسألك كل ما شئت من حوائجى، و حيث ما كنت وضعت عندك سرى فلا ادعو سواك، و لا ارجو غيرك لبيك، لبيك تسمع من شكا إليك، و تلقى من توكل عليك، و تخلص من اعتصم بك، و تفرج عمن لاذ بك.

الهى: فلا تحرمنى خير الآخرة و الأولى لقلة شكرى، و اغفر لى ما تعلم من ذنوبى، إن تعذب فأنا الظالم المفرط المضيع الآثم المقصر

---

(۱) النير: الخشبة التى توضع على عنق الثور وقت الحرث.

(۲) المستكين: المتضرع.

(۳) مشفقا: أى خائفا أشد الخوف.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۰

المضجع «۱» المغفل حظ نفسى، و ان تغفر فأنت ارحم الراحمين ..» «۲».

و يفيض هذا الدعاء الشريف بالاستكانة و التذلل و الخضوع إلى اللّه الخالق العظيم، و قد حمد الإمام (ع) عن إيمان و معرفة و اخلاص، و اعترف بعجزه عن أداء شكره لما أولاه من النعم و لما اسدى عليه من الألطاف التى لا- تحصى و طلب منه بعد ذلك المغفرة و العفو مستجيرا و معتصما به، و قد ابدى عليه السلام من الخوف و الوجل من اللّه تعالى مما يهز أعماق النفوس و دخائل القلوب.

۵- تذلّله أمام اللّه:

و ذاب الإمام عليه السلام فى محبة اللّه، و اخلص له كأعظم ما يكون الاخلاص، و قد تضرع إليه، و تذلل أمامه، و كان من مظاهر

تذلّله أنه كان يدعو بهذا الدعاء الشريف.

«رب افحمتنى ذنوبى، و انقطعت مقالتى، فلا حجة لى، فأنا الأسير ببليتى، المرتهن بعملى، المتردد فى خطيئتى، المتحير عن قصدى، المنقطع بى، قد أوقفت نفسى موقف الاذلاء المذنبين، موقف الاشقياء المتجرئين عليك، المستخفين بوعدك، سبحانك أى جرأة اجترأت عليك، و أى تغرير غررت بنفسى؟! مولاى ارحم كبوتى لحر وجهى، و زلة قدمى، وعد بحلمك على جهلنى، و باحسانك على اساءتى، فأنا المقر بذنبى، المعترف بخطيئتى، و هذه يدى و ناصيتى «۳» استكين بالقود من نفسى، ارحم شيبتى، و نفاد أيامى، و اقتراب أجلى، و ضعفى، و مسكنتى، و قلة حيلتى، مولاى: و ارحمنى إذا انقطع من الدنيا أثرى، و امحى من المخلوقين ذكرى، و كنت من المنسيين كمن قد نسى، مولاى و ارحمنى عند تغير صورتى و حالى إذا بلى جسمى، و تفرقت اعضائى، و تقطعت اوصالى، يا غفلتى عما يراد

---

(۱) المضجع: المتهاون فى الأمر و المقصر فيه.

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء الخمسون.

(۳) الناهية مقدم الرأس.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۱

بى، مولاى و ارحمنى فى حشرى و نشرى «۱» و اجعل فى ذلك اليوم موقفى، و فى احبائك مصدرى، و فى جوارك مسكنى يا رب العالمين ..» «۲».

لقد استوعب الإيمان باللّه قلب الإمام، و ميول فطرته، و حركات جسمه، و لفتات جوارحه و سلوكه، و بهذا الرصيد الهائل من الإيمان استحق أن يكون إمام المتقين، و سيد المنيبين .. و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض عناصره النفسية.

---

(۱) الحشر: هو الجمع، و النشر هو الرجوع إلى الحياة بعد الموت.

(۲) الصحيفة السجادية الدعاء الثانى و الخمسون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۳

إمامته

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۵

الإمامة عنصر حى فى تكوين الفكر السياسى و الحضارى فى الإسلام، و هى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة، بل هى جوهره و حقيقته، و الإسلام بدونها يفقد ذاتياته و فعالياته، و يكون جامدا و شبحا مبهما و عصبا خاليا من الحياة و الإحساس و نعرض- بإيجاز- إلى شئون الإمامة، و إلى إمامة الإمام زين العابدين (ع) و إلى ما أثر عنه فى هذا المجال.

معنى الإمامة:

أما معنى الإمامة و مدلولها فهى- كما حددها علماء الكلام و غيرهم- عبارة عن القيادة الروحية و الزمنية للأمة لشخص تتوفر فيه النزعات الخيرة، و الصفات الشريفة و التى من أهمها العدالة، و نكران الذات، و التجرد من الأنانية، و عدم الانقياد للعواطف و سائر

المؤثرات الخارجية سوى ما يتصل منها بالحق و العدل.

ضرورة الإمامة:

أما الإمامة فى الإسلام فهى ضرورية لا غنى للحياة الإسلامية عنها، و هى عنصر أساسى فى إقامة العدل الاجتماعى، و بناء مجتمع أفضل لا ظل فيه للغبن الاجتماعى، و لا شبح فيه للفقر و الحرمان.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۶

إن الإمامة فى الإسلام تعنى بتوزيع خيرات اللّه على عباده، و توفير الفرص المتكافئة لهم، و حمايتهم من الاستغلال و الاستعباد، و هى من أسمى ما توصل إليه تطور الفكر البشرى فى عالم الحكم و السياسة، و هى إنما تحقق الوسيلة التى خططها لها الإسلام فيما إذا تقلدها الأئمة المتقون من عترة النبى (ص) الذين هم عدلاء الذكر الحكيم، و سفن نجاة هذه الأمة، و سنوضح ذلك فى البحث التالى.

النبى و الإمامة:

و الشىء المؤكد الذى لا خفاء فيه أن النبى (ص) قد رتب الخلافة و الإمامة من بعده و لم يترك الأمة من بعده فوضى تتعرض للأخطار و الأزمات، فقد نص على خلفائه الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته، و فى طليعتهم سيدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد نصبه علما و مرجعا للأمة، و لم يكن (ص) بذلك مدفوعا بأى عاطفة من العواطف التقليدية، و إنما قلد الإمام (ع) هذا المنصب الخطير لكفاءته و مواهبه و عبقرياته و شدة احتياطه فى الدين، فقد اجمع علماء المسلمين على اختلاف ميولهم و مذاهبهم على أن الإمام أعلم من فى الأمة بعد النبى (ص) و أدراهم بشئون الشريعة و أحكام الدين، و اعرفهم بالشؤون السياسية و العسكرية و الاجتماعية لا سيما و أن الأمة كانت جديدة عهد بالإسلام فهى تحتاج قبل كل شىء إلى بيان محاسن أحكام الشريعة الإسلامية، و تفصيل ما تبتلى به من العقود و الايقاعات و المواريث و الحدود، و غيرها، و من الطبيعى أن عدم ترشيحه لهذا المنصب إنما هو حرمان للأمة من التمتع بمواهب هذا العملاق العظيم، و هذا مما يمتنع عقلا صدوره عن النبى (ص) الحريص على أمته الرءوف بها كما قال تعالى:

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» «۱».

---

(۱) سورة التوبة: آية ۱۲۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۷

أما النصوص التى أثرت عن النبى (ص) فى النص على إمامة الإمام أمير المؤمنين (ع) فهى مجموعة ضخمة أجمع الرواة و المؤرخون على روايتها، و من أهمها حديث الغدير المتواتر الذى نصب فيه النبى (ص) الإمام خليفة من بعده، و أمر المسلمين بمبايعته، و قال فيه: «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه». و قد سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن معنى هذا الحديث فقال (ع)، إن رسول اللّه (ص) أخبرهم الإمام من بعده «۱».

و قد عرض السادة العلماء من الشيعة فى كتبهم الكلامية و غيرها إلى إقامة الدولة العلمية التى لا تقبل الجدل و الشك على إمامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام و أنهم أوصياء النبى (ص) و خلفاؤه، و أن سيرتهم و مآثرهم تدلل على إمامتهم، و نيابتهم العامة عن الرسول (ص) كما تدلل على أنهم يملكون أرصدة هائلة من العلم و التقوى و الحريجة فى الدين لا يملكها أحد غيرهم.

سمو منزلة الأئمة:

أما سمو منزلة الأئمة، و عظيم مكانتهم عند الله فلا يعرفها أحد سواهم، و قد تحدث عنها الإمام زين العابدين عليه السلام فى مواضع متعددة كان منها:

۱- قال عليه السلام: «أن اللّه خلق محمدا و عليا واحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحا فى ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون اللّه و يقدسونه، و هم الأئمة من ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ..» «۲». و قد اعتقد بذلك حكيم المعرة أبو العلاء المعرى الذى كان يسىء الظن بالناس سوى ائمة أهل البيت (ع) يقول:

و الشخوص التى اضاء سناهاقبل خلق المريخ و الميزان

قبل أن تخلق السمواتو تؤمر افلاكهن بالدوران

---

(۱) معانى الأخبار للصدوق (ص ۶۵).

(۲) أصول الكافى ۱/ ۵۳۰.

۲- قال عليه السلام: «نحن أئمة المسلمين، و حجج اللّه على العالمين، و سادة المؤمنين، و قادة الغر المحجلين، و موالى المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، و بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، و لم تخل الأرض منذ خلق اللّه الأرض من حجة للّه مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة للّه فيها، و لو لا ذلك لم يعبد اللّه ...».

فانبرى إليه شخص قائلا:

«كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟ ..»

ورد الإمام عليه هذه الشبهة ببرهان قاطع قائلا:

«كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب ...» «۱».

أجل- و اللّه- إن أئمة أهل البيت هم أئمة المسلمين، و حجج اللّه على الخلق اجمعين، و لولاهم ما عبد اللّه عابد، و لا وحده موحد، و لا اقيمت للإسلام سنة، و لا دانت له كلمة، و لا رفعت له شعائر، و هم الآية المخزونة، و الباب المبتلى به الناس من عرفهم ودان لهم بالولاء فقد نجا، و من جحدهم و خالفهم فقد هوى.

۳- قال عليه السلام: «رب صل على أطايب أهل بيته- يعنى أهل بيت النبى- الذين اخترتهم لأمرك، و جعلتهم خزنة علمك، و حفظة دينك، و خلفاءك فى أرضك، و حججك على عبادك، و طهرتهم من الرجس و الدنس تطهيرا بإرادتك، و جعلتهم الوسيلة إليك، و المسلك إلى جنتك، رب صل على محمد و آله صلاة تجزل لهم بها من نحلك «۲» و كرامتك، و تكمل لهم الأشياء من عطاياك و نوافلك «۳» و توفر عليهم الحظ من عوائدك، و فوائدك،

---

(۱) أمالى الصدوق (ص ۱۱۲) ينابيع المودة ۳/ ۱۴۷، روضة الواعظين (ص ۱۷۰).

(۲) نحلك: جمع نحلة و هى العطية.

(۳) نوافلك: جمع نافلة و هى العطية الفاضلة.

رب صل عليه و عليهم صلاة لا أمد فى أولها، و لا غاية لأمدها، و لا نهاية لآخرها، رب صل عليهم زنة عرشك، و ما دونه، و ملء سماواتك و ما فوقهن و عدد أراضيك، و ما تحتهن و ما بينهن، صلاة تقربهم منك زلفى، و تكون لك و لهم رضى، و متصلة

بنظائرهن أبدا» «۱».

لقد اختار اللّه أئمة أهل البيت عليهم السلام لأداء رسالته، و جعلهم خزنة لعلمه و حفظة لدينه، و خلفاء فى أرضه، و حججا على عباده، و وهبهم المنزلة الرفيعة عنده فهم الوسيلة إليه، و المسلك إلى جنته، و الأبواب لرحمته.

۴- قال عليه السلام: «نحن خلفاء الأرض، و نحن أولى الناس باللّه، و نحن المخصوصون فى كتاب اللّه، و نحن أولى الناس باللّه، و نحن الذين شرع اللّه لنا دينه، فقال: «شرع لكم فى الدين ما وصى به نوحا، و الذين أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى» فقد علمنا، و بلغنا و استودعنا علمهم و نحن ورثة الأنبياء، و نحن ذرية أولى العلم، أن أقيموا الدين بآل محمد (ص) و لا تتفرقوا فيه ...» «۲».

أما أنتم- يا أئمة اهل البيت- فخلفاء اللّه فى أرضه، و أولى الناس باللّه، قد شرع اللّه لكم دينه، و اصطفاكم لتبليغه، و ارتضاكم لأداء أمانته، لا يجحد فضلكم إلا كافر أو منحرف عن الدين، و لا يحبكم إلا كل مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان.

لزوم الرجوع إلى الأئمة:

و يجب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام فى أخذ الأحكام الدينية منهم لأنهم أدرى بشئون الشريعة، و اعرف بأحكام الدين من غيرهم، و قد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك بقوله:

---

(۱) الصحيفة السجادية الدعاء السادس و الأربعون.

(۲) ناسخ التواريخ ۲/ ۴۹، البحار.

«إن دين اللّه عزّ و جلّ لا يصاب بالعقول الناقصة و الآراء الباطلة، و المقاييس الفاسدة، و لا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، و من اقتدى بنا هدى، و من كان يعمل بالقياس و الرأى هلك، و من وجد فى نفسه شيئا مما نقوله أو نقضى به حرجا كفر بالذى انزل السبع المثانى، و القرآن العظيم، و هو لا يعلم ..» «۱» لقد اثبتت البحوث الفقهية و الأصولية التى ذكرها علماء الشيعة الإمامية بطلان التمسك بالقياس و الاستحسان فى شئون الشريعة الإسلامية، و ان علم الفقه علم توقيفى يجب التعبد فيه بالنص، فإن فقد النص أو كان مجملا- أو معارضا بمثله فيجب الرجوع إلى الأصول العملية، و هى التى يرجع إليها الشاك فى مقام العمل، أما الرجوع إلى غير ذلك من القياس و نحوه فإنه لا يجزى و مؤاخذ عليه.

وجوب طاعة الإمام:

و اهتم الإسلام اهتماما بالغا باطاعة الإمام لأن إقامة النظام الاجتماعى فى الإسلام يرتبط بها و يتوقف عليها سير الحياة الاسلامية، كما أن فى التمرد و عدم الطاعة اخلالا فى النظام، و إشاعة للفوضى، و تعريض الأمة للأزمات و الأخطار، و قد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على لزوم طاعة الإمام، و ذكر أهميته و سمو منزلته، قال (ع):

«اللهم إنك أيدت دينك فى كل أوان بإمام اقمته علما لعبادك، و منارا فى بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، و الذريعة إلى رضوانك و افترضت طاعته، و حذرت معصيته، و أمرت بامتثال أوامره، و الانتهاء عند نهيه، و الا يتقدمه متقدم و لا يتأخر عنه متأخر، فهو عصمة اللائذين، و كهف المؤمنين، و عروة المستمسكين و بهاء العالمين.

اللهم فاوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه، و أوزعنا مثله فيه، و آته من لدنك سلطانا نصيرا، و افتح له فتحا يسيرا، و اعنه بركنك الأعز، و أشدد

(۱) ناسخ التواريخ ۱/ ۱۴۱ نقلة عن اكمال الدين.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۱۱

ازره، و قو عضده، و راعه بعينك، و احمه بحفظك، و انصره بملائكتك و امده بجندك الأغلب، و اقم به كتابك، و حدودك و شرائعك، و سنن رسولك صلواتك اللهم عليه و آله، و أحى به ما أماته الظالمون من معالم دينك، و أجل به صدأ الجور عن طريقتك، و ابن به الضراء من سبيلك، و أزل به الناكبين عن صراطك، و امحق به بغاة قصدك عوجا، و الن جانبه لأوليائك، و ابسط يده على أعدائك، و هب لنا رأفته، و رحمته و تعطفه و تحننه، و اجعلنا له سامعين مطيعين، و فى رضاه ساعين، و إلى نصرته و المدافعة عنه مكنفين «۱» و إليك و إلى رسولك صلواتك اللهم عليه و آله بذلك متقربين ...» و اعرب الإمام عليه السلام فى هذه القطعة من كلامه عن وجوب طاعة الإمام، و حرمة مخالفته، و لزوم السير على خطه و منهاجه، كما اعرب (ع) عن سمو منزلة الإمام و أهميته فهو عصمة اللائذين، و كهف المؤمنين، و عروة المستمسكين و قد دعا عليه السلام له بالحفظ و النصر و الفتح المبين، و التسديد لإقامة فرائض الدين، و إحياء سنن الرسول (ص) التى أجهزت عليها القوى الظالمة و المنحرفة عن الإسلام.

عصمة الإمام:

من الصفات الأولية التى يجب أن تتوفر فى الإمام العصمة من كل دنس و إثم سواء ما ظهر منها أم ما بطن، و يجب أن يتخلى عن ذلك فى جميع مراحل حياته، و قد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بضرورة اتصاف الإمام بالعصمة قال (ع):

«إن الإمام منا لا يكون إلا معصوما ..».

و سئل عن معنى المعصوم فقال:

«و هو المعتصم بحبل اللّه، و حبل اللّه هو و القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة» «۲» و أنكر من لا حريجة له فى الدين على الشيعة قولهم: بعصمة

(۱) الصحيفة السجادية: الدعاء السادس و الأربعون.

(۲) تأريخ التربية عند الإمامية (ص ۱۹).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۱۲

أئمتهم، و عابوا عليهم ذلك، و قد قاسوا الأئمة بسائر الناس الذين يخضعون لأهوائهم و شهواتهم، و كان ذلك ناشئا إما عن حقد على أهل البيت أو عن جهل بمعرفتهم، فمن المؤكد أن من يمعن النظر فى سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام فإنه يؤمن إيمانا لا يخامره أدنى شك فى أنهم سلام اللّه عليهم يملكون ارصدة هائلة من التقوى و الإيمان تمنعهم من اقتراف أى ذنب، أ لم يقل سيد العترة الإمام أمير المؤمنين (ع):

«و اللّه لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت افلاكهن على أن اعصى اللّه فى جلب شعيرة اسلبها من فم جرادة ما فعلت» أ ليست هذه هى العصمة؟

و لكن الناقدين للشيعة قد وضعوا حجابا على عقولهم فهم لا يفقهون.

إمامته:

اشارة

و بعد الحديث إلى ما أثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام فى شئون الإمامة نعود إلى البحث عن إمامته، و هى من البديهيات التى لا تقبل الجدل و الشك، و ذلك لما يتمتع به من النزعات الكريمة و الصفات الرفيعة التى لا توجد إلا عند من امتحن اللّه قلبه للإيمان، و قد ألمحنا إلى بعضها عند البحث عن سلوكه، و عناصره النفسية و مما يدلل على إمامته ما يلى:

النص على إمامته:

و يعتبر النص على الإمام ضروريا عند الشيعة الإمامية فى تعيين الإمام، و نفى الريب عنه، و قد تواترت النصوص على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام، و نشير إلى بعضها:

۱- إن الرسول الأعظم (ص) عين أوصياءه و خلفاءه الاثنى عشر من بعده، و صرح بأسمائهم، و منهم الإمام زين العابدين (ع) و قد تضافرت النصوص بذلك «۱».

---

(۱) كفاية الأثر (ص ۳۱۱) الغيبة للطوسى (ص ۱۰۵) مختصر البصائر (ص ۳۹) سليم بن قيس (ص ۹۴).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۳

۲- إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد نص على إمامة حفيده زين العابدين و ذلك حينما حضرته الوفاة فقد اوصى إلى ابنه الزكى الإمام الحسن عليه السلام و عينه من بعده و دفع إليه مواريث الأنبياء، و اشهد على ذلك ولده الإمام الحسين و محمد بن الحنفية و جميع أولاده و رؤساء شيعته و قال للحسين: إنك القائم بعد اخيك الحسن، و إن رسول اللّه (ص) يأمرك أن تدفع المواريث من بعدك إلى ولدك زين العابدين فإنه الحجة من بعدك، ثم أخذ بيد زين العابدين و كان طفلا و قال له: إن رسول اللّه (ص) يأمرك أن توصى بالإمامة من بعدك إلى ولدك محمد الباقر و اقرئه من رسول اللّه و منى السلام» «۱».

۳- و نص الإمام الحسين على إمامة ولده زين العابدين عليه السلام، و عهد إليه بالإمامة من بعده، فقد روى الزهرى قال: كنت عند الحسين بن على إذ دخل على بن الحسين الأصغر- يعنى زين العابدين- فدعاه الحسين و ضمه إليه ضما، و قبل ما بين عينيه، و التفت الزهرى إلى الإمام الحسين فقال له:

«يا ابن رسول اللّه إن كان ما نعوذ باللّه أن نراه فإلى من؟ ..».

فقال الحسين:

«على ابنى هذا هو الإمام أبو الأئمة ..» «۲».

و روى مثل هذا الحديث عبد الله بن عتبة «۳» و يقول رواة الشيعة: إن الإمام الحسين عليه السلام لما اراد السفر إلى العراق استودع المواريث التى تسلمها من أخيه الحسن عند السيدة أم سلمة زوجة النبى (ص) و أمرها أن تدفعها من بعده إلى زين العابدين، و لما رجع الإمام السجاد إلى يثرب بعد شهادة أبيه سلمته أم سلمة الوديعة التى عندها «۴» و هى من أمارات الإمامة

---

(۱) أصول الكافى باب النص على أمامة الحسن.

(۲) روضات الجنات ۲۴۷- ۲۴۸.

(۳) إثبات الهداة ۵/ ۲۱۴.

(۴) أصول الكافى باب النص على إمامة على بن الحسين.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۴

و ولائها، و كثير من أمثال هذه النصوص قد دونتها كتب الشيعة القدامى، و لو لم تك هذه النصوص لكانت مثله العليا، و صفاته

الرفيعة تدلل على امامته.

الإمامة فى عصره:

أما الإمامة فى إطارها الفكرى حسب العقيدة الشيعية فإنها لم تتبلور فى عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يكن يفهمها أو يدين بها إلا- أقل القليل من خواص الشيعة من الذين صهرت نفوسهم تعاليم الإسلام و قيمه، يقول الحسين بن عبد الوهاب: «و صارت الإمامة- فى عصر الإمام- مكتومة مستورة إلا ممن اتبعه من المؤمنين «۱».

لقد احاطت بالإمام مجموعة من العوامل الرهيبة دعته ألا يتمكن من إظهار المعطيات الضخمة للإمامة، و بيان الحق أصولا و فروعا إلا لطائفة قليلة من خواصه و شيعته «۲» و ذكر الكشى فى ترجمة سعيد بن المسيب أن الفضل ابن شاذان قال: «لم يكن فى زمان على بن الحسين عليه السلام فى أول أمره إلا خمسة انفس: سعيد بن جبير، و سعيد بن المسيب، و محمد بن جبير بن مطعم، و يحيى بن أمّ الطويل، و أبو خالد الكابلى، فهؤلاء كانوا يعرفون الإمامة و يدينون بها دون غيرهم «۳».

لقد اعتزل الإمام عن الناس فترة من الزمن كما اعتزل جده الإمام أمير المؤمنين أيام الخلفاء، و صار جليس بيته، و قد ضرب الإمام زين العابدين لنفسه بيتا من الشعر خارج المدينة «۴» مشتغلا بالعبادة و نشر العلم، و قد حقن بذلك دمه و دماء البقية الباقية من أهل البيت، و أنقذهم من شر ذلك الحكم الأسود الذى امتحن به المسلمون امتحانا عسيرا.

و على أى حال فإن المجتمع الإسلامى لم يع الأهداف المشرقة التى

---

(۱) عيون المعجزات (ص ۳۱) مخطوط.

(۲) روضات الجنات ۴/ ۴۴.

(۳) رجال الكشى.

(۴) فرحة الغرى (ص ۳۳).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۵

تنشدها الإمامة، كما لم يع الصفات الرفيعة التى يجب أن تتوفر فى الإمام من العصمة و وفور العلم، و الدراية التامة بما تحتاج إليها الأمة فى مجالاتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، و يعود السبب فى ذلك إلى اضطهاد الشيعة رسميا، و تصفيتهم جسديا، و اخلاد الكثير منهم فى ظلمات السجون، و حجبهم عن الإمام زين العابدين (ع) و ذلك من قبل الدولة الأموية العفنة التى ما تركت لونا من ألوان الظلم و الجور إلا صبته على المسلمين.

إمامة محمد بن الحنفية:

و وصف المؤرخون محمد بن الحنفية بأنه من رجال الدهر فى العلم و الزهد و العبادة و الشجاعة، و هو من أفضل أولاد الإمام أمير المؤمنين بعد الإمامين الحسن و الحسين عليهما السلام «۱» و كان ورعا واسع العلم «۲» و قد مالت إليه القلوب «۳» و قد دانت بإمامته فرقة من المسلمين سميت بالكيسانية، و هى من أقدم الفرق الإسلامية، و قد منحوه لقب المهدى الذى بشر به النبى الأعظم (ص) و هو قائم آل محمد (ص) الذى اخبر عنه (ص) بأنه سيخرج فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا و قسطا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و كان ممن دان بإمامته الشاعر الإسلامى الكبير السيد الحميرى، و قد اعتقد ببقائه حيا، و أنه مقيم بجبل رضوى، و عنده عسل و ماء، و قد نظم ذلك فى هذه الأبيات الذائعة:

ألا ان الأئمة من قريش‌ولاة الحق اربعة سواء

على و الثلاثة من بنيه‌هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط «۴» سبط إيمان وبرو سبط «۵» غيبته كربلاء

---

(۱) عمدة الطالب.

(۲) الحلية ۳/ ۱۷۴.

(۳) الحلية ۳/ ۱۷۴.

(۴) اراد بالسبط الإمام الزكى ريحانة رسول الحسن عليه السلام.

(۵) أراد بالسبط الإمام الحسين أبا الأحرار و سيد الشهداء.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۶

و سبط «۱» لا يذوق الموت حتى‌يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانابرضوى عنده عسل و ماء «۲» إلا أنه لما تبين له الحق رجع عن معتقده، و دان بإمامة الأئمة الطاهرين (ع) و قد اعلن ولاءه للإمام الأعظم جعفر الصادق عليه السلام بقوله:

تجعفرت باسم اللّه و اللّه أكبرو أيقنت ان اللّه يعفو و يغفر «۳»

الإمام مع محمد بن الحنفية:

و من المؤكد أن محمد بن الحنفية كان يدين بالإمامة للإمام زين العابدين (ع)، و لم يدع الإمامة لنفسه، و إنما ادعاها الناس له، و حاشا أن يدعى ما ليس له، فقد كان من أشد الناس ورعا، و من أكثرهم تحرجا فى الدين، و كان على بينة من أمر الإمامة فى أنها ليست بيد أحد، و إنما أمرها إلى اللّه فهو الذى يهبها لمن يشاء من عباده، و هو على يقين أن إمام عصره هو الإمام زين العابدين عليه السلام، و يقول الرواة: أنه جرى بينه و بين الإمام نزاع صورى حول الإمامة فاتفقا على المضى إلى الكعبة ليتحاكما عند الحجر الأسود، و هو الذى يكون حاكما بينهما و إنما اتفقا على ذلك لبلورة الرأى العام، و إرجاع القائلين بإمامة محمد إلى الحق، و سافرا الى مكة فلما انتهيا إليها توجها نحو البيت الحرام، و استقبل الإمام الحجر الأسود، و دعا بهذا الدعاء:

«اللهم إنى أسألك باسمك المكتوب فى سرادق المجد، و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق البهاء، و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق العظمة و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق الجلال، و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق العزة، و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق القدرة،

---

(۱) أراد به محمد بن الحنفية.

(۲) الأغانى ۷/ ۲۴۵ و فى البداية و النهاية ۹/ ۳۸ أن هذه الأبيات إلى الشاعر كثير.

(۳) الأغانى ۷/ ۲۳۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۷

و أسألك باسمك المكتوب فى سرادق السرائر، السابق، الفائق الحسن النضير، رب الملائكة الثمانية، و رب العرش العظيم، و بالعين التى لا تنام، و بالاسم الأكبر، الأكبر، و بالاسم الأعظم، الأعظم، الأعظم، المحيط بملكوت السموات و الأرض و بالاسم الذى اشرقت به الشمس، و أضاء به القمر، و سخرت به البحار، و نصبت به الجبال، و بالاسم الذى قام به العرش و الكرسى، و بأسمائك المقدسات المكرمات، المكنونات، المخزونات فى علم الغيب عندك اسألك بذلك كله أن تصلى على محمد و آل محمد ...» «۱».

و انطق اللّه الحجر الأسود، من باب الاعجاز كما انطق عيسى بن مريم و هو فى المهد صبى- بان الامام هو زين العابدين و هو حجة

اللّه على خلقه، و أمينه على دينه، و استبان بذلك الحق «۲» و رجع حشد من القائلين بإمامة محمد إلى الامام زين العابدين، و قد نظم هذه الحادثة الشاعر الكبير السيد الحميرى:

على و ما كان مع عمهبرد الإمامة عطف العنان

و تحكيمه حجرا أسوداو ما كان من نطقه المستبان

بتسليم عم بلا مريةإلى ابن أخ منطقا باللسان

شهدت بذلك صدقا كماشهدت بتصديق آى القرآن

على إمامى لا أمتريو خليت قولى بكان و كان «۳»

رجوع الكابلى إلى الحق:

و كان أبو خالد الكابلى يدين بإمامة محمد بن الحنفية إلا أنه رجع عن ذلك لما استبان له الحق، و دان بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام، و السبب فى ذلك حسبما يقول الرواة: أنه قال لمحمد بن الحنفية: «جعلت

---

(۱) أدعية الفاضل المقداد (ص ۱۸) مخطوط فى مكتبة السيد الحكيم.

(۲) بحر الأنساب (ورقة ۴۲) إثبات الوصية (ص ۱۱۹).

(۳) محمد بن الحنفية (ص ۷۲) نقلا عن ديوان الحميرى المخطوط.

فداك ان لى حرمة و مودة و انقطاعا، اسألك بحرمة رسول اللّه (ص) و أمير المؤمنين (ع) الا اخبرتنى أنت الإمام الذى فرض اللّه طاعته على خلقه؟».

فأجابه محمد جواب المؤمن الذين لا يبغى إلا الحق قائلا:

«يا أبا خالد حلفتنى بالعظيم، الإمام على بن الحسين (ع) على و عليك، و على كل مسلم ...».

و أسرع أبو خالد نحو الإمام على بن الحسين فاستأذن عليه فأذن له، و قابله بحفاوة و تكريم قائلا له:

«مرحبا بك يا كنكر، ما كنت لنا بزائر ما بدا لك؟» ..

و انبرى أبو خالد بخضوع، و اجلال قائلا:

«الحمد للّه الذى لم يمتنى حتى عرفت إمامى ..»

و أسرع الإمام قائلا:

«كيف عرفت إمامك؟ ...»

«إنك دعوتنى باسمى الذى سمتنى به أمى!!! و قد كنت فى عمياء من أمرى، و لقد خدمت محمد بن الحنفية دهرا من عمرى، لا أشك أنه الإمام حتى سألته، بحرمة اللّه، و حرمة الرسول، و حرمة أمير المؤمنين، فأرشدنى إليك، و قال: هو الإمام على و عليك، و على الخلق كلهم ...» «۱».

و نظم السيد الحميرى هذه الحادثة بقوله:

عجبت لكر صروف الزمانو أمر أبى خالد ذى البيان

و من رده الأمر لا ينثنىإلى السيد الطهر نور الجنان «۲»

من دلائل امامته:

اشارة

و كان من دلائل إمامته اخباره بوقوع بعض الأحداث فى المستقبل،

---

(۱) الكشى (ص ۷۹- ۸۰).

(۲) محمد بن الحنفية (ص ۷۲).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۹

و قد تحققت بعد عشرات السنين كما أخبر عنها، و تعتبر هذه الظاهرة- عند الشيعة الإمامية- من دلائل الإمامة، فإن الاخبار عن المغيبات من مكنونات علم اللّه تعالى، و لا يمنحها الا لأنبيائه و أوصيائهم، و مما يدلل على ذلك أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخبر عن كثير من الملاحم، و قد تحققت كلها على مسرح الحياة، فقد أخبر عن مصارع أهل النهروان، و مصرع ذى الثديّة، و أخبر عن زوال دولة بنى أمية، و اخبر عن كثير من الأحداث ما لو جمعت لكانت كتابا، و قد تحقق كل ما أخبر عنه، و هو القائل لأصحابه:

«سلونى قبل أن تفقدونى ... فو الذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء بينكم و بين الساعة إلا أخبرتكم به» ...

و قال مرة لاصحابه:

«لو شئت لأخبرتكم بما يأتى و يكون من حوادث دهركم، و نوائب زمانكم، و بلاء أيامكم، و غمرات ساعاتكم ...».

.. و علق الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود على ذلك بقوله: «و لم يكن- أى الإمام- يرجم بظن، و لا يستقرئ النجوم، و لا يلتجئ للكهانة، و هو يرى بعينه إلى ما وراء المعلوم المنظور ليأتيهم بشذرة من المجهول المستور.

إنما كان ينطق عن حق لا شبهة فيه لأنه كان عندئذ يطلعهم على بعض علم محمد (ص) الذى اختصه به من دون الناس ..» «۱».

إن اللّه تعالى قد منح أئمة أهل البيت عليهم السلام طاقات مشرقة من العلوم، و خصهم بمكنونات غيبه للتدليل على إمامتهم و قيادتهم الروحية و الزمنية لهذه الأمة، و ممن خصه اللّه بهذه الفضيلة الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد اخبر عن كثير من الملاحم التى تحققت بعده، و كان من بينها:

---

(۱) الإمام على بن أبى طالب ۸/ ۱۶۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۰

۱- اخباره عن شهادة زيد:

من الملاحم التى أخبر عنها الإمام عليه السلام أنه أخبر عن شهادة ولده الشهيد العظيم زيد، فقد روى أبو حمزة الثمالى قال: كنت أزور على بن الحسين فى كل سنة مرة وقت الحج، فأتيته سنة، و كان على فخذه صبى فقام عنه، و اصطدم بعتبة الباب فخرج منه دم، فوثب إليه الإمام، و جعل ينشف دمه، و هو يقول له:

«إنى اعيذك باللّه أن تكون المصلوب بالكناسة ...».

و بادر أبو حمزة قائلا:

«بأبى أنت و أمى أى كناسة؟ ...».

«كناسة الكوفة ...»

«جعلت فداك أ يكون ذلك؟ ..»

«أى و الـذى بعث محمـدا بالحق إن عشت بعدى لترين هذا الغلام فى ناحية الكوفة مقتولا، مدفونا، منبوشا، مصـلوبا بالكناسة، ثم ينزل فيحرق، و يدق و يذرى فى البر ...».

و بهر أبو حمزة و راح يسأل عن اسم هذا الغلام قائلا؟ ...».

«جعلت فداك ما اسم هذا الغلام؟ ...».

«زيد» ..

«۱»

و تحقق كـل ما أخبر به الإمام فلم تمض حفنـة من السـنين حتى ثار زيـد الشـهيد الـذى هو من ألمع الثائرين الأحرار فقـد ثار فى وجه الطغيـان الأـموى مطالبـا بتحقيق العدالـة الإسـلامية، و تحقيق حقوق الإنسـان فـاجهزت عليه القوى الظالمـة فـأردته قتيلاـ و انبرى بعض انصاره فـدفنه الا أن الحكومـة الأمويـة اخرجته من قبره، و صـلبته، فى كناسـة الكوفـة، و بقى أربع سـنين مصـلوبا على جذع و هو ينير للناس طريق الحريـة و الشـرف و الكرامـة، ثم انزلوه بعد ذلك و أحرقوه، و ذروا قسـما من رماده فى ماء الفرات ليشـربه الناس حسـبما يقوله الأمويون.

---

(۱) فرحة الغرى.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۱

لقد تحقق جميع ما أخبر به الإمام فى شأن ولده العظيم، و من المؤكد أن ذلك من علائم الإمامة و دلائلها.

۲- إخباره عن حكومة عمر بن عبد العزيز:

من الملاـحم التى أخبر عنهـا الإمام عليه السـلام أنه أخبر عن عمر بن عبـد العزيز و انه سـيلى أمور المسـلمين و لا يلبث الا يسـيرا حتى يموت «۱» و تحقق ذلك فقد ولى عمر الخلافة و بقى زمنا يسيرا و وافاه الأجل المحتوم.

۳- إخباره عن حكومة العباسيين:

و أخبر عليه السلام عن حكومة العباسيين، و قد استشف من وراء الغيب أن حكمهم يقوم على الظلم و الجور و على الفسق و الفساد، و سيخرجون المسـلمين عن دينهم، و ستثور عليهم كوكبة من العلويين مطالبين بتحقيق العدل و الحق بين الناس، و أنهم سينالون الشهادة على أيـدى أولئـك الطغاة، و هـذا نص حـديثه: روى الإمام أبو جعفر عن أبيه أنه قال: أما أن فى صـلبه- أى صـلب ابن عباس- وديعة ذرية لنار جهنم و سـيخرجون أقواما من دين اللّه أفواجا، و ستصبغ الأرض من فراخ آل محمد (ص) تنهض تلك الفراخ فى غير وقت، و تطلب غير مدرك، و يرابط الذين آمنوا، و يصبرون حتى يحكم اللّه «۲».

لقـد ثارت كوكبـة من العلويين المجاهـدين على طغاة بنى العباس، فقد رفع علم الثورة محمد و إبراهيم على المنصور الدوانيقى الذى هو اعتى ملك فى تاريخ هذا الشـرق، و كذلك ثار الحسـين بن على صاحب واقعة فخ على الهادى العباسى، و ثار غير هؤلاء من أبناء الرسول (ص) و قد رفعوا راية الحرية و الكرامة مطالبين بحقوق المظلومين و المضـطهدين، و قد سـقوا بدمائهم الزكية شـجرة الإسـلام التى جهد العباسيون الأقزام على قلعها.

---

(۱) دلائل الإمامة (ص ۸۸) بصائر الدرجات.

(۲) إثبات الهداة ۵/ ۲۴۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۲۲

هذه بعض الملاحم التي أخبر الإمام زين العابدين عليه السلام عن وقوعها، و قد تحققت كما أخبر (ع).

لقد منح اللّه زين العابدين العلم الذي لا يحد كما وهب آباءه، و كان عليه السلام يكتم علومه، و لا يذيعها بين الناس لئلا يفتتن به الجهال، و قد اعلن ذلك بقوله:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

و لاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا

و قد تقدم في هذا أبو حسن إلى الحسين و أوصى قبله الحسنا «۱»

---

(۱) منهاج العابدين (ورقة ۲) مصور لأبي حامد الغزالي، الإتحاف بحب الأشراف (ص ۵۰) روح المعاني للآلوسي ۶/ ۱۹۰، روضات الجنات ۳/ ۱۳۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۲۳

انطباعات عن شخصيته

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۲۵

و اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام، و اجمعوا على الاعتراف له بالفضل، و أنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله و علومه و تقواه و كان من مظاهر تبجيلهم له، أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده و وضعها على عيونهم «۱» و لم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، و إنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم و أهوائهم فقد رسموا بإعجاب و إكبار سيرته، و أضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة، و النعوت الشريفة، و فيما اعتقد أنه لا يكاد يقرأ أحد سيرته العاطرة إلا و ينحني إجلالا و إكبارا أمامه، فليس أحد يجاريه في نزعاته الخيرة، و سائر صفاته العظيمة، فهو قائم في ضمير كل انسان شريف يدين بالولاء للمثل العليا و يعتز بإنسانيته ... و نعرض إلى انطباعات المعاصرين له، و المؤرخين عن شخصيته.

آراء معاصريه:

اشارة

و أدلى المعاصرون للإمام زين العابدين عليه السلام من العلماء، و مختلف الشخصيات بانطباعاتهم عن شخصيته، و كلها إكبار و تعظيم له سواء

---

(۱) العقد الفريد ۲/ ۲۵۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۲۶

في ذلك من أخلص له في الود أو أضمر له العداوة و البغضاء، و فيما يلي كلماتهم.

۱- جابر الأنصارى:

و كـان الصـحابى العظيم جـابر بن عبـد الله الأنصارى منقطعا لأهل البيت (ع) و من الموالين لهم، و قـد أعرب عن إعجابه البالغ بالإمام (ع) قائلا:

«ما رؤى فى أولاد الأنبياء مثل على بن الحسين ...» «۱».

حقا لم ير فى أولاد الأنبياء مثل الإمام على بن الحسين فى تقواه و ورعه، و شدة انابته إلى اللّه، كما لم يبتل أحد منهم بمثل ما ابتلى به فقد داهمته المحن و الخطوب فى أكثر أيام حياته.

۲- عبد الله بن عباس:

كـان عبـد اللّه بن عبـاس على جلالـة شـأنه و تقـدمه فى السن يجـل الإمـام زين العابـدين و ينحنى خضوعـا و تكريما له، فإذا رآه قام تعظيما، و رفع صوته قائلا: مرحبا بالحبيب الحبيب «۲».

۳- الزهرى:

كان محمد بن مسـلم القرشى الزهرى الفقيه أحد الأئمة الأعلام، و عالم الحجاز و الشام «۳» ممن أخلص للإمـام (ع) و هام بحبه، و قد أدلى بمجموعة من الكلمات القيمة أعرب فيها عما يتصف به (ع) من القيم الكريمة و المثل العظيمة، و هذه بعض كلماته:

(أ) «ما رأيت هاشميا مثل على بن الحسين ..» «۴»

(ب) «ما رأيت قرشيا أورع، و لا أفضل منه ...» «۵».

---

(۱) حياة الإمام محمد الباقر ۱/.

(۲) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۴۷.

(۳) تهذيب التهذيب ۹/ ۴۴۵.

(۴) خلاصة تهذيب الكمال م ۷/ ق/ ۲ الأغانى ۱۵/ ۳۲۵.

(۵) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۷

(ج) «ما رأيت قرشيا افضل من على بن الحسين ...» «۱».

(د) «لم أدرك بالمدينة أفضل منه» «۲». حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ج ۱ ۱۲۷ ۳ - الزهرى: ..... ص : ۱۲۶

ه) «لم أدرك فى أهل البيت رجلا كان أفضل من على بن الحسين ...» «۳».

(و) «ما كان أكثر مجالستى من على بن الحسين، ما رأيت أحدا أفقه منه» «۴».

(ز) «كان على بن الحسين أفضل أهل زمانه، و أحسنهم طاعة» «۵».

(ح) «ينادى مناد فى القيامة ليقم سـيد العابدين فى زمانه فيقوم على بن الحسـين ..» «۶» أشار بذلك إلى الحديث النبوى المشـهور «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين، فيقوم» «۷».

(ط) «سئل الزهرى عن أزهد الناس فى الدنيا؟ فقال: على بن الحسين» «۸».

ى: قال سفيان بن عيينة: قلت للزهرى: لقيت على بن الحسين؟

قال: نعم لقيته، و ما لقيت أحدا أفضل منه، و اللّه ما علمت له صديقا فى السر، و لا عدوا فى العلانية، فقيل له: و كيف ذلك؟ قال لأنى لم أر أحدا، و إن كان يحبه إلا و هو لشدة معرفته بفضله يحسده، و لا رأيت أحدا و إن كان يبغضه إلا و هو لشدة مداراته له يداريه ..» «۹».

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۴/ ۳۷، تأريخ الإسلام ۲/ ۲۶۶ الكاشف ۲/ ۲۸۲ طبقات الفقهاء ۱۰/ ۳۴.

(۲) تهذيب اللغات و الأسماء القسم الأول (ص ۳۴۳).

(۳) الجرح و التعديل القسم الأول من المجلد الثالث (ص ۱۷۸).

(۴) خلاصة تهذيب م ۷/ ق ۲/ ورقة ۳۳۶ تذكرة الحفاظ ۱/ ۷۵ شذرات الذهب ۱/ ۱۰۵ العبر فى خبر من غبر ۱/ ۱۱۱.

(۵) سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۸، تأريخ دمشق ۱۲/ ۱۹.

(۶) روضات الجنات ۷/ ۲۴۸ كشف الغمة.

(۷) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۴۰.

(۸) بحار الأنوار.

(۹) علل الشرائع (ص ۸۸) وسائل الشيعة ۵/ ۵۴۱ بحار الأنوار ۴۶/ ۶۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۸

و من المؤكد أن الزهرى لم يدل بهذه الكلمات إلا- بعد اتصاله الوثيق بالإمام، و معرفته التامة بما اتصف به من المثل العليا و القيم الكريمة، و قد بلغ من إعجابه به أنه إذا ذكره بكى و قال: زين العابدين «۱».

۴- سعيد بن المسيب:

و كان سعيد بن المسيب من الفقهاء البارزين فى يثرب، و يقول الرواة:

انه ليس من التابعين من هو أوسع علما منه «۲» و قد صحب الإمام زين العابدين و وقف على ورعه، و شدة تحرجه فى الدين، و قد سجل ما رآه و بهر به من مثل الإمام بهذه الكلمات:

(أ) «ما رأيت أورع منه- أى من على بن الحسين- ..» «۳».

(ب) «ما رأيت قط أفضل من على بن الحسين، و ما رأيته قط إلا مقت نفسى، ما رأيته ضاحكا يوما قط ...» «۴».

(ج) قال رجل لسعيد: ما رأيت أورع من فلان، فقال له سعيد: هل رأيت على بن الحسين؟ قال لا: قال: ما رأيت أورع منه ...» «۵».

(د) كان سعيد جالسا و إلى جانبه فتى من قريش فطلع الإمام زين العابدين فسأل القرشى سعيدا عنه، فأجابه سعيد:

«هذا سيد العابدين على بن الحسين ...» «۶».

(ه) «ما رأيت أودع و أورع من زين العابدين على بن الحسين ..» «۷»

و ألّمت هذه الكلمات التى أدلى بها هذا الفقيه ببعض صفات الإمام (ع)،

---

(۱) تأريخ دمشق ۱۲/ ۱۹ كشف الغمة ۲/ ۲۸۸ روضات الجنات ۷/ ۲۴۶.

(۲) تهذيب التهذيب ۴/ ۸۵.

(۳) العبر فى خبر من غبر ۱/ ۱۱۱ خلاصة تهذيب الكمال (ص ۲۳۱).

(۴) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۶.

(۵) سير أعلام النبلاء ۴/ ۳۸ كشف الغمة ۳/ ۳۹۲.

(۶) الفصول المهمة (ص ۱۸۹).

(۷) جمهرة الأولياء ۲/ ۷۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۲۹

من الورع و الطاعة للّه، و الوداعة في سلوكه و سيرته مع الناس، و هي من أندر الصفات و اعزها و أعظمها عند اللّه.

۵- زيد بن اسلم:

كان زيد بن أسلم في طليعة فقهاء المدينة، كما كان من المفسرين للقرآن الكريم «۱» و قد اختص بالإمام زين العابدين عليه السلام، و بهر في فضله و ورعه و تقواه و انطلق يعرب عن إعجابه البالغ بمثل الإمام و قيمه، و قد أدلى بعدة كلمات كان منها ما يلي:

(أ) «ما جالست في أهل القبلة مثله- أي مثل علي بن الحسين- ...» «۲».

(ب) «ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم- أي في أهل البيت ..» «۳».

(ج) «ما رأيت مثل علي بن الحسين فهما حافظا ..» «۴».

و معنى ذلك أن الإمام أفضل مسلم، و أفضل هاشمي في عصره، كما أنه لم ير مثله في فهمه و سرعة إدراكه و حفظه، و هذا مما تؤكد عليه الشيعة من أن الإمام لا بد أن يكون أفضل أهل عصره في عبقرياته و مواهبه.

۶- حماد بن زيد:

أما حماد بن زيد الجهضي فهو من أبرز فقهاء البصرة، و كان من أئمة المسلمين «۵» و قد اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام، و راح يبدي إعجابه بمثله قائلا:

«كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته ...» «۶».

---

(۱) تهذيب التهذيب ۳/ ۳۹۵.

(۲) تأريخ دمشق ۱۲/ ق ۱/ ورقة ۱۹.

(۳) تأريخ دمشق ۱۲/ ق ۱/ ورقة ۱۹.

(۴) طبقات الفقهاء ۲/ ۳۴.

(۵) تهذيب التهذيب ۳/ ۹.

(۶) تهذيب اللغات و الأسماء القسم الأول (ص ۳۴۳).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۳۰

لقد امتاز الإمام على جميع الهاشميين في عصره بسمو آدابه و أخلاقه و كماله.

۷- يحيى بن سعيد:

أما يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني فكان من كبار التابعين، و من أفاضل الفقهاء و العلماء «۱» و قد صحب الإمام و عرف فضله، و أدلى بحقه هذه الكلمة القيمة:

«سمعت علي بن الحسين و كان أفضل هاشمي رأيته ...» «۲».

لقد ساد الإمام عليه السلام جميع الهاشميين بإيمانه و تقواه و غزارة علمه و فضله.

۸- مالک:

قال مالک: «لم یک فی أهل البیت مثل علی بن الحسین ...» «۳».

۹- أبو بکر بن البرقی:

قال أبو بکر بن البرقی: «کان علی بن الحسین أفضل زمانه ...» «۴».

لقد کان الإمام أفضل أهل زمانه بعلمه و تقواه و طاعته للّه، و لیس أحد فی عصره من یضارعه فی کماله و سمو ذاته.

۱۰- أبو زرعة:

قال أبو زرعة: «ما رأیت أحدا کان أفقه منه- أی من علی بن الحسین-» «۵».

---

(۱) تهذیب التهذیب ۸۱/ ۲۲۲.

(۲) تهذیب الکمال م ۷/ ق ۲/ ورقة ۳۳۶، تهذیب اللغات و الأسماء القسم الأول (ص ۳۴۳) التأریخ الکبیر القسم الثانی من الجزء الثالث (ص ۲۶۶) طبقات ابن سعد ۱/ ۲۱۴ الجرح و التعدیل ق/ ۱ من المجلد الثالث (ص ۱۷۸).

(۳) سیر اعلام النبلاء ۴/ ۲۳۸، و فی تهذیب التهذیب ۷/ ۳۰۵ «لم یک فی أهل بیت رسول اللّه مثل علی بن الحسین».

(۴) سیر أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۸.

(۵) تأریخ دمشق ۱۲/ ق ۱/ الورقة ۱۸.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۱۳۱

۱۱- أبو حازم:

قال أبو حازم: «ما رأیت هاشمیا أفضل من علی بن الحسین» «۱» و قال أیضا: «ما رأیت أفقه من علی بن الحسین» «۲».

۱۲- أبو حاتم الأعرج:

قال ابو حاتم الأعرج: «ما رأیت هاشمیا افضل من علی بن الحسین» «۳».

۱۳- أبو حمزة الثمالی:

قال ثابت بن أبی صفیة: المشهور بأبی حمزة الثقة المأمون «ما سمعت بأحد من الناس کان أزهد من علی بن الحسین إلا ما بلغنی من علی بن أبی طالب» «۴» و قال مرة أخری: «ما سمعت بأحد قط کان أزهد من علی بن الحسین إذا تکلم فی الزهد و وعظ ابکی من بحضرته ..» «۵».

۱۴- الإمام الصادق:

قال حفیده الإمام الصادق (ع) «ما من ولده- أی ولد الإمام أمیر المؤمنین (ع)- و لا أهل بیته أحد اقرب شبها به فی لباسه و فقهه من

على بن الحسين (ع)» «۶»، لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أشبه الناس بجده الإمام أمير المؤمنين فى عبادته و علمه و سائر مواهبه، فقد كان صورة لذلك العملاق العظيم الذى أضاء سماء الدنيا بعلومه و معارفه.

۱۵- عمر بن عبد العزيز:

و كان عمر بن عبد العزيز ممن يقيم الإمام زين العابدين (ع) و يعرف سمو مكانته و قد التقى (ع) به فلما انصرف من عنده التفت عمر إلى اصحابه قائلا:

---

(۱) تأريخ دمشق ۱۲/ ورقة ۱/ ورقة ۱۹.

(۲) تهذيب الكمال م ۷/ ق ۲/ ورقة ۳۳۶ كشف الغمة ۳/ ۲۹۲.

(۳) تذكرة الحفاظ ۱/ ۷۵ شذرات الذهب ۱/ ۱۰۵ العبر فى خبر من غبر ۱/ ۱۱۱ تأريخ الإسلام ۲/ ۱۶.

(۴) سفينة البحار ۱/ ۵۷۱.

(۵) أمالى المفيد (ص ۱۱۷).

(۶) هامش ديوان الحميرى (ص ۳۶۲).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۲

«من أشرف الناس؟».

فانبرى المرتزقة من أصحابه قائلين:

«أنتم ..».

فصارحهم بالحقيقة قائلا:

«كلا- إن أشرف الناس هذا القائم- يعنى الإمام زين العابدين- من عندى، من أحب الناس أن يكونوا منه، و لم يحب أن يكون من أحد ...» «۱».

و معنى ذلك أن الإمام (ع) قد بلغ من الشرف منزلة لم يبلغها أحد من الناس على اختلاف طبقاتهم، فقد احبوا أن يكون لهم صلة أو اتصال به و ذلك لسمو منزلته و مكانته الاجتماعية فى حين أنه لا يرغب و لا يحب أن يكون من أحد لأنه دون منزلته و بلغ من إكبار عمر للإمام أنه لما بلغه وفاته أبانه بهذه الكلمة القيمة:

«ذهب سراج الدنيا، و جمال الإسلام، و زين العابدين ..» «۲».

۱۶- يزيد بن معاوية:

و لم يقتصر الاعتراف بالفضل للإمام زين العابدين على شيعته، و إنما تعدى إلى اعدائه و مبغضيه، فهذا يزيد بن معاوية الذى هو من ألد أعداء أهل البيت (ع) قد اعترف بمواهبه و عبقرياته و ذلك حينما ألح عليه أهل الشام فى أن يخطب الإمام، فابدى الطاغية مخاوفه منه قائلا:

«إنه من أهل بيت زقوا العلم زقا إنه لا ينزل إلا بفضيحتى، و فضيحة آل أبى سفيان ...».

و قد اعرب بذلك عن مقدرات الإمام العلمية و مواهبه الخطابية، و أنه يملك من قوة البيان و روعة الاستدلال ما يستطيع به أن يغير الموقف فى غير صالح حكومته.

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۳- ۴، و قريب منه جاء فى محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانى ۱/ ۱۶۶.

(۲) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۳

۱۷- عبد الملك بن مروان:

و هذا عدو آخر من اعداء أهل البيت و هو عبد الملك بن مروان قد اعترف بفضل الإمام و ذلك حينما التقى به، و رأى ذبوله من كثرة العبادة فقال له منبهرا:

«لقد بان عليك الاجتهاد، و لقد سبق لك من اللّه الحسنى، و أنت بضعة من رسول اللّه (ص) قريب النسب، و كيد السبب، و أنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك و عصرك، و لقد أوتيت من الفضل و العلم، و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك، و لا قبلك إلا من مضى من سلفك ...» «۱».

۱۸- منصور الدوانيقى:

و ثمة عدو آخر لأهل البيت (ع) قد اشاد بفضل الإمام عليه السلام و هو المنصور الدوانيقى، فقد قال فى رسالته التى بثها إلى ذى النفس الزكية.

و لم يولد فيكم. أى فى العلويين- بعد وفاة رسول اللّه (ص) مولود مثله- أى مثل زين العابدين «۲».

۱۹- الفرزدق:

و كان الفرزدق شاعر العرب الأكبر ممن غمرته قيم الإمام زين العابدين عليه السلام و آمن بسمو ذاته و قداسته، و قد انبرى فى رائعته الخالدة التى ارتجلها للإشادة بمواهب الإمام و سائر نزعاته و صفاته، و ذلك حينما انكر الطاغية هشام معرفته أمام أهل الشام لئلا يفتتنوا بمعرفته، فعرفه الفرزدق لهم بقوله:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتهو البيت يعرفه و الحل و الحرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلهمهذا التقى النقى الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها:إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يرقى إلى ذروة المجد التى قصرتعن نيلها عرب الإسلام و العجم

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۷۵.

(۲) الكامل للمبرد ۲/ ۴۶۷ العقد الفريد ۵/ ۳۱۰.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۴ يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضى حياء و يغضى من مهابتهفلا يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبقمن كف اروع فى عرنينه شمم

من جده دان فضل الأنبياء لهو فضل امته دانت له الأمم

ينشق نور الهدى عن نور غرتهكالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

مشتقة من رسول اللّه نبعتهطابت عناصرها و الخيم و الشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهبجده أنبياء اللّه قد ختموا

اللّه شرفه قدما و فضلهجرى بذاك له فى لوحه القلم لقد كان الإمام اعظم صورة رآها الفرزدق فى دنيا الشرف و الفضائل فهام بحبه و الولاء له، و سنذكر تمام هذه القصيدة فى البحوث الآتية.

۲۰- الحميرى:

أما السيد الحميرى فقد وقف مواهبه لأهل البيت الذين هم معدن الرحمة و الفضيلة فى الأرض، فلم يترك مأثرة من مآثرهم، و لا فضيلة من فضائلهم إلا نظمها فى البديع من شعره، و قد مدح الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا البيت:

و رابعهم على ذو المساعىبه للدين و الدنيا قوام «۱»

۲۱- ابن شهاب:

قال ابن شهاب:

«ما رأيت قرشيا أفضل من على بن الحسين «۲».

۲۲- قال ابن زيد:

كان أبى يقول: ما رأيت مثل على بن الحسين اعظم قط «۳».

هؤلاء بعض المعاصرين للإمام (ع) بما فيهم من محبين و مبغضين له قد اجمعوا على أن الإمام صرح من صروح التقوى و العلم فى الإسلام.

---

(۱) ديوان الحميرى (ص ۳۶).

(۲) المعرفة و التاريخ للبسوى ۱/ ۳۶۰.

(۳) المعرفة و التاريخ للبسوى ۱/ ۳۶۰.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۵

المؤرخون:

اشارة

أما المؤرخون على اختلاف أفكارهم و ميولهم فقد اتفقوا على تبجيل الإمام (ع) و تعظيمه، و أنه قد أوتى من المواهب و العبقريات ما رفعته إلى قمة الشرف التى انتهى إليها العظماء من آبائه، و فيما يلى بعض ما قالوه:

۱- ابن عساكر:

قال الحافظ أبو القاسم على بن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر فى ترجمة الإمام (ع): «كان على بن الحسين ثقة مأمونا، كثير الحديث، عاليا رفيعا ورعا ...» «۱» و هذه الصفات من أثمن الصفات و أجلها فى دنيا الإسلام.

۲- ابن سعد:

قال محمد بن سعد: «كان على بن حسين ثقة، مأمونا، كثير الحديث، عاليا رفيعا، ورعا» «۲» لقد اتفق ابن عساكر مع ابن سعد فى اضفاء هذه الصفات الرفيعة على الإمام (ع).

۳- ابن حجر العسقلانى:

قال ابن حجر العسقلانى: «على بن الحسين بن على بن أبى طالب، زين العابدين، ثقة ثبت، عابد، فقيه، فاضل، مشهور، قال ابن عيينة عن الزهرى: ما رأيت قرشيا أفضل منه» «۳».

۴- ابن حجر الهيثمى:

قال شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمى: «و زين العابدين هذا هو الذى خلف أباه علما و زهدا و عبادة ... و أضاف يقول: و كان زين العابدين عظيم التجاوز و العفو و الصفح ...» «۴» لقد كان زين العابدين قد خلف أباه

---

(۱) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۴۲.

(۲) الطبقات الكبرى ۵/ ۲۲۲.

(۳) تقريب التهذيب ۲/ ۳۵.

(۴) الصواعق المحرقة (ص ۱۱۹).

و ورث اعز صفاته من العلم و الزهد و العبادة مضافا إلى ما كان يتمتع به من عظيم التجاوز و العفو عمن اساء إليه.

۵- الذهبى:

قال محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى: «كانت له- أى لزين العابدين- جلالة عجيبة و حق له، و اللّه ذلك، فقد كان أهلا للإمامة العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألهه و كمال عقله ...» «۱».

لقد اعترف الذهبى بالواقع المشرق الذى تمتع به الإمام عليه السلام، و أنه أهل للإمامة العظمى و للقيادة الروحية و الزمنية لهذه الأمة، و هى من أسمى المراتب و أهمها فى الإسلام.

۶- أبو الفتح:

قال أبو الفتح بن صدقة: «الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان اللّه عليهم اجمعين المعروف بزين العابدين، و هو أحد الأئمة الاثنى عشر، و من سادات التابعين ...» «۲».

۷- أبو نعيم:

قال الحافظ أبو نعيم: «على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام زين العابدين، و منار القانتين، كان عابدا وفيا، و جوادا حفيا ..» «۳»

لقد تحدث أبو نعيم عن بعض الصفات الماثلة فى الإمام من العبادة و الوفاء و السخاء.

۸- اليعقوبى:

قال أحمد بن أبى يعقوب: «كان- أى الإمام زين العابدين- أفضل الناس، و أشدهم عبادة، و كان يسمى زين العابدين، و كان يسمى أيضا ذا

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۴۰.

(۲) درر الأبكار (ورقة ۷۰) مصور.

(۳) الحلية ۳/ ۱۳۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۷

الثفنات، لما كان فى وجهه من أثر السجود ...» «۱».

لقد كان الإمام زين العابدين من أفضل الناس، و اعظمهم شأنا، و أكثرهم عبادة و طاعة للّه.

۹- الواقدى:

قال الواقدى: «كان- أى زين العابدين- من أورع الناس، و أعبدهم و اتقاهم للّه عزّ و جلّ، و كان إذا مشى لا يخطر بيده ...» «۲».

لقد نظر الواقدى الى ورع الإمام و عبادته و تقواه و تواضعه، و هو بهذه الصفات كان من أفضل الناس، و من أجلهم.

۱۰- صفى الدين:

قال صفى الدين: «كان زين العابدين عظيم الهدى، و السمت الصالح، و قد أخرج الخطيب فى جامعه عن ابن عباس أن النبى (ص) قال:

إن الهدى و السمت الصالح، و الاقتصاد جزء من خمسة و عشرين جزءا من النبوة ..» «۳».

۱۱- النووى:

قال النووى: «و اجمعوا على جلالته- أى الإمام زين العابدين- فى كل شىء ...» «۴».

لقد اجمع المسلمون على تعظيم الإمام و إكباره و ذلك لما يتمتع به من الصفات الرفيعة التى هى موضع الاعتزاز و الفخر لجميع المسلمين.

۱۲- عماد الدين:

قال الداعى عماد الدين إدريس القرشى: «كان الإمام على بن

---

(۱) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۶.

(۲) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۴.

(۳) وسيلة المآل فى عد مناقب الآل (ص ۲۰۸).

(۴) تهذيب اللغات و الأسماء ق ۱/ ۳۴۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۳۸

الحسين زين العابدين افضل بيت رسول اللّه (ص) و أشرفهم بعد الحسن و الحسين عليهم جميعا الصلاة و السلام، و أكثرهم ورعا و زهدا و عبادة» «۱».

۱۳- ابن عنبة:

قال النسابة الشهير بابن عنبة: «و فضائله- أى فضائل الإمام زين العابدين- أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف ...» «۲» إن مآثر الإمام زين العابدين و فضائله لا يحيط بها الوصف، و لا تحصى، فقد كانت مآثره امتدادا ذاتيا لسيرة آبائه الذين أضاءت هذه الدنيا بمآثرهم و فضائلهم.

۱۴- الشيخ المفيد:

قال الشيخ المفيد: «كان على بن الحسين أفضل خلق اللّه بعد أبيه علما و عملا و قد روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة، و حفظ عنه من المواعظ و الأدعية، و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازى و الأيام ما هو مشهور بين العلماء ...» «۳».

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام ثروة من ثروات الفكر الإسلامى، فأشاع العلوم و المعارف فى دنيا الإسلام، و قد روى عنه العلماء، و الفقهاء احكام الإسلام و آداب الشريعة و غير ذلك من مختلف الفنون.

۱۵- الجاحظ:

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: «و أما على بن الحسين فلم أر الخارجى فى أمره إلا كالشيعى، و لم أر الشيعى إلا كالمعتزلى، و لم ار المعتزلى إلا كالعامى و لم أر العامى إلا كالخاصى، و لم أجد أحدا يتمارى فى تفضيله، و يشك فى تقديمه ...» «۴».

---

(۱) عيون الأخبار و فنون الآثار (ص ۱۴۴).

(۲) عمدة الطالب (ص ۱۹۳).

(۳) الارشاد.

(۴) عمدة الطالب (ص ۱۹۳- ۱۹۴).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۳۹

و معنى ذلك أن المسلمين على اختلاف أفكارهم و اتجاهاتهم قد أجمعوا على تعظيم الإمام و الاعتراف له بالفضل، و إعلان المودة و الولاء له.

۱۶- الشراوى:

قال الشراوى: «كان- أى الإمام زين العابدين- رضى الله عنه عابدا زاهدا، ورعا، متواضعا، حسن الأخلاق ..» «۱».

و هذه الصفات هى التى رفعت الإمام إلى قمة المجد، و جعلت الناس قد هاموا بحبه و بالاخلاص له.

۱۷- القليوبى:

قال أحمد القليوبى الشافعى: «فضائله- أى فضائل الإمام- أكثر من أن تحصى، أو يحيط بها الوصف ..» «۲».

۱۸- ابن تيمية:

و حتى ابن تيمية المنحرف عن أهل البيت و المعادى لهم قد اعترف بفضل الإمام و سمو منزلته و مكانته قال: «أما على بن الحسين فمن كبار التابعين و ساداتهم علما و دينا ... و له من الخشوع و صدقة السر و غير ذلك من الفضائل ما هو معروف ..» «۳».

۱۹- الشيخانى:

قال الشيخانى القادرى: «سيدنا زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب اشتهرت أياديه و مكارمه، و طارت بالجو فى الجود محاسنه عظيم

---

(۱) الاتحاف بحب الاشراف (ص ۴۹).

(۲) تحفة الراغب (ص ۱۳).

(۳) منهاج السنة ۲/ ۱۲۳ الطبعة الأولى.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۰

القدر، رحب الساحة و الصدر، و له الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة، و ثبت بالآثار المتواترة ..» «۱».

لقد تحدثت الركبان عن فضائل الإمام زين العابدين و مآثره و مناقبه، و اشتهر بين الناس مكارمه و فضائله، مضافا لذلك ما منحه الله من الكرامات التى يمنحها المخلصين من عباده.

۲۰- ابن خلكان:

قال ابن خلكان: «هو- أى الإمام زين العابدين- أحد الأئمة الاثنى عشر، و من سادات التابعين، قال الزهرى: «ما رأيت قرشيا أفضل منه» «۲».

۲۱- ابن شدقم:

قال ابن شدقم: «الإمام الحبر، الزاهد على بن الحسين زين العابدين ..» «۳».

۲۲- المنوفى:

قال السيد محمود المنوفى: «كان زين العابدين عابدا، وفيا، و جوادا صفيا و كان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ..» «۴».

۲۳- أبو الفتوح:

قال أبو الفتوح الحسينى: «كان الذكر المخلد، و الاشتهار لعلى

---

(۱) الصراط السوى (ورقة ۱۹) مصور فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(۲) وفيات الأعيان ۲/ ۴۲۹.

(۳) زهرة المقول (ص ۶).

(۴) جمهرة الأولياء و أعلام أهل التصوف ۲/ ۷۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۱

الأوسط زين العابدين الملقب بالسجاد ... و هو أول سبط «۱» من أسباط الحسين و رابع معصوم على رأى الاثنى عشرية، و زاهد على رأى غيرهم ..» «۲».

۲۴- المناوى:

قال المناوى: «زين العابدين إمام سند اشتهرت أياديه، و مكارمه، و طارت بالجو فى الوجود حمائمه، كان عظيم القدر، رحب الساحة و الصدر، رأسا لجسد الرئاسة، مؤملا للإيالة «۳» و السياسة ..» «۴».

إن الصفات العظيمة التى اتصف بها الإمام عليه السلام رشحته بإجماع المسلمين إلى الإمامة و القيادة العامة، و إدارة شئون المسلمين، فليس فى عصره من يدانيه أو يشابهه فى نزعاته الخيرة و ملكاته العظيمة.

۲۵- محمد بن طلحة:

قال كمال الدين محمد بن طلحة القرشي الشافعي: «هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين و سيد المتقين، و إمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) و سمته يثبت قربه من الله، و ثفناته تسجل له كثرة صلاته و تهجده، و إعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درت له أخلاف التقوى فتفوقها و أشرقت له أنوار التأبيد فاهتدى بها، و ألفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، و حالفته وظايف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة، و ظمأ الهواجر دليله استرشد به فى منارة المسافر، و له من الخوارق و الكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، و ثبت بالآثار المتواترة انه من ملوك الآخرة ..» «۵».

---

(۱) السبط هو الولد على ما ذكره ابن الأعرابى.

(۲) النفحة العنبرية مصور.

(۳) الإيالة: سياسة الرعية و تدبير شئونها.

(۴) الكواكب الدرية ۲/ ۱۳۹.

(۵) مطالب السئول ۲/ ۴۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۲

۲۶- محمد بن سعد:

قال محمد بن سعد: «كان- أى الإمام زين العابدين- ثقة مأمونا، كثير الحديث عاليا، رفيعا، ورعا ..» «۱».

۲۷- السيد عباس:

قال السيد عباس الموسوى: «كان زين العابدين أحسن الناس وجها، و أطيبهم ريحا، و أكرمهم نفسا، و أعلاهم حسبا، و أعظمهم شرفا ..» «۲».

۲۸- السيد محسن:

قال السيد محسن الأمين العاملى: «كان- أى الإمام زين العابدين- أفضل أهل زمانه، و أعلمهم، و أفقههم، و أورعهم، و أعبدهم، و أكرمهم، و أحلمهم، و أصبرهم، و أفصحهم، و أحسنهم أخلاقا، و أكثرهم صدقة، و أرأفهم بالفقراء، و أنصحهم للمسلمين، كان معظما عند القريب و البعيد، و الولى و العدو، حتى ان يزيد بن معاوية لما أمر أن يبايعه أهل المدينة على أنهم عبيد و خول لم يستثن من ذلك إلا على بن الحسين فأمر أن يبايعه على أنه أخوه و ابن عمه ..» «۳».

لقد اتصف الإمام عليه السلام بجميع الصفات العظيمة فما من فضيلة يمتاز بها الإنسان و يشرف بها إلا و هى من صفاته و فضائله فهو كما قيل:

خلقت مهذبا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

۲۹- النويرى:

قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى: «كان على بن

---

(۱) البداية و النهاية ۹/ ۱۰۴.

(۲) نزهة الجليس ۲/ ۲۴.

(۳) أعيان الشيعة ۴/ ق ۱/ ۳۰۸.

الحسين رحمه الله ثقة ورعا، مأمونا، كثير الحديث من أفضل أهل بيته و أحسنهم طاعة ...» «۱».

۳۰- الشافعى:

قال الإمام الشافعى: «إن على بن الحسين أفقه أهل المدينة ..» «۲».

۳۱- على بن عيسى الأربلى:

قال أبو الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى: «مناقب الإمام على بن الحسين تكثر النجوم عددا، و يجرى واصفها إلى حيث لا مدى، و تلوح فى سماء المناقب كالنجوم لمن بها اهتدى، و كيف لا و هو يفوق العالمين إذا عدا عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و محمدا، و هذا تقديم لسجع فى الطبع فلا تكن مترددا، و متى أعطيت الفكر حقه وجدت ما شئت فخارا و سؤددا، فإنه الإمام الربانى، و الهيكل النورانى، بدل الأبدال، و زاهد الزهاد، و قطب الأقطاب و عابد العباد، و نور مشكاة الرسالة، و نقطة دايرة الإمامة، و ابن الخيرتين، و الكريم الطرفين، قرار القلب، و قرة العين على ابن الحسين، و ما أدراك ما على بن الحسين؟!! الأواه الأواب، العامل بالسنة و الكتاب، الناطق بالصواب، ملازم المحراب، المؤثر على نفسه، المرتفع فى درجات المعارف، فيومه يفوق على أمسه، المتفرد بمعارفه، الذى فضل الخلائق بتليده و طارفه، و حكم فى الشرف فتسنم ذروته، و خطر فى مطارفه، و أعجز بما حواه من طيب المولد، و كريم المحتد، و ذكاء الأرومة، و طهارة الجرثومة، عجز عنه لسان واصفه، و تفرد فى خلواته بمناجاته، فتعجبت الملائكة من مواقفه، و أجرى مواضعه خوف ربه، فأربى على هامى الصوب و واكفه «۳» فانظر أيدك الله فى أخباره، و المح بعين

---

(۱) نهاية الأرب فى فنون الأدب ۲۱/ ۳۲۴.

(۲) رسائل الجاحظ (ص ۱۰۶) نهج البلاغة ۱۵/ ۲۷۴.

(۳) الصوب: المطر، و الواكف: المطر المنهل.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۴

الاعتبار عجائب آثاره، و فكر في زهده و تعبده و خشوعه، و تهجده و دءوبه في صلاته و أدعيته في أوقات مناجاته، و استمراره على ملازمة عبادته، و إيثاره و صدقاته، و عطاياه و صلاته، و توسلاته التي تدل مع فصاحته و بلاغته على خشوعه لربه، و ضراعته و وقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته و اعترافه بالذنوب على براءة ساحته، و بكائه و نحيبه، و خفوق قلبه من خشية الله، و وجيبه، و انتصابه، و قد أرخى الليل سدوله، و جر على الأرض ذيوله، مناجيا ربه تقدست أسماؤه، مخاطبا له تعالى، ملازما بابه عز و جل، مصورا نفسه بين يديه، معرضا عن كل شيء، مقبلا عليه، قد انسلخ من الدنيا الدنية، و تعرى من الجثة البشرية، فجسمه ساجد في الثرى و روحه متعلقة بالملإ الأعلى، يتململ إذا مرت به آية من آيات الوعيد حتى كأنه المقصود بها، و هو عنها بعيد، تجد أمورا عجيبة و أحوالا غريبة، و نفسا من الله سبحانه قريبة، و تعلم يقينا لا شك فيه و لا ارتياب، و تعرف معرفة من قد كشف له الحجاب، و فتحت له الأبواب ان هذه الثمرة من تلك الشجرة، كما ان الواحد جزء من العشرة و ان هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم، و إن هذا الحديث من ذلك القديم، و ان هذه الدرة من ذلك البحر الزاخر، و ان هذا النجم من ذلك القمر الباهر، و ان هذا الفرع النابت من ذلك الأصل الثابت، و ان هذه النتيجة من هذه المقدمة، و ان خليفة محمد و علي و الحسن و الحسين و فاطمة المكرمة المعظمة هذا أصله الطاهر ...» «۱».

و ألم العلامة المحقق الأربلي بأبرز صفات الإمام عليه السلام التي هي من مواضع الاعتزاز و الفخر لكل مسلم، لقد كانت صفاته المشرقة امتدادا ذاتيا لنزعات آبائه و صفاتهم التي غيروا بها مجرى تاريخ الإنسان فقد أضاءوا له الطريق، و أرشدوه إلى معالم الحق بعد ما كان تائها في ميادين سحيقة من مجاهل هذه الحياة.

إن فضائل الإمام عليه السلام و مآثره لا يحيط بها الوصف، و لا يستوفيها

---

(۱) كشف الغمة في ترجمة علي بن الحسين.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۵

البيان، فهو فرع من شجرة النبوة، و دوحة الإمامة التي أودع الله فيها الكمال المطلق لتكون منارا للحق في الأرض.

۳۲- البستاني:

قال البستاني: «زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، و لكثرة عبادته لقب بزين العابدين، و لقب أيضا بسيد العابدين، و الزكي و الأمين، و ذي الثفنات ..» «۱».

۳۳- وجدي:

قال محمد فريد وجدي: «زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين، و يقال له علي الأصغر، و ليس للحسين بن علي عقب إلا من ولد زين العابدين ... هو أحد الأئمة الاثني عشر في مذهب الإمامية، كان من سادات التابعين و رؤسائهم ..» «۲».

۳۴- آغا بزرك:

قال شيخ المحققين الشيخ محمد حسن الشهير بآغابزرگ الطهراني:

«الإمام زين العابدين، و سيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام رابع أئمة الشيعة الإمامية، الذي اتفق

مؤرخو الإسلام على أنه من أشهر رجال التقوى، و الزهد و العبادة ..» «۳».

۳۵- ابن الجوزى:

قال ابن الجوزى: «هذا زين العابدين، و قدوة الزاهدين، و سيد

---

(۱) دائرة معارف البستانى ۹/ ۳۵۵.

(۲) دائرة معارف القرن العشرين ۴/ ۷۹۳.

(۳) الذريعة ۱۳/ ۳۴۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۶

المتقين، و إمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) و سمته يثبت مقام قربه من الله زلفى، و ثفناته تسجل له كثرة صلاته و تهجده، و إعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده ..» «۱».

۳۶- تاج الدين:

قال تاج الدين بن محمد بن حمزة الحسينى نقيب حلب: «كان على ابن الحسين سيد بنى هاشم، و موضع علمهم، و المشار إليه منهم ..» «۲».

۳۷- عارف تامر:

قال عارف تامر: «اشتهر- أى الإمام زين العابدين- بالزهد و العبادة و لم يك يوجد من يماثله فى هذه الصفات، و لذلك لقب بزين العابدين و السجاد» «۳».

۳۸- الزركلى:

قال خير الدين الزركلى: «على بن الحسين بن على بن أبى طالب، الهاشمى القرشى، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، و أحد من كان يضرب بهم المثل فى الحلم و الورع، يقال له «على الأصغر» للتمييز بينه و بين أخيه «على الأكبر» ..» «۴».

۳۹- أحمد محمود صبحى:

قال الدكتور أحمد محمود صبحى: «هذا هو على بن الحسين، ورث إمامته من انتسابه إلى فاطمة الزهراء، و رسم للشيعة طريق الإمامة الروحية،

---

(۱) تذكرة الخواص.

(۲) غاية الاختصار (ص ۱۰۶).

(۳) الإمامة فى الإسلام (ص ۱۱۶).

(۴) الأعلام ۵/ ۸۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۷

و طبع التشيع بطابع الحزن المقيم، و البكاء المتصل على الحسين، و عكف على العبادة، فسمى بالسجاد، و كنى بزين العابدين، و انتسب إلى النبي (ص) و إلى كسرى فعرف بابن الخيرتين ..» «۱».

و لا بد لنا من وقفة قصيرة مع الدكتور أحمد صبحي فيما أفاده، فقد ذكر أن الإمام زين العابدين (ع) قد ورث الإمامة من جهة انتسابه إلى جدته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين فإن ذلك لا واقع له لأن الإمامة ليست خاضعة لعملية المواريث، و إنما هي خاضعة للنص، و هي بيد الله تعالى فهو الذي يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه النزعات الخيرة و الصفات العظيمة، و هذا هو ما تذهب إليه الشيعة و تدلل عليه في كتبهم الكلامية، كما ان الإمام زين العابدين عليه السلام ليس هو الذي طبع التشيع بطابع الحزن على الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة، و إنما كانت رزية كربلاء التي تذوب من هولها القلوب هي التي طبعت التشيع بعالم الأسى و الحزن، و كان الإمام زين العابدين في طليعة المتأثرين بها لأنه شاهد فصولها الحزينة.

۴۰- أحمد فهمي:

قال الشيخ أحمد فهمي: «كان أي الإمام زين العابدين- أفضل أهل زمانه، و أعلمهم، و أفقههم، و أورعهم، و أعبدهم، و أكرمهم، و أحلمهم، و أفصحهم لسانا، و أكرمهم احسابا، يحدب على الفقراء و يعين الضعفاء ...» «۲».

۴۱- حسين علي محفوظ:

قال الدكتور حسين علي محفوظ: «كان زين العابدين أفضل خلق

---

(۱) نظرية الإمامة (ص ۳۰۷).

(۲) الإمام زين العابدين (ص ۶۵).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۸

الله- بعد أبيه- علما و عملا، و كان أقرب أهل البيت عليهم السلام شبها بأمير المؤمنين في لباسه و فقهه و عبادته ..» «۱».

نقاط مهمة:

و حفلت كلمات الأعلام من المعاصرين للإمام، و من المؤرخين بنقاط مهمة من بينها ما يلي:

أولا:- ان الإمام كان أفقه علماء عصره، و أكثرهم دراية و إحاطة بشئون الشريعة و أحكام الدين.

ثانيا:- أنه أفضل هاشمي، بل و أفضل قرشي في عصره، و ذلك لما يتمتع به من الصفات الكريمة، و المثل العليا التي قل أن تتوفر بعضها في أي إنسان عدا آبائه.

ثالثا:- أنه أفضل أهل زمانه، و أعلاهم شأنا و مكانة، و ذلك لنسبه الرفيع، فهو ابن الخيرتين، مضافا إلى عبقرياته، و مواهبه العظيمة.

رابعا:- أنه من أزهد الناس، و أكثرهم إعراضا عن مباهج الحياة الدنيا و زينتها، فلم يحفل و لم يعن بها.

خامسا:- أنه من أورع الناس، و من أكثرهم تقوى، و حريجة في الدين.

سادسا.- أنه سراج الدنيا، و جمال الإسلام «۲» و ذلك لسيرته الندية العاطرة التي هي نفحة من نفحات النبوة و الإمامة.

سابعا.- أنه من أحسن الناس، و أطيبهم ريحا، و أكرمهم نفسا، و أعظمهم شرفا.

---

(۱) مجلة البلاغ العدد ۷/ السنة الأولى (ص ۵۴).

(۲) وصفه بذلك عمر بن عبد العزيز.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۹

ثامنا:- أنه من أفصح الناس، و أعظمهم بلاغة، فقد كانت أدعيته و مواعظه و كلماته الحكمية من مناجم الأدب العربي، و من أنفس الذخائر الثقافية في دنيا الإسلام.

تاسعا:- أنه من أبر الناس بالفقراء، و من أكثرهم عطفا و حنانا على البؤساء و المحرومين.

عاشرا:- أنه من أعبد الناس، و أكثرهم طاعة لله، فليس هناك من يضارعه في عبادته و طاعته لله عدا آبائه.

الحادي عشر.- أنه من أحسن الناس أخلاقا، فقد كان يضارع جده الرسول (ص) في سمو أخلاقه و آدابه.

الثاني عشر.- أنه أهل للرئاسة، و زعامة الأمة، و قيادتها الروحية و الزمنية.

الثالث عشر:- أن المسلمين قد اجمعوا على تعظيمه، و الاعتراف له بالفضل و ليس هناك أي أحد من مناوئيه من يخدش به أو ينال منه.

هذه بعض النقاط التي احتوت عليها كلمات المعاصرين للإمام، و المؤرخين له على اختلاف ميولهم و اتجاهاتهم، و هي تدلل على سمو الفكرة التي تذهب إليها الشيعة من أن الإمام لا بد أن يكون أفضل أهل زمانه و أعلمهم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۱

مع رزايا كربلاء

اشارة

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۳

و عاش الإمام زين العابدين عليه السلام المحنة القاسية التي عاشها أبوه الإمام الحسين عليه السلام أيام حكومة معاوية و يزيد، و شاركه في آلامه و شجونه، و كان من أشق ما عاناه الإمام الحسين في تلك الحقبة السوداء أنه رأى السياسة الأموية قد اتجهت في مسارها إلى ضرب الإسلام، و إبادة ركائزه و قواه، و العمل على انحطاط الإنسان المسلم، و شل نشاطاته الفكرية و العقلية، و الحيلولة بينه و بين مبادئ دينه العظيم، و لم يستطع الإمام في أيام معاوية أن يفجر ثورته الكبرى، و ذلك لعلمه بفشلها و عدم استطاعتها على تغيير الأوضاع القائمة في البلاد، لأن معاوية كان يتمتع بدبلوماسية قوية و حكمة يستحيل التغلب عليه، و إفشال مخططاته، و لكن لما هلك هذا الطاغية، و تسلم من بعده يزيد مقاليد الحكم رأى الإمام الحسين عليه السلام أن واجبه الديني يقضي عليه بمناجزة يزيد و إسقاط حكومته حفظا لمصالح المسلمين، و رعاية لحقوقهم، و وفاء لمبادئ دين جده العظيم فأعلن عليه السلام ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب، و جعلها عبرة لأولي الألباب، و نعرض- بإيجاز- إلى لقطات من تلك الثورة، و ما رافقها من الأحداث المروعة، و التي كانت بمرأى و مسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام، و بالرغم مما كان يعانيه من شدة المرض إلا أنه استوعب جميع فصول تلك المأساة بإحساسه المرهف، و عاطفته اليقظة، و فيما يلي ذلك.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۴

على صعيد كربلاء:

و انتهى موكب العترة الطاهرة التي تبنت حقوق المظلومين و المضطهدين إلى صعيد كربلا، و قد تواكبت عليهم المحن و الخطوب، و

ألمت بهم الرزايا و الكوارث، و أيقنوا بالرزء القاصم، فقد أحاطت بهم قوى البغى و العدوان و هى مصممة على إراقة دمائهم، أو إخضاعهم إلى الذل و الهوان، و يأبى الله لهم ذلك.

و نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الفتية من أهل بيته و هم فى نضارة العمر و ريعان الشباب، فأغرق فى البكاء و راح يقول:

«اللهم انا عترة نبيك محمد (ص) قد أخرجنا، و طردنا، و أزعجنا عن حرم جدنا و تعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، و انصرنا على القوم الظالمين ..».

ثم خاطب الأبطال من أهل بيته و أصحابه قائلا:

«الناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون ..» «۱».

و حكت هذه الكلمات المشرقة الواقع العملى من حياة الناس فى جميع مراحل التاريخ، فهم عبيد الدنيا فى كل زمان و مكان، أما الدين، فلا ظل له فى أعماق قلوبهم، فإذا دهمتهم الكوارث تنكروا له، و ابتعدوا عنه، فكان حقا لعقا على ألسنتهم.

و التفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم:

«أما بعد: فقد نزل بنا ما قد ترون، و إن الدنيا قد تغيرت، و تنكرت، و ادبر معروفها و لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، و خسيس عيش كالمرعى الوبيل «۲» أ لا ترون إلى الحق لا يعمل به، و إلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۹۷.

(۲) المرعى الوبيل: هو الطعام الوخيم الذى يخاف وباله.

المؤمن فى لقاء الله، فإنى لا أرى الموت إلا سعادة و الحياة مع الظالمين إلا برما ..» «۱». و أعرب فى هذا الخطاب عما نزل به من صنوف المحن و البلاء، و ان منطق الدنيا معهم قد تغير، فقد ساقت لهم المقادير، صنوفا مرهقة من الخطوب، و لكن حفيد النبى (ص) العظيم لم يعبأ و لم يحفل بها، لأنه على بصيرة من أمره، فهو يرى الحق لا يعمل به، و الباطل لا يتناهى عنه، و قد عادت له الحياة كريهة و الموت و الشهادة فى سبيل الله سعادة.

و لما أنهى خطابه هبّ أصحابه جميعا، و هم يضربون أروع الأمثلة للتضحية و الفداء من أجل إقامة الحق و العدل، و قد تكلم كل واحد منهم بكلمة الإخلاص فشكرهم الإمام و أثنى عليهم.

الإمام ينعى نفسه:

و فى ليلة العاشر من المحرم دخل الإمام الحسين عليه السلام إلى خيمته، و جعل يعالج سيفه و يصلحه، و قد أيقن بالقتل، و هو يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالاشراق و الأصيل

من صاحب و طالب قتيل و الدهر لا يقنع بالبديل

و إنما الأمر إلى الجليل و كل حى سالك سبيلى و قد نعى نفسه العظيمة بهذه الأبيات، و كان فى الخيمة الإمام زين العابدين و حفيدة النبى (ص) زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سمع الإمام زين العابدين عرف ما أراده أبوه فخنقته العبرة، و لزم السكوت و علم أن البلاء قد نزل- حسبما يقول- و أما عقيلة بنى هاشم فقد أحست أن شقيقها و بقية أهلها عازمون على الموت، و مصممون على الشهادة فأمسكت قلبها فى ذعر، و و ثبت و هى تجر ثوبها، و قد فاضت عيناها بالدموع، فوقفت أمام أخيها، و قالت له بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها:

---

(۱) معجم الطبرانى، تاريخ ابن عساكر ۱۳/ ۷۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۶

«وا ثكلاه! وا حزناه، ليت الموت أعدمنى الحياة، يا حسيناه، يا سيداه، يا بقية أهل بيتاه، استسلمت، و يئست من الحياة، اليوم مات جدى رسول الله (ص) و أمى فاطمة الزهراء، و أبى على، و أخى الحسن، يا بقية الماضين و ثمال الباقين ...».

فنظر إليها برفق و حنان، و قال لها:

«يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان ..».

و انبرت العقيلة إلى أخيها، و هى شاحبة اللون، قد مزق الأسى قلبها الرقيق المعذب، فقالت له:

«أ تغتصب نفسك اغتصابا، فذاك أطول لحزنى، و أشجى لقلبى».

و لم تملك صبرها بعد ما أيقنت أن شقيقها مقتول، فعمدت إلى جيبها فشقته، و لطمت وجهها، و خرت على الأرض فاقدة لوعيها، و شاركتها السيدات من عقائل الوحى فى المحنة القاسية، و صاحت أم كلثوم:

«وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك ..».

و أثر المنظر الرهيب فى نفس الإمام الحسين، فذاب قلبه أسى و حسرات، و تقدم إلى السيدات من بنات الوصى فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر، و التحمل لأعباء هذه المحنة الكبرى قائلا:

«يا أختاه، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن على جيبا، و لا تخمشن وجها، و لا تقلن هجرا ..» «۱».

لقد أمرهن بالخلود إلى الصبر، و التجمل به، و اجتناب هجر الكلام أمام المحن القاسية التى ستجرى عليهن.

يوم عاشوراء:

و ليس هناك حادث فى التاريخ يضارع فى كوارثه و آلامه مثل ما جرى

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۱۷۲- ۱۷۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۷

على الإمام الحسين فى يوم عاشوراء، فلم تبق محنة من محن الدنيا، و لا كارثة من كوارث الدهر إلا جرت على ريحانة رسول الله (ص) و قد تحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن ذلك اليوم العصيب الخالد فى دنيا الأحزان قال:

«ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله، و بعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبى طالب، ثم قال: و لا يوم كيوم الحسين إذ دلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز و جل بدمه، و هو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيا و ظلما و عدوانا ..» «۱».

و ليس فى دنيا الإسلام على امتداد التاريخ يوم أشد و أقسى من يوم الحسين عليه السلام فقد ثار هذا الإمام العظيم ليقيم فى هذا الشرق معالم الحياة الكريمة و يوفر الحرية و الرخاء و الأمن و الاستقرار لجميع شعوب العالم، و قد وقفت فى وجهه أولئك الصعاليك من حثالة البشرية، فأراقت دمه الزاكى فى وحشية قاسية لم يشاهد التأريخ لها مثيلا فى فظاعتها و مرارتها و قد اقترفت هذه الجرائم لتعيش هى تحت كابوس من العبودية و الظلم و الجور.

خطبة الإمام:

فقبل أن تندلع نار الحرب رأى الإمام العظيم أن يقيم الحجة على أولئك الممسوخين و يسد أمامهم كل عذر، و يجعلهم على بصيرة و

بينـة من أمرهم، فقد دعا عليه السـلام براحلته فركبها، و اتجه نحوهم، و هو بتلك الهيبة التى تحكى هيبة جده رسول الله (ص) فخطب فيهم خطابه التأريخى الذى هو من أبلغ و أروع خطاب ورد فى الكلام العربى، و قد نادى بصوت عال يسمعه جلهم قال:

---

(۱) بحار الأنوار ۹/ ۱۴۷.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۸

«أيها الناس اسـمعوا قولى، و لا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم على، و حتى أعتـذر إليكم، من مقدمى عليكم، فإن قبلتم عذرى، و صدقتم قولى و أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد، و لم يكن لكم على سبيل، و إن لم تقبلوا منى العذر، و لم تعطوا النصف من أنفسـكم فاجمعوا أمركم و شـركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمـة، ثم اقضوا إلى و لا تنظرون، إن وليى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين ..».

و نقل الأثير كلماته إلى السـيدات من عقائل النبوة، و حرائر الوحى فتصارخن بالبكاء، و ارتفعت أصواتهن، فبعث إليهن أخاه العباس و ابنه عليا، و قال لهما: سـكتاهن فلعمرى ليكثر بكاؤهن، و لما سكتن استرسل فى خطابه فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على النبى (ص) و قال فى ذلك ما لا يحصى ذكره، و لم يسمع لا قبله، و لا بعده أبلغ منه فى منطقه «۱» و قال:

«أيها الناس: إن الله تعالى خلق الـدنيا فجعلها دار فناء و زوال، متصـرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته، و الشـقى من فتنته، فلا تغرنكم هـذه الـدنيا فإنهـا تقطع رجـاء من ركن إليهـا، و تخيب طمع من طمع فيها، و أراكم قـد اجتمعتم على أمر قـد أسـخطتم الله فيه عليكم، و أعرض بوجهه الكريم عنكم، و أحل بكم نقمته، فنعم الرب ربنا، و بئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، و آمنتم بالرسول محمد (ص) ثم إنكم زحفتم إلى ذريته و عترته تريدون قتلهم، لقد اسـتحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم و لما تريدون، إنا لله و إنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعدا للقوم الظالمين ..».

لقـد وعظهم بهـذه الكلمات، فحـذرهم من فتنـة الـدنيا و غرورها، و دلل على عواقبها الخاسـرة، و أهاب بهم من الإقدام على قتل عترة نبيهم، فإنهم بذلك يخرجون من الإسلام إلى الكفر و يستوجبون عذاب الله و نقمته، ثم استرسل الإمام العظيم فى خطابه قائلا:

---

(۱) الطبرى ۶/ ۲۴۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۹

«أيها الناس انسبونى من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوها، و انظروا هل يحل لكم قتلى و انتهاك حرمتى؟ أ لست ابن بنت نبيكم، و ابن وصـيه و ابن عمه،؟ و أول المؤمنين بالله، و المصدق لرسوله بما جاء من عند ربه، أ و ليس حمزة سيد الشهداء عم أبى؟ أ و ليس جعفر الطيـار عمى؟ أولم يبلغكم قول رسول الله (ص) لى و لأـخى! «هـذان سـيدا شـباب أهـل الجنـة» فإن صـدقتمونى بما أقول: و هو الحق، و الله ما تعمـدت الكـذب منـذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، و يضـر به من اختلقه، و إن كـذبتمونى فإن فيكم من إذا سألتموه أخبركم، سـلوا جابر بن عبد الله الأنصارى، و أبا سعيد الخدرى، و سهل بن سعد الساعدى و زيد بن أرقم، و أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لى و لأخى، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى؟».

و كـان خليقا بهـذا الخطاب أن يرجع إلى قطعات ذلك الجيش عوازب أحلامه، و يحـدث انقلابا عسـكريا فى صـفوفهم، لقـد دعاهم ليرجعوا إلى نفوسهم و عقولهم لو كانوا يملكونها، فيمعنوا النظر فى شأنه، فهو حفيد نبيهم، و ابن وصيه، و ألصق الناس و أمسهم رحما بـالنبى (ص) و هو سـيد شـباب أهل الجنـة، و فى ذلك حصانـة له من سـفك دمه، و انتهاك حرمته، إلا أن ذلك الجيش لم يع هـذا المنطق الفياض، فقد خلد إلى الجريمة، و غرق فى الضلال.

و انبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذى الجوشن فقال له:

«هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما تقول ..».

و تصدى لجوابه حبيب بن مظاهر و هو من ذخائر الإيمان و الإسلام فقال له:

«و الله إنى أراك تعبد الله على سبعين حرفا، و أنا أشهد أنك صادق، ما تدرى ما يقول: قد طبع الله على قلبك ..»

و استمر الإمام العظيم فى خطابه فقال:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۰

«فإن كنتم فى شك من هذا القول، أ فتشكون أنى ابن بنت نبيكم فو الله ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبى غيرى فيكم، و لا فى غيركم، و يحكم أ تطلبوننى بقتيل منكم قتلته، أو مال استهلكته، أو بقصاص جراحة ..».

و زلزلت الأرض تحت أقدامهم، و غدوا حيارى لا يملكون جوابا لرده، ثم نادى الإمام عليه السلام قادة الجيش من الذين كاتبوه بالقدوم لمصرهم فقال:

«يا شبث بن ربعى، و يا حجار بن ابجر، و يا قيس بن الأشعث، و يا زيد بن الحرث، أ لم تكتبوا إلى أن قد أينعت الثمار، و اخضر الجناب، و إنما تقدم على جند لك مجندة ..».

و لم تخجل تلك الذوات القذرة من خيانة العهد و نقض الميثاق، فأجابوه مجمعين على الكذب:

«لم نفعل ..».

و استغرب الإمام منهم ذلك فقال:

«سبحان الله، بلى و الله لقد فعلتم ..».

و أشاح الإمام بوجهه عنهم، و وجه خطابه إلى قطعات الجيش فقال لهم:

«أيها الناس إذا كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض».

و انبرى إليه قيس بن الأشعث و هو من ركائز الإثم و الباطل فى الكوفة، و من أسرة لم تنجب شريفا قط فقال له:

«أولا تنزل على حكم بنى عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، و لن يصل إليك منهم مكروه ..».

فأجابه الإمام:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۱

«أنت أخو أخيك؟ أ تريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا و الله لا أعطيكم بيدى إعطاء الذليل، و لا أفر فرار العبيد «۱» عباد الله إنى عذت بربى و ربكم أن ترجمون، أعوذ بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ..» «۲».

و من المؤسف أن هذا الخطاب النير لم ينفذ إلى قلوبهم، فقد ختم الجهل على قلوبهم فكانوا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

الحرب:

و لما فشلت جميع الوسائل التى اتخذها الإمام لصيانة السلم و عدم سفك الدماء أعلن ابن سعد الحرب العامة على الإمام، فقد زحف إلى مقربة من معسكر الإمام، و أخذ سهما فأطلقه صوب الإمام و هو يصيح:

«اشهدوا لى عند الأمير انى أول من رمى معسكر الحسين ..».

لقد طلب الباغى اللئيم من الجيش أن يشهدوا له عند أميره و سيده ابن مرجانة انه أول من رمى معسكر الحق و الكرامة و الشرف، و تتابعت السهام كأنها المطر من رماة جيشه على الحسين و أصحابه، فلم يبق أحد منهم إلا أصيب بسهم، و التفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم: «قوموا يا كرام فهذه رسل القوم إليكم ..».

و تقدمت طلائع الحق من أصحاب الإمام إلى ساحة الحرب، و بدأت بذلك المعركة بين المعسكرين، و هى من أعنف المعارك،

التى جرت على الأرض.

مصارع الأبرار:

و التحم معسكر الحق مع جيوش الضلال و الباطل، و قد تسابق أصحاب

---

(۱) و فى رواية «و لا أقر لكم إقرار العبيد».

(۲) حياة الإمام الحسين ۳/ ۱۸۴- ۱۸۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۲

الإمام الحسين مع أهل بيته بشوق و رغبة إلى الموت، ليظفروا بالنعيم الدائم، و قد قادوا بذلك حركة الإيمان، و لم تضعف لأى واحد منهم عزيمة الإيمان، و قد دللوا بتضحياتهم الهائلة على عظمة الإسلام الذى منحهم تلك الروح الوثابة التى استطاعوا بها- على قلتهم- أن يقابلوا تلك الوحوش الكاسرة، و ينزلوا بها أفدح الخسائر.

لقد أبدى أصحاب الحسين و أهل بيته من صنوف البسالة و الشجاعة ما يفوق حد الوصف و الإطراء، خصوصا أبا الفضل العباس عليه السلام، فقد واسى أخاه الحسين، و فداه بروحه، و ليس فى تاريخ الإنسانية فى جميع مراحلها أخوة أصدق، و لا أنبل و لا أوفى من تلك الأخوة، و قد أشاد الإمام زين العابدين عليه السلام بها قال عليه السلام:

«رحم الله عمى العباس، فلقد آثر و أبلى، و فدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز و جل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة فى الجنة، كما جعل لجعفر بن أبى طالب، و إن للعباس منزلة، عند الله تعالى يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة ..» «۱».

و كان أبو الفضل العباس هو آخر من قتل من اخوة الحسين، و قد وقف الإمام (ع) على الجثمان المقدس، و هو يلفظ شظايا قلبه الذى مزقته الكوارث قائلا:

«الآن انكسر ظهرى و قلت حيلتى ..».

و شعر الإمام بالوحدة و الضيعة بعد فقده لأخيه الذى لم يترك لونا من ألوان البر و المواساة إلا قدمها له، و قد أتينا على أخبار شهادته و عظيم رزية الإمام بها فى كتابنا (حياة الإمام الحسين).

استغاثة الإمام:

و ألقى الإمام الممتحن نظرة مشفوعة بالأسى و الحسرة على أهل بيته

---

(۱) البحار ۹/ ۱۴۷.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۳

و أصحابه فرآهم مجزرين كالأضاحى على رمال كربلاء اتصهرهم الشمس، و سمع عياله، و قد ارتفعت أصواتهن بالعويل و البكاء يندبن قتلاهن، و لا يعرفن ما ذا سيجرى عليهن بعد قتل الحسين، و قد أثر ذلك على الإمام تأثيرا بالغا فأخذ يستغيث، و يطلب الناصر و المعين ليحامى عن حرم رسول الله (ص) قائلا:

«هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (ص)؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله فى إغاثتنا؟ ..» «۱».

و لما سمع الإمام زين العابدين هذه الاستغاثة المثيرة، وثب من فراش المرض و جعل يتوكأ على عصا لشدة مرضه، فبصر به الحسين، فصاح بأخته السيدة أم كلثوم: احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، و بادرت إليه عمته فأرجعته إلى فراشه و أخذ يعانى من

الآلام النفسية أكثر مما يعانى من آلام مرضه، فقد طافت به المحن و الخطوب، فهو يرى الكواكب المشرقة من اخوته و أبناء عمومته صرعى على الأرض، و يرى أصحابهم الأوفياء مجزرين كالأضاحى، و يرى أباه و قد أحاط به أعداء الله قد صمموا على قتله، و يرى عقائل الوحى، و مخدرات الرسالة فى حالة من الذعر و الخوف ما لا سبيل إلى تصويره، و قد قابل تلك الكوارث المفزعة بالصبر، و تفويض أمره إلى الله.

مصرع الإمام العظيم:

و أحاط الجفاة الجناة بريحانة رسول الله (ص) و هم يوسعونه ضربا بالسيوف و طعنا بالرماح، و رميا بالحجارة، و قد أعياه نزف الدم، و بادر المجرم الخبيث شمر بن ذى الجوشن، فاحتز رأس الإمام عليه السلام، و يقول الرواة: انه كان على شفتيه ابتسامة الرضا و النصر الذى أحرزه الإمام إلى الأبد.

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۲۷۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۴

لقد استشهد الإمام من أجل أن يقيم فى ربوع هذا الشرق دولة الحق، و يقضى على الظلم و الغبن، و يوزع خيرات الله على المحرومين و المضطهدين، و ينقذ الأمة من حكم الأمويين الذين كفروا بحقوق الإنسان، و حولوا البلاد إلى مزرعة لهم يصيبون منها حيثما شاءوا.

حرق الخيام:

و عمد أجلاف البشرية و أوغادها إلى حرق خيام الإمام الحسين عليه السلام غير حافلين بما فيها من عقائل النبوة و مخدرات الوحى و أطفال أهل البيت عليهم السلام، و قد حملوا أقبسة من النار و مناديهم ينادى:

«احرقوا بيوت الظالمين ..».

لقد غدا فى عرف هؤلاء أن أخبية الحسين هى بيوت الظلم، و بيوت الأمويين و عملائهم هى بيوت العدل، و هم الذين أغرقوا البلاد فى الظلم و الجور.

و حينما التهبت النار فى الخيام فرّت بنات رسول الله (ص) فى البيداء، و النار تلاحقهن، أما اليتامى فقد علا صراخهم و قد هاموا على وجوههم فى البيداء، و هم يستغيثون فلا يجدون من يحميهم و يغيثهم، و كان هول ذلك المنظر من أفجع ما رآه الإمام زين العابدين و لم يغب عن ذهنه طيلة المدة التى عاشها بعد أبيه، فكان دوما يقول:

«و الله ما نظرت إلى عماتى و أخواتى إلا و خنقتنى العبرة، و تذكرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة، و من خباء إلى خباء، و منادى القوم ينادى أحرقوا بيوت الظالمين ..» «۱».

الهجوم على زين العابدين:

و هجم الكفرة الجفاة على الإمام زين العابدين، و قد أنهكته العلة

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۲۹۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۵

و مزقت الأحداث الرهيبة قلبه، و قد أراد المجرم الخبيث شمر بن ذى الجوشن قتله فنهره حميد بن مسلم قائلا:

«سبحان الله!! أ تقتل الصبيان؟ إنما هو مريض ..».

فلم يحفل به، و بادرت إليه العقيلة عمته زينب فتعلقت به، و قالت:

لا يقتل حتى أقتل دونه «۱» فكف اللئام عنه، و قد نجا منهم بأعجوبة.

جزع الإمام زين العابدين:

و جزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع، و تمنى مفارقة الحياة، و ذلك من هول ما رأى من المآسى التى جرت على أهل البيت، و قد أخذ يعانى آلام الاحتضار حينما رأى جثة أبيه، و جثث أهل بيته و أصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها، و بصرت به عمته العقيلة زينب فبادرت إليه مسلية قائلة:

«ما لى أراك تجود بنفسك يا بقية جدى و إخوتى، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك و أبيك، و لقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، و هم معروفون فى أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، و الجسوم المضرجة فيوارونها و ينصبون بهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، و لا يمحى رسمه على كرور الليالى و الأيام، و ليجتهدن أئمة الكفر و أشياع الضلال فى محوه و طمسه، فلا يزداد أثره إلا علوا ..» «۲».

و أخذت تسليه بهذا و نحوه حتى أزالت ما ألم به من عظيم الأسى الذى كاد أن يقضى عليه.

---

(۱) تأريخ القرمانى (ص ۱۰۸).

(۲) كامل الزيارات (ص ۲۶۱).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۶

مواراته للجثث الطاهرة:

و عمد الأجلاف اللئام من أهل الكوفة إلى مواراة جيف قتلاهم، و تركوا جثمان ريحانة رسول الله (ص) و جثث أهل بيته و أصحابه الممجدين على رمضاء كربلاء و انبرى قوم من بنى أسد من الذين لم يشتركوا فى الحرب فحفروا القبور لتلك الجثث الزواكى، و كانوا متحيرين فى معرفتها لأن الرءوس قد فصلت عنها، و بينما هم كذلك إذ أطل عليهم الإمام زين العابدين- حسبما نصت عليه بعض المصادر الشيعية- فأوقف بنى أسد على شهداء أهل البيت و غيرهم من الأصحاب، و بادر بنفسه إلى حمل جثمان أبيه فواراه فى مثواه الأخير و هو يذرف أحر الدموع قائلا:

«طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر، فإن الدنيا بعدك مظلمة، و الآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهد، و الحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التى أنت بها مقيم، و عليك منى السلام يا ابن رسول الله و رحمة الله و بركاته ..».

و رسم على القبر الشريف هذه الكلمات: «هذا قبر الحسين بن على ابن أبى طالب، الذى قتلوه عطشانا غريبا» و دفن عند رجلى الإمام فلذة كبده ولده على الأكبر، و دفن بقية الشهداء من هاشميين و غيرهم فى حفرة واحدة، ثم انطلق مع الأسديين إلى نهر العلقمى فحفر قبرا و وارى فيه قمر بن هاشم أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، و جعل يبكى أمر البكاء و هو يقول:

«على الدنيا بعدك العفا يا قمر بن هاشم، و عليك منى السلام من شهيد محتسب و رحمة الله و بركاته ..» «۱».

و أصبحت تلك القبور الطاهرة رمزا للكرامة الإنسانية، و رمزا لكل تضحية تقوم على الشرف و العدل و الحق، و قد أصبحت من أقدس مراكز العبادة، و أفضلها فى الإسلام.

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۲۴- ۳۲۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۷

سبايا أهل البيت فى الكوفة:

و أدخلت عقائل الوحى و مخدرات الرسالة سبايا إلى الكوفة، و قد عزفت أبواق الجيش و خفقت راياتهم معلنة النصر و الظفر بقتلهم لريحانة رسول الله (ص) و سيد شباب أهل الجنة، و قد وصف ذلك المنظر مسلم الجصاص، يقول: دعانى ابن زياد لإصلاح دار الامارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب، و إذا بالزعقات قد ارتفعت من جميع الكوفة فأقبلت على أحد خدام القصر فقلت له:

- «ما لى أرى الكوفة تضج؟».

- «الساعة يأتون برأس خارجى خرج على يزيد ..».

- «من هذا الخارجى؟ ..».

- «الحسين بن على ..».

يقول: فتركت الخادم، و أخذت ألطم على وجهى حتى خشيت على عينى أن تذهبا، و غسلت يدى من الجص، و خرجت من القصر حتى أتيت إلى الكناس، فبينما أنا واقف، و الناس يتوقعون وصول السبايا و الرءوس إذ أقبل أربعون جملا تحمل النساء و الأطفال، و إذا بعلى بن الحسين على بعير بغير وطاء و أوداجه تشخب دما و هو يبكى و قول:

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم‌يا أمة لم تراع جدنا فينا

لو أننا و رسول الله يجمعنايوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيرون فينا على الأقتاب عاريةكأننا لم نشيد فيكم دينا «۱» و يقول جذلم بن بشير: قدمت الكوفة سنة (۶۱ ه) عند مجيء على ابن الحسين من كربلاء إلى الكوفة، و معه النسوة و قد أحاطت بهم الجنود، و قد خرج الناس للنظر إليهم، و كانوا على جمال بغير و طاء فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين و يندبن، و رأيت على بن الحسين قد أنهكته العلة، و فى عنقه

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۳۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۸

الجامعه و يده مغلولة إلى عنقه «۱» و هو يقول بصوت ضعيف: إن هؤلاء يبكون و ينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟ «۲».

خطاب الإمام زين العابدين:

و أحاطت الجماهير بالإمام زين العابدين عليه السلام، فرأى أن يخطب فيهم، و يعرفهم اثم ما اقترفوه، و ما جنوه على أنفسهم و على الأمة، فقال عليه السلام بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنا ابن من انتهكت حرمته، و سلبت نعمته، و انتهب ماله، و سبى عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل، و لا ترات، أنا ابن من قتل صبرا، و كفى بذلك فخرا.

أيها الناس ناشدتكم اللّه هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبى و خدعتموه، و اعطيتموه من أنفسكم العهود و الميثاق و البيعة، و قاتلتموه، فتبا لما قد متم لأنفسكم و سوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول اللّه؟ إذ يقول لكم:

قتلتم عترتى و انتهكتم حرمتى، فلستم من أمتى ...».

و علت أصوات أولئك العبيد الذين سودوا وجه التاريخ بالبكاء و النحيب و نادى مناد منهم:

«هلكتم و ما تعلمون ..».

و استمر الإمام فى خطابه فقال:

«رحم اللّه امرأ قبل نصيحتى، و حفظ وصيتى، فى اللّه و فى رسوله

---

(۱) أمالى الشيخ المفيد (ص ۱۴۳) مخطوط.

(۲) مقتل الحسين لعبد الله مخطوط.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۹

و أهل بيته، فإن لنا فى رسول اللّه (ص) أسوة حسنة».

فهتفوا اجمعين بلسان واحد:

«نحن يا ابن رسول اللّه، سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، و لا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك اللّه، فإنا حرب لحربك، و سلم لسلمك نبرأ ممن ظلمك و ظلمنا ..».

ورد الإمام عليهم هذا الولاء الكاذب قائلا:

«هيهات، هيهات، أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم، و بين شهوات انفسكم، أ تريدون أن تأتوا إلى كما أتيتم إلى أبى من قبل، كلا و رب الراقصات «۱» فإن الجرح لما يندمل، قتل أبى بالأمس و أهل بيته، و لم ينس ثكل رسول اللّه (ص) و ثكل أبى، و بنى أبى، إن وجده و اللّه بين لهاتى، و مرارته بين حناجرى و حلقى، و غصته تجرى فى فراش صدرى ...» «۲»

و أمسك الإمام عن الكلام معرضا عن أولئك الغدرة الفجرة الذين هم وصمة عار على البشرية، فهم الذين قتلوا ريحانة رسول اللّه (ص) الذى جاء ليحررهم، و ينقذهم من ظلم الأمويين و جورهم، و بعد ذلك ندموا، و راحوا يبكون عليه.

الطاغية مع الإمام:

و أدخلت سبايا آل رسول اللّه (ص) إلى قصر الامارة حيث يقيم فيه حاكم الكوفة ابن مرجانة، و قد بصر الطاغية بالإمام زين العابدين عليه السلام و قد انهكته العلة، فسأله قائلا:

- «من أنت؟ ..»

- «على بن الحسين ..»

- «أو لم يقتل اللّه على بن الحسين؟».

فأجابه الإمام بأناة:

---

(۱) الراقصات: مطايا الحجيج.

(۲) مثير الأحزان لابن نما، اللهوف.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۰

«كان لى أخ يسمى عليا قتلتموه، و ان له منكم مطلبا يوم القيامة ...»

فثار ابن زياد فى وقاحة و صلف، و صاح بالإمام:

«اللّه قتله ..»

فأجابه الإمام بكل شجاعة و ثبات:

«اللّه يتوفى الأنفس حين موتها، و ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللّه ...».

و دارت الأرض بابن مرجانة، و أخذته العزة بالإثم، و غاظه أن يتكلم هذا الغلام الأسير بهذه الطلاقة و قوة الحجة، و الاستشهاد بالقرآن، و يرد عليه كلامه فصاح به:

«و بك جرأة على رد جوابى!! و فيك بقية للرد على؟ ...».

و صاح الرجس الخبيث بأحد جلاديه:

«خذ هذا الغلام و اضرب عنقه ...»

و طاشت أحلام السيدة زينب حفيدة الرسول (ص)، و انبرت بشجاعة لا يرهبها سلطان، فاعتنقت الإمام، و قالت لابن مرجانة:

«حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت، و هل ابقيت أحدا غير هذا؟

فإن أردت قتله فاقتلنى معه».

و بهر الطاغية، و قال متعجبا:

«دعوه لها، يا للرحم ودت أنها تقتل معه ..»

و لو لا هذا الموقف البطولى من العقيلة لقتل الإمام زين العابدين و ذهبت البقية من نسل الإمام الحسين عليه السلام التى هى مصدر الخير و الشرف فى الأرض .. و روى الجاحظ فى رسائله أن ابن مرجانة قال لأصحابه فى على بن الحسين:

«دعونى اقتله فإنه بقية هذا النسل- يعنى نسل الحسين- فاحسم به هذا القرن، و أميت به هذا الداء، و اقطع به هذه المادة ...».

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۱

إلا أنهم أشاروا عليه بالإمساك عنه معتقدين أن ما ألم به من المرض سوف يقضى عليه «۱».

اختطاف الإمام:

و اختطف بعض الكوفيين الإمام زين العابدين، و أخفاه فى داره، و جعل يكرمه و يحسن إليه، و كان كلما رآه أجهش بالبكاء فظن الإمام به خيرا إلا أنه لم تمض فترة يسيرة من الزمن حتى نادى منادى ابن زياد، من وجد على بن الحسين و أتى به فله ثلاث مائة درهم، فلما سمعه الكوفى أسرع إلى الإمام فجعل فى عنقه حبلا و ربط يديه بالحبل، و أخذ الدراهم «۲» و هذه البادرة الغريبة- إن صحت- فإنها تعطى صورة عن تهالك المجتمع الكوفى على المادة، و تفانيه فى الحصول عليها بأى طريق كان.

سبايا آل البيت إلى دمشق:

و حملت ودائع الرسالة، و عقائل الوحى إلى دمشق الشام، و هن فى حالة مشجية تذوب من هولها النفوس، و قد خرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع سبايا نبيهم، و قد عج الرجال و النساء بالبكاء، و قد استغرب الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك منهم و راح يقول:

«هؤلاء قتلونا، و يبكون علينا!!» «۳».

و أمر الخبيث الدنس شمر بن ذى الجوشن أن يغل الإمام زين العابدين بغل فى عنقه فغل «۴»، و انطلق الركب فى مسيرته نحو الشام، و يقول المؤرخون: إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يتكلم مع الجفاة الذين

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۴۵- ۳۴۷.

(۲) مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان (ص ۹۸) المنتظم لابن الجوزى الجزء الخامس، طبقات ابن سعد.

(۳) مرآة الزمان (ص ۹۹).

(۴) انساب الأشراف ق ۱/ ج ۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۷۲

رافقوه بكلمة واحدة و لا طلب منهم أي شيء في طيلة الطريق فقد عرفهم اخباثا لئاما لا يستجيبون لأي أمر يأمرهم به.

و سارت القافلة لا تلوى على شيء حتى انتهت إلى القرب من دمشق، فأقيمت هناك حتى تتزين البلد بمظهر الزهو و الأفراح.

و لما تزينت دمشق بأبهى زينة ادخلت سبايا آل النبي (ص) وسط هالة من التهليل و التكبير للنصر الذي احرزه حفيد أبي سفيان على حفيد رسول اللّه (ص).

الشامي مع زين العابدين:

و انبرى شيخ من أهل الشام قد ضللته الدعايات الكاذبة نحو الإمام زين العابدين عليه السلام، و قد رفع عقيرته:

«الحمد للّه الذي اهلككم، و أمكن الأمير منكم ...»

و بصر به الإمام فرآه مخدوعا، قد خفي عليه الحق، و خدعه الإعلام الأموي فقال له:

«يا شيخ قرأت القرآن؟ ..».

«بلى ..»

«أقرأت قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى و قوله تعالى: وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ و قوله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى؟ ...»

و بهر الشيخ فقال بصوت خافت:

«نعم قرأت ذلك ..»

قال له الإمام:

«نحن و اللّه القربى في هذه الآيات، يا شيخ أقرأت قوله تعالى:

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

«بلى».

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۷۳

«نحن أهل البيت الذين خصهم اللّه بالتطهير ...».

و سرت الرعدة في أوصال الشيخ، و تمنى أن تكون الأرض قد وارته و لم يقل ذلك، و قال للإمام:

«باللّه عليكم أنتم هم؟ ..»

«و حق جدنا رسول اللّه (ص) انا لنحن هم من غير شك ...»

و ألقى الشيخ بنفسه على الإمام و هو يوسع يديه تقبيلا و دموعه تجرى على سحنات وجهه قائلا:

«ابرأ الى اللّه ممن قتلكم ...»

و طلب الشيخ من الإمام أن يمنحه التوبة، و يعفو عنه، فعفا عليه السلام عنه «۱» ...

الإمام في مجلس يزيد:

و عمد جلاوزة يزيد إلى عقائل الوحي و أطفال الإمام الحسين فربقوهم بالحبال كما تربق الأغنام، فكان الحبل في عنق الإمام زين

العابدين إلى عنق عمته زينب، و باقى بنات رسول اللّه (ص) و كانوا كلما قصروا عن المشى أوسعوهم ضربا بالسياط، و جاءوا بهم على مثل هذه الحالة التى تتصدع من هولها الجبال، فأوقفوهم بين يدى يزيد، فالتفت إليه الإمام زين العابدين فقال له:

«ما ظنك بجدنا رسول اللّه (ص) لو يرانا على مثل هذه الحالة؟» ..

فتهافت الطاغية، و لم يبق أحد فى مجلسه إلا بكى، و تألم يزيد من ذلك المنظر المفجع فراح يقول:

«قبح اللّه ابن مرجانة لو كان بينكم و بينه قرابة لما فعل بكم هذا ..»

ثم أمر الطاغية بالحبال فقطعت، و التفت إلى زين العابدين فقال له:

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۷۱. حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ج ۱ ۱۷۴ الإمام فى مجلس يزيد: ..... ص : ۱۷۳

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۴

«ايه يا على بن الحسين أبوك الذى قطع رحمى، و جهل حقى، و نازعنى سلطانى، فصنع اللّه به ما رأيت ..»

فأجابه شبل الحسين بكل هدوء و اطمئنان:

«ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ، وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ...»

و تميز الطاغية غضبا، و ذهبت نشوة أفراحه، و تلا قوله تعالى: ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.» ورد عليه الإمام قائلا:

«هذا فى حق من ظلم، لا فى حق من ظلم ...».

و زوى بوجهه عنه احتقارا له، و استهانة بشأنه «۱».

خطاب الإمام زين العابدين:

و أذن يزيد للناس إذنا عاما، و قد ازدحم بهو قصره بمختلف الطبقات، و هم يهنئونه بالنصر الكاذب، و هو جذلان مسرور قد استوسقت له الدنيا، وصفا له الملك، و قد أوعز إلى الخطيب أن يعتلى المنبر، و ينال من الإمام الحسين، و أبيه الإمام أمير المؤمنين، و صعد الخطيب المنبر، و بالغ فى ذم العترة الطاهرة و اثنى ثناء كاذبا على يزيد و أبيه، فانبرى إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فصاح به:

«ويلك أيها الخاطب اشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار ...».

و اتجه الإمام نحو يزيد فقال له:

«ا تأذن لى أن أصعد هذه الأعواد فاتكلم بكلمات فيهن للّه رضا، و لهؤلاء الجالسين أجر و ثواب ..».

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۷۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۵

و بهت الحاضرون، و عجبوا من هذا الفتى العليل الذى رد على الخطيب و الأمير و هو أسير، فرفض يزيد إجابته، و ألح عليه الجالسون بالسماح له، فرد عليهم يزيد قائلا:

«إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتى و فضيحة آل أبى سفيان ...».

فعجبوا من ذلك، و قالوا له:

و ما مقدار ما يحسن هذا العليل؟».

إنهم لا يعرفون الإمام، و حسبوا أنه كبقية الناس، و لكن الطاغية يعرفه فقال لهم:

«إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا ...».

و أخذوا يلحون عليه فى أن يسمح له فى الخطاب، و لم يجد بدا من إجابتهم فسمح له، و اعتلى الإمام اعواد المنبر فخطب خطابا رائعا لم يشاهد له التاريخ مثيلا فى روعته و بلاغته و قد ابكى العيون، و اضطرب الجالسون، فقد هيمن على قلوبهم و مشاعرهم، و كان من جملة ما قاله:

«أيها الناس اعطينا ستا، و فضلنا بسبع: اعطينا العلم و الحلم، و السماحة و الفصاحة، و الشجاعة، و المحبة فى قلوب المؤمنين، و فضلنا بأن منا النبى المختار محمد (ص) و منا الصديق، و منا الطيار، و منا أسد اللّه، و أسد الرسول (ص) و منا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، و منا سبطا هذه الأمة و سيدا شباب اهل الجنة.

و بعد هذه المقدمة التعريفية لأسرته، أخذ عليه السلام فى بيان فضائلهم قال:

«فمن عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى انبأته بحسبى و نسبى، أنا ابن مكة و منى، أنا ابن زمزم و الصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر و ارتدى، أنا ابن خير من انتعل و احتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج و لبى، أنا ابن من حمل على البراق فى الهوا، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۶

بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن على المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا- إله إلا- اللّه، أنا ابن من ضرب بين يدى رسول اللّه (ص) بسيفين، و طعن برمحين، و هاجر الهجرتين، و بايع البيعتين، و صلى القبلتين، و قاتل ببدر و حنين، و لم يكفر باللّه طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين و وارث النبيين، و قاطع الملحدين، و يعسوب المسلمين، و نور المجاهدين و زين العابدين، و تاج البكائين، و اصبر الصابرين، و أفضل القائمين من آل ياسين، و رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و المجاهد اعداءه الناصبين، و أفخر من مشى من قريش أجمعين، و أول من أجاب و استجاب للّه من المؤمنين، و أقدم السابقين، و قاصم المعتدين، و مبير المشركين، و سهم من مرامى اللّه على المنافقين، و لسان حكمة العابدين، ناصر دين اللّه، و ولى أمر اللّه، و بستان حكمة اللّه، و عيبة علم اللّه، سمح، سخى، بهلول، زكى ابطحى، رضى، مرضى مقدام همام، صابر، صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، و مفرق الأحزاب، أربطهم جنانا، و اطلقهم عنانا، و اجرأهم لسانا، و أمضاهم عزيمة، و أشدهم شكيمة، أسد، باسل، و غيث هاطل، يطحنهم فى الحروب، و يذرهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، و صاحب الاعجاز، و كبش العراق، الإمام بالنص، و الاستحقاق، مكى مدنى ابطحى، تهامى، خيعن عقبى، بدرى، أحدى، و شجرى مهاجرى، من العرب سيدها، و من الوغى ليثها، وارث المشعرين و أبو السبطين الحسن و الحسين، مظهر العجائب، و مفرق الكتائب و الشهاب الثاقب، و النور العاقب، اسد اللّه الغالب مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدى على بن أبى طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم «۱» أنا ابن

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۳۸۷.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۷

المزمل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجن من الظلماء، و ناحت عليه الطير فى الهواء «۱».

و لم يزل يقول الإمام أنا: حتى ضج الناس بالبكاء، و خشى يزيد من وقوع الفتنة و حدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام

انقلابا فكريا، فقد عرف الإمام نفسه لأهل الشام، و أحاطهم علما بما كانوا يجهلون، فأوعز يزيد إلى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام كلامه فصاح المؤذن:

«اللّه أكبر ..»

فالتفت إليه الإمام فقال له: «كبرت كبيرا لا يقاس، و لا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من اللّه، فلما قال المؤذن:

«أشهد أن لا إله إلا اللّه ..».

قال على بن الحسين: شهد بها شعرى و بشرى، و لحمى و دمى، و مخى و عظمى، و لما قال المؤذن:

«أشهد أن محمدا رسول اللّه» ..

التفت الإمام إلى يزيد فقال له:

«يا يزيد، محمد هذا جدى أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، و إن قلت: إنه جدى فلم قتلت عترته ...» «۲».

و وجم يزيد، و لم يطق جوابا، فإن الرسول العظيم هو جد سيد العابدين و أما جد يزيد فهو أبو سفيان العدو الأول للنبى (ص) و استبان لأهل الشام أنهم غارقون فى الإثم، و أن الحكم الأموى قد جهد فى غوايتهم و اضلالهم.

لقد اقتصر خطاب الإمام على التعريف بالأسرة النبويۀ، و ما لها من عظيم الفضل و الشأن عند اللّه، و ما قامت به من أعمال جهاديۀ فى سبيل الإسلام، كما تعرض لما جرى عليهم من صنوف القتل و الارهاق، و لم

---

(۱) نفس المهموم (ص ۲۴۲).

(۲) مقتل الخوارزمى ۲/ ۲۴۲.

يتعرض لغير ذلك، و فيما احسب أن الاقتصار على ذلك من أروع صور الالتفات، و من أدق انواع البلاغۀ فقد كان المجتمع الشامى لا يعرف شيئا عن أهل البيت سوى ما كان يفتعله ضدهم وعاظ السلاطين، فقد غذتهم السلطۀ و عملاؤها بالعداء لآل البيت و بالولاء لبنى أميۀ.

و على أى حال فقد أثر خطاب الإمام فى أوساط أهل الشام تأثيرا بالغا، و جعل بعضهم يسر إلى بعض بدجل الاعلام الأموى، و بالخيبۀ و الخسران اللذين آلوا إليهما، حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد «۱» و أخذوا ينظرون إليه باذدراء و احتقار.

الإمام مع المنهال:

و التقى الإمام زين العابدين عليه السلام بالمنهال بن عمر، فبادره قائلا: «كيف امسيت يا ابن رسول اللّه؟ ..»

فرمقه الإمام بطرفه، و قال له:

«أمسينا كمثل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبحون ابناءهم، و يستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها، و أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، و أمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين، فانا للّه و انا إليه راجعون» «۲».

لقد كان الرسول الأعظم المصدر الأصيل لشرف الأمۀ العربيۀ فهو الذى خطط لها الحياۀ الكريمۀ، و بنى لها دولۀ كانت من أعز دول العالم و امنعها، فكان جزاؤه أن عمدت قريش التى تفتخر على العرب بأن محمدا منها إلى قتل ذريته، و استئصال شأفتهم، و سبى نسائهم.

---

(۱) جوهرۀ الكلام فى صلاح السادۀ الأعلام (ص ۱۲۸).

(۲) حياة الإمام الحسين ۳/ ۲۹۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۹

اعتذار الطاغية من الإمام:

و لما كثر الناقمون على يزيد بقتله لريحانة رسول اللّه (ص) دعا الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدى له معاذيره، و القى المسئولية على ابن مرجانة، قائلا:

«لعن اللّه ابن مرجانة، أما و اللّه لو أنى صاحبه ما سألنى خصلة أبدا إلا اعطيته اياها، و لدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، و لو بهلاك بعض ولدى، و لكن قضى اللّه ما رأيت، يا بنى كاتبنى بكل حاجة تكون لك «۱» و انه سيكون فى قومك أمور فلا تدخل معهم فى شىء» «۲».

و اعرض الإمام عنه، و لم يجبه بشىء، فقد عرف واقع اعتذاره، و أنه كان هربا من الجريمة التى اقترفها.

حبر يسأل عن الإمام:

و كان فى مجلس الطاغية يزيد حبر يهودى، و قد اعجب بالإمام زين العابدين عليه السلام، فقال ليزيد:

- «من هذا الغلام؟»

- «على بن الحسين ..»

- «من الحسين؟» ..

- «ابن على بن أبى طالب ..»

- «من أمه؟»

- «بنت محمد ..»

- «يا سبحان اللّه!! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه، بئسما خلفتموه فى ذريته، فو اللّه لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطا لظننت أنا كنا نعبده من دون ربنا، و أنتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه و قتلتموه سوأة لكم من أمة ...».

---

(۱) تأريخ ابن الأثير ۳/ ۳۰۰.

(۲) تهذيب التهذيب ۱/ ۱۵۷.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۰

و غضب الطاغية، و أمر فوجئ «۱» فى حلقه، فرفع الحبر عقيرته قائلا:

«إن شئتم فاقتلونى، فإنى وجدت فى التوراة من قتل ذرية نبى فلا يزال ملعونا أبدا ما بقى فإذا مات اصلاه اللّه نار جهنم» «۲».

الإمام مع يزيد:

و اجتمع الإمام زين العابدين بالطاغية يزيد فعرض عليه أن يطلب منه حاجة، فقال عليه السلام:

«أريد منك أن ترينى وجه أبى، و أن تعيد على النساء ما أخذ منهن، ففيها مواريث الآباء و الأمهات، و إذا كنت تريد قتلى، فأرسل مع العيال من يؤدى بهن إلى المدينة ..».

و إنما طلب الإمام عليه السلام أن يريه رأس أبيه، و ذلك ليودعه الوداع الأخير، أو ليواريه مع جسده الشريف، و لكن الطاغية لم يجبه

إلى ذلك فقد أمر أن يطاف به في جميع أنحاء البلاد، و ذلك لإشاعة الذعر و الفزع بين الناس، و حتى يكون عبرة لكل من يحاول الخروج عليه.

و أما طلب الإمام أن يعيد على النساء ما نهب منهن في يوم العاشر من المحرم، فإنه لم يرد بذلك الحلي و الحلل، و إنما أراد أن يرد عليهن المواريث النفيسة التي و روثوها من جدهم الرسول (ص) كعمامته و درعه و سيفه، و غير ذلك مما هو أثمن من المال.

و أطرق الطاغية برأسه إلى الأرض يفكر فيما طلبه الإمام منه ثم رفع رأسه، و قال له:

«أما وجه أبيك فلن تراه، و أما ما أخذ منكم فيرد إليكم، و أما النسوة فلا يردهن غيرك، و قد عفوت عن قتلك ..» «۳».

---

(۱) فوجئ: أي ضرب و دق.

(۲) الحدائق الوردية ۱/ ۱۳۱، الفتوح ۵/ ۲۴۶.

(۳) حياة الإمام الحسين ۳/ ۴۱۴.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۸۱

السفر إلى يثرب:

و عهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله (ص) و عقائل الرسالة، و يردهن إلى يثرب «۱» و أمر بإخراجهن ليلا خوفا من الفتنة، و اضطراب الأوضاع و سارت القافلة تطوى البيداء لا تلوى على شيء، و طالبت العلويات من الوفد المكلف بحراستهن أن يعرج بهن إلى كربلاء ليجددن عهدا بقبر سيد الشهداء عليه السلام و لما انتهى إلى كربلاء هرعت العلويات إلى مرقد الإمام أبي عبد الله عليه السلام بالصراخ و العويل، و سالت الدموع منهن كل مسيل، و بقين ثلاثة أيام في كربلاء و هن يندبن الإمام بأشجى ندبة حتى بحت الأصوات، و تفتتت القلوب، و صرحت بعض المصادر أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد تشرف بزيارة قبر أبي عبد الله (ع) فالتقى به الإمام زين العابدين (ع) و حدثه عما جرى على أهل البيت (ع) من صنوف الرزايا، و أنواع الخطوب، ثم غادروا كربلاء متوجهين إلى يثرب «۲».

و أخذ موكب أهل البيت يجد في السير لا يلوى على شيء حتى انتهى إلى القرب من يثرب، و قد جللته الأحزان و الآلام، و قد فاضت عيون العلويات بالدموع على الإمام الحسين، و هن يذكرن بمزيد من اللوعة و الأسى ما جرى عليهن من أسر الذل و الهوان.

نعي بشر للإمام:

و لما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه، و أنزل عماته و أخواته، و التفت إلى بشر بن حذلم فقال له:

يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعرا، فهل تقدر على شيء منه؟ فقال له:

نعم يا ابن رسول اللّه، فأمره الإمام أن يدخل المدينة و ينعى لأهلها الإمام

---

(۱) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ۱۲۸).

(۲) تفسير المطالب في أمالي أبي طالب ص (۹۳)، الحدائق الوردية ۱/ ۱۳۳.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۸۲

الحسين، و انطلق بشر إلى المدينة فلما انتهى إلى الجامع النبوي رفع صوته مشفوعا بالبكاء، و هو يقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بهاقتل الحسين فأدمعى مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرجو الرأس منه على القناة يدار و هرعت الجماهير نحو الجامع النبوى، و قد علا صراخهم بالبكاء على الإمام عليه السلام، و قد احتفت ببشر تنتظر منه المزيد من الأنباء و هو غارق بالبكاء، فقال لهم:

«هذا على بن الحسين مع عماته و أخواته قد حلوا بساحتكم، و أنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ..» «۱».

و هرعت الجماهير إلى استقبال الإمام زين العابدين، و قد عجوا بالبكاء و العويل، فكان ذلك- كما وصفه المؤرخون- كاليوم الذى مات فيه رسول الله (ص) «۲» و ازدحموا على الإمام و هم يعزونه بمصابه الأليم، و يشاركونه الأسى و اللوعة.

خطاب الإمام زين العابدين:

و رأى الإمام عليه السلام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا و النكبات، و لم يكن باستطاعته أن يقوم خطيبا فقد ألمت به الأمراض، و أنهكته الآلام فجيء له بكرسى فجلس عليه فقال:

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بادئ الخلق أجمعين، الذى بعد فارتفع فى السماوات العلى، و قرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، و فجائع الدهور، و ألم الفجائع، و مضاضة اللواذع، و جليل الرزء، و عظيم المصائب الفاظعة، الكاظة، الفادحة، الجائحة.

---

(۱) حياة الإمام الحسين ۳/ ۴۲۳.

(۲) اللهوف (ص ۱۱۶).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۳

أيها القوم إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة، و ثلمة فى الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله الحسين و عترته، و سبيت نساؤه و صبيته، و داروا برأسه فى البلدان من فوق عامل السنان، و هذه الرزية التى لا مثلها رزية.

أيها الناس فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أى فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها، و تضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، و بكت البحار بأمواجها، و السماوات بأركانها، و الأرض بأرجائها و الأشجار بأغصانها، و الحيتان فى لجج البحار، و الملائكة المقربون، و أهل السماوات أجمعون.

أيها الناس أى قلب لا ينصدع لقتله، أم أى فؤاد لا يحن إليه، أم أى سمع يسمع بهذه الثلمة التى ثلمت فى الإسلام و لا يصم.

أيها الناس أصبحنا مشردين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك و كابل من غير جرم اجترمناه، و لا مكروه ارتكبناه، و لا ثلمة فى الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، و الله لو أن النبى تقدم إليهم فى قتالنا كما تقدم إليهم فى الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله و إنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، و أفجعها، و أكظها، و أفظعها و أمرها، و أفدحها، فعنده نحتسب ما أصابنا، فإنه عزيز ذو انتقام ..».

و عرض الإمام فى خطابه إلى الخطوب السود التى عانتها الأسرة النبوية و ما جرى عليها من النكبات و الظلم الهائل، فلم تراع فيهم حق النبى (ص).

و انبرى إليه صعصعة فألقى إليه معاذيره، لأنه كان زمنا، فترحم الإمام عليه السلام على أبيه، ثم سار الإمام مع عماته و أخواته، و قد احتفت به الجماهير، و قد علا منها البكاء و الصراخ حتى انتهوا إلى الجامع النبوى فأخذت عقيلة آل أبى طالب بعضادتى باب الجامع، و جعلت تخاطب جدها الرسول صلى الله عليه و آله قائلة:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۴

«يا جداه إنى ناعية إليك أخى الحسين» «۱».

و أقامت السيدات من عقائل الوحى المآتم على سيد الشهداء، و لبسن السواد، و أخذن يندبنه بأشجى ما تكون الندبة.

حزن الإمام زين العابدين:

و خلد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى البكاء ليلا و نهارا حزنا على أبيه و أهل بيته، يقول الإمام الصادق عليه السلام: إن جدى على بن الحسين بكى على أبيه عشرين سنة، و ما وضع بين يديه طعام إلا بكى «۲» و عذله بعض مواليه فقال له:

«إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين ..».

فقال الإمام برفق:

«يا هذا إِنَّما أَشْكُوا بَثِّى وَ حُزْنِى إِلَى اللَّهِ، وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ، إن يعقوب كان نبيا فغيب الله عنه واحدا من أولاده، و عنده اثنا عشر ولدا، و هو يعلم أنه حى، فبكى عليه، حتى ابيضت عيناه من الحزن، و إنى نظرت إلى أبى و اخوتى و عمومتى، و صحبتى، مقتولين حولى، فكيف ينقضى حزنى؟ و إنى لا أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتنى العبرة، و إذا نظرت إلى عماتى و أخواتى ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة «۳».

و يزداد و جيب الإمام، و تتضاعف الآمه حينما كان ينظر إلى الماء، فإنه كان يذكره بعطش أبيه و أهل بيته، و يقول الرواة: انه كان إذا أخذ ماء ليشرب بكى، فقيل له فى ذلك؟ فقال: كيف لا أبكى، و قد منع أبى من الماء الذى كان مطلقا للسباع و الوحوش «۴».

---

(۱) مقتل الحسين للقرم ص ۴۷۲.

(۲) الإمام زين العابدين لأحمد فهمى (ص ۳۱).

(۳) مقتل الحسين للمقرم (ص ۴۷) و قريب منه فى حلية الأولياء ۳/ ۱۳۸.

(۴) بحار الأنوار ۴۶/ ۱۰۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۵

لقد كان دائم البكاء على أبيه، و قد قيل له: إنك لتبكى دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسى قتلتها، و عليها أبكى «۱».

و قد أشفق عليه جماعة من مواليه و أهل بيته من كثرة بكائه على أبيه فقال له بعضهم:

«أ ما آن لحزنك أن ينقضى؟ ..».

فرد عليه الإمام قائلا:

«ويحك إن يعقوب النبى كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، و احدودب ظهره من الغم، و كان ابنه حيا فى الدنيا، و أنا نظرت إلى أبى و أخى و عمى، و سبعة عشر من أهل بيتى مقتولين حولى فكيف ينقضى حزنى؟ ..» «۲».

لقد ذابت نفسه الزكية أسى و حزنا على أبيه و أهل بيته و أصحابه الذين حصدت رءوسهم سيوف البغى بصورة قاسية لم يعهد لها مثيل فى تأريخ الحروب.

وفاؤه لديون أبيه:

و كان الإمام الحسين عليه السلام مدينا لجماعة ما يزيد على سبعين ألف دينار، و قد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماما بالغا بوفائها، حتى امتنع عن الطعام و الشراب، و لما تهيأ له المبلغ بادر إلى تسديدها و تفريغ ذمة أبيه منها «۳».

حنوه على آل عقيل:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحنو كثيرا على آل عقيل، و يميل

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۱۰۹.

(۲) بحار الأنوار ۴۶/ ۱۰۸.

(۳) سر السلسلة العلوية (ص ۳۲).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۸۶

لهم أكثر مما يميل إلى أبناء عمومته و أسرته، و ذلك لما لهم من المواقف المشرفة يوم الطف، فقد انبرى أبناء عقيل و أحفاده الممجدون إلى التضحية و الشهادة بين يدى الإمام الحسين عليه السلام، و كان معظمهم فى غضارة العمر، و ريعان الصبا، و لم يبلغوا الحلم، و قد تسابقوا إلى الشهادة بصورة مذهلة، ففدوا دين الله بأرواحهم، و لم يسلم أحد منهم فى تلك المعركة.

و كان الإمام زين العابدين عليه السلام يعطف عليهم، و يقدمهم على البقية الباقية من أسرته، و قد قيل له فى ذلك، فقال عليه السلام: إنى أذكر يومهم مع أبى عبد الله عليه السلام فأرق لهم «۱» و كان من بره بآل عقيل، و تعاطفه معهم أن المختار بن يوسف الثائر العظيم، قدم للإمام أموالا كثيرة، فبنى بها دور آل عقيل التى هدمتها السلطة الأموية.

إقامته فى يثرب:

و أقام الإمام عليه السلام فى يثرب لم يخرج عنها إلا لحج بيت الله الحرام و يقول الرواة: انه سافر إلى العراق لزيارة قبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «۲» و من المؤكد انه زار قبر أبيه الإمام الحسين عليه السلام و بهذا ينتهى بنا الحديث عن رزايا كربلاء، و ما عاناه الإمام عليه السلام من أهوال و خطوب.

---

(۱) كامل الزيارات (ص ۱۰۷).

(۲) غاية الاختصار (ص ۱۶۰).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۸۷

عباداته

اشارة

و أجمع المسلمون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان من أعبد الناس، و أكثرهم طاعة للّه تعالى، و لم ير الناس مثله فى عظيم انابته و عبادته، و قد بهر بها المتقون و الصالحون، و حسبه أنه وحده فى تأريخ الإسلام قد لقب بزين العابدين و سيد الساجدين.

أما عبادته عليه السلام فلم تكن تقليدية، و إنما كانت ناشئة عن إيمانه العميق باللّه تعالى، و كمال معرفته به، فقد عبده لا طمعا فى جنته، و لا خوفا من ناره و إنما وجده أهلا للعبادة فعبده، شأنه فى ذلك شأن جده الإمام أمير المؤمنين و سيد العارفين و إمام المتقين، الذى عبد الله عبادة الأحرار، و قد اقتدى به حفيده العظيم زين العابدين (ع) و قد اعرب (ع) عن عظيم اخلاصه فى عبادته، فقال: «إنى أكره أن أعبد الله، و لا غرض لى إلا ثوابه، فأكون كالعبد الطامع، إن طمع عمل، و إلا لم يعمل، و اكره أن اعبده لخوف عذابه، فأكون

كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ..».

فانبرى إليه بعض الجالسين فقال له:

«فبم تعبده؟».

فأجابه عن خالص إيمانه.

و اعبده لما هو أهله بأياديه و أنعامه ...» «۱».

---

(۱) تفسير العسكرى (ص ۱۳۲).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۸

لقد كانت عبادته عن معرفة لا يشوبها شك أو وهم، كما لم تك وليدة طمع أو خوف، و إنما كانت وليدة إيمان عميق، و قد تحدث عليه السلام عن أنواع العبادة بقوله: «إن قوما عبدوا اللّه عز و جل رهبة فتلك عبادة العبيد، و آخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، و قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الأحرار ..» «۱» هذه أنواع العبادة و الطاعة، و اثقلها فى الميزان، و أحبها للّه هى عبادة الأحرار التى لا تكون إلا شكرا للمنعم العظيم لا طمعا فى ثوابه، و لا خوفا من عقابه، و قد أكد الإمام عليه السلام ذلك فى حديث آخر له قال:

«عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرا للّه لا خوفا و لا رغبة» «۲».

لقد امتزج حب اللّه فى قلب الإمام، و عواطفه فكان من ذاتياته و عناصره، و يقول الرواة: أنه كان مشغولا بعبادة اللّه و طاعته فى جميع اوقاته و قد سئلت جارية له عن عبادته فقالت:

«أطنب، أو أختصر ...».

«بل اختصرى ..».

ما أتيته بطعام نهارا قط، و ما فرشت له فراشا بليل قط ...» «۳»

لقد قضى الإمام (ع) معظم حياته صائما نهاره، قائما ليله، مشغولا تارة فى الصلاة، و أخرى فى صدقة السر ... و من المؤكد انه ليس فى تأريخ زهاد المسلمين و عبادهم مثل الإمام على بن الحسين فى عظيم اخلاصه و طاعته للّه، و نعرض لبعض شئون عباداته.

وضوؤه:

أما الوضوء فهو نور و طهارة من الذنوب، و المقدمة الأولى للصلاة، و كان الإمام عليه السلام دوما على طهارة، و قد حدث الرواة عن خشوعه للّه

---

(۱) صفة الصفوة ۲/ ۵۳ شذرات الذهب ۱/ ۱۰۵ الحلية ۳/ ۱۳۴ البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵ و درر الابكار (ورقة ۷۰).

(۲) الكواكب الدرية ۲/ ۱۳۹.

(۳) الخصال (ص ۴۸۸).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۹

فى وضوئه، فقالوا: إنه إذا أراد الوضوء اصفر لونه، فيقول له أهله:

«ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ ..».

فأجابهم عن خوفه، و خشيته من اللّه قائلا:

«أ تدرون بين يدى من أقوم؟ ...» «۱».

و بلغ من اهتمامه أنه كان لا يعينه أحد عليه، و كان بنفسه يستقى الماء لطهوره و يخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم شرع فى وضوئه و بعد الفراغ منه يقبل على صلاته «۲».

صلاته:

اشارة

أما الصلاة فمعراج المؤمن، و قربان كل تقى- كما فى الحديث- و كانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام (ع) فقد اتخذها معراجا ترفعه إلى اللّه، و تسمو به إلى الاتصال بخالق الكون و واهب الحياة، و كانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع فى الصلاة فقيل له فى ذلك فقال: أ تدرون بين يدى من أقوم، و من أناجى؟ «۳» و نعرض لبعض شئونه فى حال صلاته و تطيبه.

تطيبه للصلاة:

و كان الإمام إذا أراد الصلاة تطيب من قارورة كان قد جعلها فى مسجد صلاته «۴» فكانت روائح المسك تعبق منه.

لباسه فى صلاته:

و كان الإمام عليه السلام إذا أراد الصلاة لبس الصوف، و اغلظ الثياب «۵» مبالغة منه فى اذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

---

(۱) درر الأبكار ورقة ۷۰ نهاية الأرب ۲۱/ ۳۲۶ سير أعلام النبلاء ۴/ ۲۳۸ الأتحاف بحب الأشراف (ص ۴۹) أخبار الدول (ص ۱۰۹).

(۲) صفة الصفوة ۲/ ۵۳.

(۳) وسيلة المآل (ورقة ۲۰۷) سير أعلام النبلاء ۴/ ۳۸، صفوة الصفوة ۲/ ۵۲ حلية الأولياء ۳/ ۱۳۲ العقد الفريد ۳/ ۱۰۳.

(۴) البحار ۴۶/ ۵۸.

(۵) البحار ۴۶/ ۱۰۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۰

خشوعه فى صلاته:

أما صلاة الإمام عليه السلام فكانت تمثل الانقطاع التام إلى اللّه تعالى، و التجرد من عالم الماديات، فكان لا يحس بشىء من حوله، بل لا يحس بنفسه، فقد تعلق قلبه باللّه، و وصفه الرواة فى حال صلاته، فقالوا:

كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر، و كانت اعضاؤه ترتعد من خشية اللّه، و كان يقف فى صلاته موقف العبد الذليل بين يدى الملك الجليل، و كان يصلى صلاة مودع يرى أنه لا يصلى بعدها أبدا، و تحدث الإمام الباقر عن خشوع أبيه فى صلاته فقال: كان على بن الحسين إذا قام فى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شىء إلا ما حركت الريح منه «۱» و نقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق عليه السلام صلاة جده الإمام زين العابدين (ع) فقال له:

«إنى رأيت على بن الحسين إذا قام فى الصلاة غشى لونه لونا آخر ...» و بهر الإمام الصادق عليه السلام فقال:

«و اللّه ان على بن الحسين كان يعرف الذى يقوم بين يديه ...» «۲»

أجل و اللّه انه كان على معرفة تامة بعظمة الخالق الحكيم، فكانت عبادته له عن معرفة و طاعته له عن إيمان.

و كان من مظاهر خشوعه فى صلاته انه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى يرفض عرقا «۳» أو كأنه غمس فى الماء من كثرة دموعه و بكائه «۴» و نقل الرواة عن أبى حمزة الثمالى أنه رأى الإمام قد صلى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: و يحك أ تدرى بين يدى من كنت؟ ان العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه «۵».

---

(۱) وسائل الشيعة ۴/ ۶۸۵.

(۲) وسائل الشيعة ۴/ ۶۸۵.

(۳) تهذيب الأحكام ۲/ ۲۸۶ البحار ۴۶/ ۷۹.

(۴) البحار ۴۶/ ۱۰۸.

(۵) علل الشرائع (ص ۸۸) البحار ۴۶/ ۶۱ وسائل الشيعة ۴/ ۶۸۸.

و بلغ من شدة تعلقه باللّه فى حال صلاته أن ابنا له سقط فى بئر ففزع أهل المدينة فانقذوه، و كان الإمام قائما يصلى فى محرابه، و لم يشعر بذلك، و لما انتهى من صلاته قيل له بذلك فقال: ما شعرت، إنى كنت أناجى ربا عظيما «۱».

و وقع حريق فى بيته، و كان مشغولا فى صلاته فلم يعن به، و لما فرغ من صلاته، قيل له فى ذلك فقال: الهتنى عنها النار الكبرى «۲» و فسر عبد الكريم القشيرى هذه الظاهرة المذهلة التى كانت ملازمة للإمام حال صلاته بأنها من باب غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ... انه قد يغيب القلب عن إحساسه بنفسه و غيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب «۳».

صلاة الف ركعة:

و أجمع المترجمون للإمام (ع) أنه كان يصلى فى اليوم و الليلة ألف ركعة «۴» و أنه كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلى عند كل نخلة ركعتين «۵» و نظرا لكثرة صلاته فقد كانت له ثفنات فى مواضع سجوده كثفنات البعير و كان يسقط منها فى كل سنة فكان يجمعها فى كيس، و لما توفى دفنت معه «۶».

---

(۱) أخبار الدول (ص ۱۱۰) البحار ۴۶/ ۹۹.

(۲) صفة الصفوة ۲/ ۵۲ المنتظم ۶/ ورقة ۱۴۱ نهاية الأرب ۲۱/ ۳۲۵ سير اعلام النبلاء ۴/ ۲۳۸.

(۳) الرسالة القشرية ۱/ ۲۱۴.

(۴) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۶ نور الأبصار (ص ۱۳۶) الأتحاف بحب الأشراف (ص ۴۹) تذكرة الحفاظ ۱/ ۷۱ شذرات الذهب ۱/ ۱۰۴ الفصول المهمة (ص ۱۸۸) أخبار الدول (ص ۱۱۰) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۵۱ الصراط السوى (ورقة ۱۹۳) إقامة الحجة (ص ۱۷۱) العبر فى خبر من غبر (۱/ ۱۱۱) دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۵ تأريخ اليعقوبى ۳/ ۴۵ المنتظم ۶/ ورقة ۱۴۳ تأريخ الإسلام للذهبى، الكواكب الدرية ۲/ ۱۳۱ البداية و النهاية ۹/ ۱۰۵.

(۵) البحار ۴۶/ ۶۱ الخصال (ص ۴۸۷).

(۶) الخصال (ص ۴۸۸).

قضاؤه للنوافل:

و لم تفته نافلة من النوافل طيلة حياته، و كان يقضى ما فاته من صلاة النهار بالليل، و كان يوصى ابناءه بذلك، و يقول لهم: يا بنى ليس هذا عليكم بواجب و لكن أحب لمن عود نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها «۱».

كثرة سجوده:

إن أقرب ما يكون العبد من ربه هو فى حال سجوده- كما فى الحديث- و كان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير السجود للّه خضوعا له، و تذليلا أمامه، و يقول الرواة: إنه خرج مرة إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده ساجدا على حجارة خشنة فأحصى عليه ألف مرة يقول: لا إله إلا اللّه حقا حقا، لا إله إلا اللّه تعبدا ورقا، لا إله إلا اللّه إيمانا و صدقا «۲». و كان يسجد سجدة الشكر، و يقول فيها: مائة مرة «الحمد للّه شكرا» و بعدها يقول: «يا ذا المن الذى لا ينقطع أبدا، و لا يحصيه غيره عددا، و يا ذا المعروف الذى لا ينفذ أبدا، يا كريم، يا كريم، و يتضرع بعد ذلك و يذكر حاجته «۳».

كثرة تسبيحه:

و كان دوما مشغولا بذكر اللّه و تسبيحه و حمده، و كان يسبح اللّه بهذه الكلمات المشرقة «سبحان من أشرق نوره كل ظلمة، سبحان من قدر بقدرته كل قدرة، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم، فلا شىء يحجبه، سبحان اللّه و بحمده «۴».

---

(۱) صفة الصفوة ۲/ ۵۳.

(۲) وسائل الشيعة ۴/ ۹۸۱.

(۳) وسائل الشيعة ۴/ ۱۰۷۹.

(۴) دعوات قطب الراوندى (ص ۳۴) مخطوط فى مكتبة الحكيم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۳

ملازمته لصلاة الليل:

من النوافل التى كان لا يدعها الإمام (ع) صلاة الليل فكان مواظبا عليها فى السفر و الحضر «۱» إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

دعاؤه بعد صلاة الليل:

و كان عليه السلام إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، و هو من غرر ادعية ائمة أهل البيت عليهم السلام و هذا نصه:
«اللهم يا ذا الملك المستأبد بالخلود و السلطان، الممتنع بغير جنود و لا أعوان، و العز الباقى على مر الدهور و خوالى الأعوام «۲» و مواضى الأزمان و الأيام، عز سلطانك عزا لا حد له بأولية، و لا منتهى له بآخرية، و استعلى ملكك علوا، سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، و لا يبلغ ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلت فيك الصفات، و تفسخت فيك النعوت، و حارت فى كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت اللّه فى أوليتك، و على ذلك أنت دائم لا تزول، و أنا العبد الضعيف عملا، الجسيم أملا، خرجت من يدى أسباب المواصلات إلا ما وصلته رحمتك، و تقطعت عنى عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك، قل عندى ما أعتد به من طاعتك، و كثر على ما أبوء به من معصيتك، و لن يضيق عليك عفو عن عبدك، و إن أساء فاعف عنى ...».
و احتوى هذا المقطع من دعائه على تعظيمه و توحيده، و ذكر بعض صفاته الرفيعة من الخلود الذى لا حد لأوله، و لا لآخره، و من السلطان القاهر القوى الذى لا يحتاج فى تدعيم ملكه إلى الجنود و الأعوان، و قد تفسخت النعوت و عجزت الصفات فى ان تحكى

أى صفة من صفاته أو أى ذاتية من ذاتياته فتعالى اللّه علوا كبيرا.

و يمضى الإمام فى إظهار التذلل و الخضوع و العبودية المطلقة للّه تعالى

---

(۱) صفة الصفوة ۲/ ۵۳ كشف الغمة ۲/ ۲۶۳.

(۲) خوالى الأعوام، أى الأعوام الماضية.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۴

الإمام عليه السلام من اللّه الحماية من هذا العدو الماكر الخبيث، و لنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء:

«اللهم إنك أمرتنى فتركت، و نهيتنى فركبت، و سوّل لى الخطأ خاطر السوء ففرطت، و لا استشهد على صيامى نهارا، و لا استجير بتهجدى ليلا و لا تثنى على بإحيائها سنة، حاشا فروضك التى من ضيعها هلك، و لست أتوسل إليك بفضل نافلة، مع كثير ما اغفلت من وظايف فروضك، و تعديت عن مقامات حدودك إلى حرمات انتهكتها، و كبائر ذنوب اجترحتها «۱» كانت عافيتك لى من فضائحها سترا، و هذا مقام من استحيا لنفسه منك و سخط عليها، و رضى عنك فتلقاك بنفس خاشعة، و رقبة خاضعة، و ظهر مثقل من الخطايا، واقفا بين الرغبة إليك، و الرهبة منك، و أنت أولى من رجاه، و أحق من خشيه و اتقاه، فاعطنى يا رب ما رجوت، و آمنى ما حذرت، وعد على بعائدة رحمتك، إنك أكرم المسئولين ..» و يعرض الإمام راهب أهل البيت (ع) تذلّله و خضوعه أمام اللّه، و يرى أن ما عمله من الحسنات العظام من إحياء ليله فى العبادة، و الصيام فى النهار و أدائه لجميع النوافل و المستحبات، و إحيائه لسنن الإسلام، و غير ذلك من ضروب المبرات التى لا تحصى، إنما هو قليل فى جنب اللّه، فأى انابة إلى اللّه مثل هذه الانابة؟ و أى انقطاع إليه مثل هذا الانقطاع؟ حقا لقد كان هذا الإمام انموذجا فريدا فى دنيا المتقين و الصالحين ... و لنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء:

«اللهم و إذ سترتنى بعفوك، و تغمدتنى «۲» بفضلك فى دار الفناء، بحضرة الأكفاء، فاجرنى من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين، و الرسل المكرمين، و الشهداء و الصالحين، من جار كنت اكاتمه سيئاتى «۳» و من ذى رحم كنت احتشم منه «۴» فى سريراتى «۵» لم اثق

---

(۱) اجترحتها: أى اقترفتها.

(۲) تغمدتنى: أى شملتنى.

(۳) اكاتمه سيئاتى: أى أخفى عليه سيئاتى.

(۴) احتشم منه: أى استحى منه.

(۵) سريراتى: أى الأعمال التى ارتكبها سرا.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۵

و قد تعلقت جميع آماله و أمانيه به تعالى، فقد اعتصم به، و انقطع إليه، و لنستمع إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الجليل:

«اللهم: و قد أشرف على خفايا الأعمال علمك، و انكشف كل مستور دون خبرك، و لا تنطوى عنك دقائق الأمور، و لا تعزب عنك غيبات السرائر، و قد استحوذ علىّ عدوك الذى استنظرك «۱» لغوايتى و استمهلك إلى يوم الدين لإضلالى فأمهلته، فأوقعنى، و قد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة، و كبائر أعمال مردية، حتى إذا فارقت معصيتك، و استوجبت بسوء سعيى سخطتك، فتل «۲» عنى عذار «۳» غدره، و تلقانى بكلمة كفره «۴» و تولى البراءة منى، و أدبر موليا فاصحرنى «۵» لغضبك فريدا، و أخرجنى إلى فناء نقمتك طريدا لا شفيع يشفع لى إليك، و لا خفير «۶» يؤمننى عليك، و لا حصن يحجبنى عنك و لا ملاذ ألجأ إليه منك، فهذا مقام

العائذ بك، و محل المعترف لك فلا يضيقن عنى فضلك، و لا يقصرن دونى عفوك، و لا أكن أخيب عبادك التائبين، و لا اقنط وفودك الآملين، و اغفر لى إنك خير الغافرين ..».

و تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الفقرات عن ضعف النفس البشرية أمام الشهوات و عدم استطاعتها لمقاومة الشيطان الرجيم الذى استخدم النزعات الشريرة الكائنة فى نفس الإنسان من الطمع و الحرص و الكبرياء و غيرها، و قد ملك زمامه و استولى على مشاعره و عواطفه، فأخذ يسخره فى ميادين الآثام و الموبقات، و يبعده عن كل طريق يقربه من اللّه زلفى، و يطلب

---

(۱) أشار عليه السلام إلى إبليس العدو للإنسان الذى طلب المهلة من اللّه لغواية الناس حيث قال كما فى الآية: أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*.

(۲) فتل: أى صرف عنى.

(۳) العذار: لجام الفرس.

(۴) أشار الإمام (ع) بذلك إلى الآية الكريمة كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ.

(۵) اصحرنى: أى اظهرنى.

(۶) الخفير: المجير.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۶

بهم رب فى الستر على «۱» و وثقت ربك رب فى المغفرة لى، و أنت أولى من وثق به، و اعطى من رغب إليه، و أرأف من استرحم فارحمنى ...».

و اعرب الإمام عليه السلام فى هذه الفقرات عن عظيم ثقته و رجائه بعفو اللّه و الطافه و طلب منه المغفرة و الرضوان فى دار الجزاء، و عرض عليه السلام لستر اللّه المرخى على عصاة عباده، كما طلب منه أن يجيره من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين، و الرسل المكرمين، و الشهداء و الصالحين، و اعطى عليه السلام بذلك درسا إلى عصاة المسلمين فى أن يتوبوا إلى اللّه توبة نصوحة، و يعملوا صالحا ليظفروا برضوان اللّه و رحمته التى وسعت كل شىء ... و نعود إلى النظر فى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف:

«اللهم: و أنت حدرتنى «۲» ماء مهينا من صلب متضايق العظام «۳» حرج المسالك «۴» إلى رحم ضيقة سترتها بالحجب، تصرفنى حالا عن حال، حتى انتهيت بى إلى تمام الصورة، و أثبت فىّ الجوارح كما نعت فى كتابك «۵» نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم كسوت العظام لحما، ثم انشأتنى خلقا آخر كما شئت، حتى إذا احتجت إلى رزقك، و لم استغن عن غياث فضلك، جعلت لى قوتا من فضل طعام، و شرابا اجريته لأمتك «۶» التى اسكنتنى جوفها، و أودعتنى قرار رحمها، و لو تكلنى يا رب فى تلك الحالات إلى حولى، أو تضطرنى إلى قوتى لكان الحول عنى معتزلا «۷»

---

(۱) أراد عليه السلام انه لم يثق بمن عرفه أنهم ان عرفوا السريرة قاموا بإفشائها، و فى ذلك درس إلى المسلمين فى أن يتصلوا باللّه و إلا فإنه منزه عن كل ذنب.

(۲) حدرتنى: أى انزلتنى.

(۳) متضايق العظام: أراد بها عظام الصلب، و هى متداخلة.

(۴) حرج المسالك: أى ضيق الطريق.

(۵) أشار (ع) إلى الآية الكريمة: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ.

(۶) لأمتك: اراد بها والدته.

(۷) معتزلا: أى بعيدا.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۷

و لكانت القوة منى بعيدة، فغذوتنى بفضلك غذاء البر اللطيف، تفعل ذلك بى تطولا على إلى غايتى هذه، لا اعدم برك، و لا يبطئ بى حسن صنيعك، و لا تتأكد مع ذلك ثقتى فاتفرغ لما هو احظى لى عندك، قد ملك الشيطان عنانى فى سوء الظن و ضعف اليقين، فأنا أشكو سوء مجاورته «۱» لى، و طاعة نفسى له، و استعصمك من ملكته، و اتضرع إليك فى صرف كيده عنى و أسألك فى أن تسهل إلى رزقى سبيلا، فلك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام، و إلهامك الشكر على الإحسان و الإنعام، فصل على محمد و آله و سهل على رزقى، و ان تقنعنى بتقديرك لى، و أن ترضينى بحصتى فيما قسمت لى، و أن تجعل ما ذهب من جسمى و عمرى فى سبيل طاعتك، إنك خير الرّازقين ..».

و حفلت هذه الفقرات بأوثق الأدلة على وجود الخالق العظيم، و هو خلقه تعالى للإنسان من ماء مهين، وضع فى رحم ضيق، و أخذه بعد ذلك بالتطور و الانتقال من حال إلى حال حتى ينتهى إلى التكامل، و هو من أعظم مخلوقات اللّه لما فيه من الأجهزة العجيبة كأجهزة الفكر و البصر و السمع و غيرها مما تدلل على وجود الخالق الحكيم، و قد كان حديث الإمام عليه السلام مستقى من القرآن الكريم الذى فصل تطور خلق الإنسان، و من الجدير بالذكر أن القرآن قد اكتشف كيفية تكوين الجنين على وجه الدقة، و أفاد الإنسانية بهذه الحقيقة المذهلة، يقول السيد قطب: «يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة فى تكوين الجنين، لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحى ذلك أن خلايا العظم غير خلايا اللحم و قد ثبت أن خلايا العظام هى التى تتكون أولا، فى الجنين، و لا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، و تمام الهيكل العظمى للجنين، و هى الحقيقة التى سجلها النص القرآنى ...» «۲».

و على أى حال فإن الإمام عليه السلام بعد ما ذكر نعمة اللّه الكبرى

---

(۱) مجاورته: الضمير يرجع إلى الشيطان.

(۲) فى ظلال القرآن ۱۷/ ۱۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۸

عليه، فزع إليه متضرعا فى أن ينجيه من كيد الشيطان و غروره فإنه العدو الأول للإنسان ... و لنستمع إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء:

«اللهم إنى اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك، و توعدت بها من صدف عن رضاك، و من نار نورها ظلمة، و هينها أليم «۱» و بعيدها قريب، و من نار يأكل بعضها بعض، و يصول «۲» بعضها على بعض، و من نار تذر العظام رميما، و تسقى أهلها حميما «۳» و من نار لا تبقى على من تضرع إليها، و لا ترحم من استعطفها، و لا تقدر على التخفيف عمن خشع لها، و استسلم إليها، تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال، و شديد الوبال، و أعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها «۴» و حياتها الصالقة «۵» بأنيابها، و شرابها الذى يقطع امعاء و أفئدة سكانها، و ينزع قلوبهم و استهديك لما باعد منها، و أخر عنها ...

اللهم صل على محمد و آله، و أجرنى منها بفضل رحمتك، و اقلنى عثراتى بحسن اقالتك، و لا تخذلنى يا خير المجيرين، اللهم إنك تقى الكريهة، و تعطى الحسنة، و تفعل ما تريد، و أنت على كل شىء قدير، اللهم صل على محمد و آله إذا ذكر الأبرار «۶» و صل على محمد و آله ما اختلف الليل و النهار صلاة لا ينقطع مددها، و لا يحصى عددها، صلاة تشحن «۷» الهواء و تملأ الأرض و السماء،

صلّى اللّه عليه حتى يرضى، و صلى اللّه عليه و آله بعد الرضا، صلاة لا حد لها، و لا منتهى، يا أرحم الراحمين «۸» و احتوت هذه الفقرات على وصف مفزع و مذهل لنار جهنم التى أعدها اللّه للفجرة

---

(۱) أليم: أى مؤلم.

(۲) يصول: أى يهجم بعضها على بعض.

(۳) الحميم: المعادن المصهورة و الذائبة.

(۴) الفاغرة أفواهها: الفاتحة افواهها.

(۵) الصالقة: الضاربة.

(۶) الأبرار: جمع بر و هو الذى يفعل الأفعال الحسنة.

(۷) تشحن الهواء: أى تملأ الهواء.

(۸) الصحيفة السجادية الدعاء الواحد و الثلاثون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۹

و المستبدين و الطغاة من عباده من الذين أشاعوا الجور و الفساد فى الأرض فإنهم يعانون فى نار جهنم من صنوف التعذيب ما لا يوصف لهوله و فظاعته أعاذنا اللّه منها.

و بهذا ينتهى هذا الدعاء الشريف الذى كان يدعو به الإمام بعد صلاة الليل و هو من غرر أدعية أهل البيت عليهم السلام.

ضعفه و ذبوله:

اشارة

و ذبل الإمام زين العابدين عليه السلام من كثرة الصلاة، فقد اجهدته العبادة أى إجهاد، و قد بلغ به الضعف أن الريح كانت تميله يمينا و شمالا بمنزلة السنبلة «۱» التى تميلها الريح إذ لم تكن عنده قوة يستطيع بها الوقوف، و روى ابنه عبد الله قال: كان أبى يصلى بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه «۲» و ذلك لأنه لا طاقة له على القيام لشدة التعب و الضعف و الاعياء.

و أشفق عليه أهله و محبوه من كثرة ما بان عليه من الضعف و الجهد من كثرة صلاته و عبادته، و خافوا عليه من الموت، فكلموه فى ذلك فأبى أن يجيبهم، و أصر على ملازمته لنوافله و عبادته حتى يلحق بآبائه، و فيما يلى بعض من كلموه:

۱- بعض أبنائه:

و خاف عليه بعض أبنائه، فانبرى إليه بلهفة و وجل قائلا:

«يا أبة كم هذا الدؤوب- يعنى على الصلاة-؟ ..».

فأجابه الإمام برفق و حنان:

«أتحبب إلى ربى ..» «۳».

---

(۱) الإرشاد (ص ۲۷۲) روضة الواعظين ۱/ ۲۳۷.

(۲) البحار ۴۶/ ۹۹.

(۳) البحار ۴۶/ ۹۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۰۰

لقد تحبب إلى ربه، و تقرب إليه بجميع الطرق و الوسائل، و ليس في دنيا المتقين و الصالحين من يضارعه في إنابته و شدة تعلقه بالله.

۲- جابر الأنصاري:

و كان الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري قد أشفق على الإمام عليه السلام و طلب منه أن يخفف من عبادته، و لا يجهد نفسه، و قد روى حديثه الإمام الباقر عليه السلام قال: لما رأت فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة أقبلت إلى جابر بن عبد الله الأنصاري فقالت له:

«يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقا، و من حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهادا أن تذكروه الله، و تدعوه إلى البقيا على نفسه، و هذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه، و نقبت جبهته و ركبتاه و راحتاه مما دأب على نفسه في العبادة ...».

و انطلق جابر إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده في محرابه قد أضنته العبادة، و أجهدته الطاعة، و لما رآه الإمام استقبله، و أجلسه إلى جنبه و سأله سؤالا حفيا عن حاله، فالتفت إليه جابر قائلا:

«يا ابن رسول اللّه أ ما علمت أن اللّه تعالى إنما خلق الجنة لكم، و لمن أحبكم، و خلق النار لمن أبغضكم، و عاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟».

فأجابه الإمام برفق و لطف:

«يا صاحب رسول الله، أ ما علمت أن جدي رسول الله (ص) قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فلم يدع الاجتهاد له، و تعبد- بأبي و أمي- حتى انتفخ ساقه، و ورم قدمه و قد قيل له: أ تفعل هذا، و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ فقال:

«أ فلا أكون عبدا شكورا ..»

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۰۱

و لما نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد و التعب طفق يقول له:

«يا ابن رسول الله، البقيا على نفسك، فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء و بهم يستكشف الأدواء، و بهم تستمطر السماء ...».

فأجابه الإمام بصوت خافت:

«لا أزال على منهاج أبوي متأسيا بهما حتى ألقاهما ...».

و بهر جابر، و أقبل على من حوله قائلا:

ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب، و اللّه لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب!! إن منهم لمن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ..» «۱».

أجل و الله أنه ليس في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين في ورعه و تقواه، و سائر مثله العليا التي رفعته إلى القمة التي انتهى إليها العظماء من آبائه، و أعلن جابر أن ذرية الإمام الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، لأن فيهم المصلح العظيم قائم آل محمد (ص) الذي بشر به النبي (ص) و إنه سيملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا و ذلك في أيام حكومته و سلطانه.

۳- عبد الملك:

و ممن أشفق على الإمام من كثرة عبادته عبد الملك بن مروان، و ذلك حينما و فد عليه الإمام ليشفعه فى جماعة من المسلمين كانت السلطة قد ألقت القبض عليهم فلما رآه عبد الملك استعظم ما رآه عليه من أثر السجود بين عينيه فقال له:

---

(۱) المناقب لابن شهرآشوب حياة الإمام الباقر.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۲

«لقد بيّن عليك الاجتهاد، و لقد سبق لك من الله الحسنى، و أنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب، و كيد السبب، و إنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك، و ذوى عصرك، و لقد أوتيت من الفضل و العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك، و لا قبلك إلا من مضى من سلفك ..».

و أقبل على الإمام يطريه، و يذكر فضله و مآثره، فلما انتهى من كلامه، قال له الإمام:

«كل ما ذكرته من فضل الله سبحانه، و تأييده و توفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟ و لقد كان رسول الله (ص) يقف للصلاة حتى تتورم قدماه، و يظمأ فى الصيام حتى يعصب فوه «۱» فقيل له يا رسول الله أ لم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، و ما تأخر، فيقول صلى الله عليه و آله: أ فلا أكون عبدا شكورا.

الحمد لله على ما أولى، و أبلى، و له الحمد فى الآخرة و الأولى، و الله لو تقطعت أعضائى، و سالت مقلتاى على صدرى لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التى لا يحصيها العادون، و لا يبلغ أحد نعمة منها، على جميع حمد الحامدين، لا و اللّه أو يرانى الله لا يشغلنى شىء عن شكره و ذكره فى ليل و لا نهار، و لا سر و لا علانية، و لو لا أن لأهلى على حقا، و لسائر الناس من خاصهم و عامهم على حقوقا لا يسعنى إلا القيام بها حسب الوسع و الطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفى إلى السماء، و بقلبى إلى الله، ثم لم أردهما حتى يقضى الله على نفسى و هو خير الحاكمين ..».

و بكى الإمام بكاء شديدا، و أثر كلامه و منظره الذى تعنو له الجباه، و تذل له الرقاب فى نفس الطاغية عبد الملك، فراح يقول بتأثر و إعجاب:

«شتان بين عبد طلب الآخرة، و سعى لها سعيها، و بين من طلب الدنيا من أين جاءته، ما له فى الآخرة من خلاق ..».

---

(۱) عصب فوه: أى جف ريقه.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۳

و خضع عبد الملك فشفعه فيمن جاء فيهم، و أطلق سراحهم «۱».

هؤلاء بعض الذين أشفقوا على الإمام من كثرة صلاته و عبادته فقد طلبوا منه بإلحاح أن يخفف منها، و يميل من التعب إلى الراحة إلا أن الإمام لم يجبهم إلى ذلك، فقد وجد فى الصلاة راحة نفسية لا يعد لها أى شىء.

صومه:

اشارة

و قضى الإمام معظم أيام حياته صائما، و قد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: ما قدمت له طعاما فى نهار قط، و قد أحب الصوم، و حث عليه فقد قال: «إن الله تعالى و كل ملائكة بالصائمين» «۲» و كان عليه السلام لا يفطر إلا فى يوم العيدين، و غيرهما مما كان له عذر، و نتحدث- بإيجاز- عن بعض شئونه فى شهر رمضان المبارك الذى هو شهر الله، و شهر الطاعة.

فی شهر رمضان:

اشارة

و كان له شأن خاص فی شهر رمضان المبارک، فكان يعمل فيه كل ما يقربه إلى الله زلفی، و يقول الرواة: إنه لم يترک نوعا من أنواع البر و الخير إلا أتی به، و كان لا يتكلم إلا بالتسبيح و الاستغفار و التكبير، و إذا أفطر قال:

اللهم إن شئت أن تفعل فعلت «۳».

دعاؤه عند رؤية هلال رمضان:

و كان عليه السلام يستقبل شهر رمضان بشوق و رغبة لأنه ربيع الأبرار، و كان يدعو حين رؤيته لهلاله بهذا الدعاء الشريف الذی يمثل روحانية الإسلام، و هدی أهل البيت عليهم السلام، و هذا نصه:

«الحمد لله الذی هدانا لحمده، و جعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من

---

(۱) البحار ۴۶/ ۶۵.

(۲) دعوات الراوندی (ص ۴).

(۳) فروع الكافی ۴/ ۸۸.

الشاكرين، و ليجزينا على ذلک جزاء المحسنين، و الحمد لله الذی حبانا بدينه، و اختصنا بملته، و سبّلنا «۱» فی سبل «۲» إحسانه لنسلكها بمنه إلى رضوانه، حمدا يتقبله منا، و يرضی به عنا، و الحمد لله الذی جعل من تلک السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام، و شهر الإسلام، و شهر الطهور «۳» و شهر التمحيص، و شهر القيام، الذی أنزل فيه القرآن هدی للناس، و بينات من الهدی و الفرقان، فأبان فضيلته على سائر الشهور، بما جعل له من الحرمات الموفورة، و الفضائل المشهورة، فحرم فيه ما أحل فی غيره إعظاما، و حجر فيه المطاعم و المشارب إكراما، و جعل له وقتا بينا، لا يجيز جل و عز أن يقدم قبله، و لا يقبل أن يؤخر عنه، ثم فضل ليلة واحدة من لياليه على ليالی ألف شهر، و سماها ليلة القدر تنزل الملائكة و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام، دائم البركة إلى طلوع الفجر على من يشاء من عباده، بما أحكم من قضائه ..».

و احتوت هذه الكلمات المشرقة على تعظيم شهر رمضان و تبجيله، و نعته بأسمی الأوصاف، التی منها:

۱- إنه شهر الإسلام، فمن صامه فقد دخل فی إطار الإسلام، و من أفطر فيه عالما عامدا فهو ليس من الإسلام فی شیء.

۲- إنه شهر الطهور: لأن فيه طهارة للنفس من الذنوب، و تزكية لها من الآثام.

۳- إنه شهر التمحيص: فيه يختبر المسلمون، و يمحصون، و به يظهر المطيع من العاصی.

۴- إنه شهر القيام: إن هذا الشهر ربيع الأبرار و الأخيار، فإنهم يحيون لياليه بالعبادة و الطاعة.

---

(۱) سبلنا: أی أدخلنا.

(۲) السبل: الطرق.

(۳) شهر الطهور: أراد (ع) أن الصائم يطهر فی هذا الشهر المبارک من أدران الذنوب.

۵- و من مميزات هذا الشهر انه أنزل فيه القرآن العظيم، فقد أنزل فی ليلة القدر التی هی من أجل لياليه، ففيها «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ

فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ».

۶- و من مميزات هذا الشهر الشريف أن الله تعالى جعل له من الحرمات ما ليست لغيره من سائر الشهور فقد حرم فيه تعالى على الصائم فى أثناء صومه المطاعم و المشارب إكراما و تعظيما لهذا الشهر ... و لنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء:

«اللهم صلّ على محمد و آله، و ألهمنا معرفة فضله، و إجلال حرمته مما حظرت فيه، و أعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك، و استعمالها فيه بما يرضيك حتى لا نصغى بأسماعنا إلى لغو، و لا نسرع بأبصارنا إلى لهو، و حتى لا نبسط أيدينا إلى محظور، و لا نخطو بأقدامنا إلى محجور و حتى لا تعى بطوننا إلا ما أحللت، و لا تنطق ألسنتنا إلا بما قلت، و لا نتكلف إلا ما يدنى من ثوابك، و لا نتعاطى إلا الذى يقى من عقابك، ثم خلص ذلك كله من رئاء المرائين، و سمعة المستمعين، لا نشرك فيه أحدا دونك، و لا نبتغى فيه مرادا سواك ...».

تعرض الإمام عليه السلام إلى ما ينبغى أن يتصف به الصائم فى هذا الشهر العظيم من كف جوارحه عما حرمه الله، و التى منها صيانة لسانه من الكذب و الغيبة و البهتان، و صيانة سماعه من اللغو و الباطل، و عدم بسط يده إلى السرقة و الاعتداء على الناس، و عدم سعيه إلى محظور و محجوب عنه و ذلك كالمشى إلى محل المعاصى، و عدم أكل الحرام، كما تعرض عليه السلام إلى أن الصائم ينبغى له أن تكون أعماله الصالحة و مبراته خالصة لوجه الله غير مشوبة برياء أو طلب جاه أو سمعة بين الناس فإن ذلك كله مما يفسد العمل، و لنصغ بعد هذا إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف:

«اللهم صلّ على محمد و آله وقفنا «۱» على مواقيت الصلوات الخمس

---

(۱) وقفنا: أى اجعلنا نقف على مواقيت الصلاة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۶

بحدودها التى حددت، و فروضها التى فرضت، و وظائفها التى وظفت، و أوقاتها التى وقت، و أنزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها، الحافظين لأركانها، المؤدين لها فى أوقاتها، على ما سنه عبدك و رسولك صلواتك عليه و آله فى ركوعها و سجودها، و جميع فواضلها على أتم الطهور و أسبغه و أبين الخشوع و أبلغه، و وفقنا فيه لأن نصل أرحامنا بالبر و الصلة و أن نتعاهد جيراننا بالإفضال و العطية، و أن نخلص أموالنا من التبعات و أن نطهرها بإخراج الزكوات، و أن نراجع من هاجرنا، و أن ننصف من ظلمنا، و أن نسالم من عادانا، حاشا من عودى فيك و لك «۱» فإنه العدو الذى لا نواليه، و الحزب الذى لا نصافيه، و أن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب، و تعصمنا فيه مما نستأنف من العيوب، حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلا دون ما نورد من أبواب الطاعة لك، و القربة إليك ..».

و عرضت هذه الفقرات إلى أمور بالغة الأهمية ينبغى للصائم مراعاتها، و القيام بها و هى:

۱- الحفاظ على الإتيان بالصلاة- التى هى عمود الدين- فى أوقاتها التى حددها الله، مشفوعة بما سنه الرسول الأعظم (ص) من السنن و الآداب و الأذكار فى ركوعها و سجودها بل و فى جميع شئونها، و الإتيان بها على أكمل وجه من الخشوع و الخضوع لله تعالى وحده.

۲- البر بالأرحام و الصلة لهم فإنها من أفضل الطاعات.

۳- الإحسان إلى الجيران، و إسداء المعروف لهم.

۴- تطهير الأموال بإخراج الخمس و الزكاة المفروضة فيها.

۵- مراجعة من هجرنا من الأصدقاء و الاخوان.

۶- إنصاف الظالم و عدم الاعتداء عليه بقول أو فعل فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

(۱) و لكك: أى لأجلك.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۷

۷- مسالمة العدو، و عدم معاداته اللهم إلا أن تكون العداوة لله فى الله تعالى، فإن اللازم مقاطعته، و عدم مسالمته.

۸- التقرب إلى الله بالأعمال الطيبة، فإنها يتأكد استحبابها فى شهر رمضان المبارك.

و لنستمع بعد هذا إلى الفقرات الأخيرة من هذا الدعاء الشريف:

«اللهم إنى أسألك بحق هذا الشهر، و بحق من تعبد لك فيه من ابتدائه إلى وقت فنائه: من ملك قربته أو نبى أرسلته أو عبد صالح اختصصته، أن تصلى على محمد و آله، و أهّلنا «۱» فيه لما وعدت أولياءك من كرامتك، و أوجب لنا فيه ما أوجبت لأهل المبالغة فى طاعتك «۲» و اجعلنا من نظم «۳» من استحق الأعلى برحمتك.

اللهم صلّ على محمد و آله، و جنبنا الإلحاد فى توحيدك، و التقصير فى تمجيدك و الشك فى دينك، و العمى عن سبيلك، و الإغفال لحرمتك، و الانخداع لعدوك الشيطان الرجيم «۴» اللهم صل على محمد و آله، و إذا كان لك فى كل ليلة من ليالى شهرنا هذا رقاب يعتقها عفوك، أو يهبها صفحك، فاجعل رقابنا من تلك الرقاب، و اجعلنا لشهرنا من خير أهل و أصحاب.

اللهم صل على محمد و آله، و امحق ذنوبنا «۵» مع إمحاق هلاله «۶» و اسلخ عنا تبعاتنا مع انسلاخ أيامه، حتى ينقضى عنا، و قد صفيتنا فيه من الخطيئات، و أخلصتنا فيه من السيئات، اللهم صل على محمد و آله، و إن ملنا فيه فعدلنا، و إن زغنا فيه فقومنا، و إن اشتمل علينا عدوك الشيطان فاستنقذنا منه.

(۱) أهلنا: أى اجعلنا أهلا.

(۲) أهل المبالغة فى الطاعة: هم الذين يكثرون فى طاعة الله، و يبالغون فيها.

(۳) فى نظم: أى فى عداد.

(۴) الرجيم: هو المطرود.

(۵) امحق ذنوبنا: أى امحها.

(۶) المحاق: هى ثلاثة أو اثنتان أو ليلة واحدة فى آخر كل شهر لا يظهر فيه القمر ليلا و لا نهارا.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۸

اللهم اشحنه بعبادتنا إياك، و زين أوقاته بطاعتنا لك، و أعنا فى نهاره على صيامه، و فى ليله على الصلاة و التضرع إليك، و الخشوع لك، و الذلة بين يديك، حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة، و لا ليله بتفريط، اللهم و اجعلنا فى سائر الشهور و الأيام، كذلك ما عمرتنا، و اجعلنا من عبادك الصالحين «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ، هُمْ فِيها خالِدُونَ»، «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ، أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ»، و من «الذين يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ، وَ هُمْ لَها سابِقُونَ»، اللهم صلّ على محمد و آله فى كل وقت و كل أوان، و على كل حال عدد ما صليت على من صليت عليه، و أضعاف ذلك بالأضعاف التى لا يحصيها غيرك، إنك فعال لما تريد ..» «۱».

إن أدعية الإمام مدرسة للوعى الدينى، و هى تفيض بروح الإيمان و جوهر الإخلاص لله ... و قد احتوت هذه الفقرات المشرقة من دعائه على ما يلى:

۱- انه توسل إلى الله تعالى بحرمة رمضان، و بحرمة من تعبد فيه من عباده الصالحين فى أن يجعله من أوليائه المقربين، و فى عداد من استحق المنزلة الرفيعة عنده.

۲- أن يجعل أعماله الصالحة، و مبراته خالصة لوجهه تعالى غير مشوبة برياء و نحوه مما يفسد العمل.

۳- أن يجنبه الشك و الأوهام الفاسدة فى أمور الدين.

۴- أن لا يسلك غير الطريق الذى شرعه الله، و أن لا يغفل عن حرماته تعالى.

۵- أن لا ينحرف فى تيار الشيطان الرجيم.

۶- أن يمنّ عليه فيجعله من جملة عتقائه فى هذا الشهر العظيم.

---

(۱) الصحيفة السجادية الدعاء الثالث و الأربعون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۹

۷- أن يوفقه الله فى هذا الشهر المبارك للعبادة و الطاعة، و التضرع و الخشوع و الذلة له تعالى.

هذه بعض الأمور المهمة التى احتوت عليها هذه الكلمات من دعائه.

مبراته فى رمضان:

اشارة

كان عليه السلام كثير البر فى شهر رمضان، و هذه بعض مبراته:

أ- إطعام الطعام:

و حث الإسلام على بذل الطعام للصائمين، و ندب إليه، و كان الإمام زين العابدين فى كل يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة و طبخها، فإذا كان المساء أكب على القدور يشمها، فإذا نضجت يقول: هاتوا القصاع، و يأمر بأن يغرف إلى الفقراء و الأرامل و الأيتام حتى يأتى على آخر القدور، و لا يبقى شيئا لإفطاره و كان يفطر على خبز و تمر «۱».

ب- تحريره للعبيد:

و من مبرات الإمام (ع) فى شهر رمضان المبارك كثرة عتقه، و تحرير ارقائه من رق العبودية، على أنهم كانوا يعيشون فى ظلاله محترمين، و كان يعاملهم كأبنائه و كان يغضى عمن أساء إليه منهم، و لا يعاقبه، و كان يعتق جميع ما ملكت يمينه منهم فى رمضان، و نقل الرواة أنه كان لا يعاقب أمة و لا عبدا إذا اقترف أحدهما ذنبا و إنما كان يسجل اليوم الذى أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم و أظهر الكتاب الذى سجل فيه ذنوبهم، و يقول لهم: ارفعوا أصواتكم و قولوا:

«يا على بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما

---

(۱) المحاسن (ص ۳۹۶) البحار ۴۶/ ۷۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۰

أحصيت علينا ما عملناه ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة، و لا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها «و تجد كل ما عملت لديه حاضرا»،

كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا، فاعف و اصفح، كما ترجو من المليك العفو، و كما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوّا، و بك رحيما و لك غفورا، و لا يظلم ربك أحدا ... كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا، لا يغادر صغيرة و لا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا على بن الحسين ذل مقامك بين يدى ربك الحكم العدل الذى لا يظلم مثقال حبة من خردل، و يأتى بها يوم القيامة، و كفى بالله حسيبا و شهيدا، فاعف، و اصفح يعف عنك المليك و يصفح، فإنه يقول:

«وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» «۱».

و كان يلقنهم بتلك الكلمات التى تمثل مدى انقطاعه إلى اللّه و اعتصامه به، و هو واقف يبكى من خشيته تعالى، و هو يقول:

«ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، و قد عفونا عمن ظلمنا- كما أمرت- فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا و من المأمورين، و أمرتنا أن لا- نرد سائلا- عن أبوابنا، و قد أتيناك سؤّالا و مساكين، و قد انخنا بفنائك، و ببابك، نطلب نائلك و معروفك، و عطاءك فامنن بذلك علينا، و لا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا، و من المأمورين.

إلهى: كرمت فاكرمنى، إذا كنت من سؤّالك، وجدت بالمعروف فاخلطنى بأهل نوالك، يا كريم ...».

ثم أقبل عليهم بوجهه الشريف و قد تبلل من دموع عينيه قائلا لهم بعطف و حنان:

«قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عنى؟ و مما كان منى من سوء ملكة، فإنى مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم، جواد، عادل، محسن، متفضل ...».

---

(۱) سورة النور آية ۲۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۱

أى نفس ملائكية هذه النفس العظيمة التى تمثلت روحانية الأنبياء، و محاسن صفاتهم و أخلاقهم!!

و ينبرى العبيد قائلين له:

«قد عفونا عنك يا سيدنا ...».

فيقول لهم: قولوا:

«اللهم اعف عن على بن الحسين كما عفا عنا، فاعتقه من النار كما اعتق رقابنا من الرق».

فيقولون ذلك: و يقول بعدهم: اللهم آمين رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، و اعتقت رقابكم رجاء للعفو عنى، و عتق رقبتى، فإذا كان يوم عيد الفطر أجازهم جائزة سنية تصونهم، و تغنيهم عما فى ايدى الناس «۱».

و ليس فى دنيا المتقين و الصالحين مثل الإمام زين العابدين عليه السلام فى تقواه، و عظيم اخلاصه و طاعته للّه فقد ملئ قلبه الشريف إيمانا و معرفة باللّه.

و على أى حال فإن الإمام (ع) قد عمل فى شهر رمضان جميع الوان الخير من البر بالضعفاء، و إكرام البؤساء، و إنعاش المحرومين، و تحرير العبيد، و غير ذلك مما يقربه إلى اللّه زلفى.

دعاؤه فى السحر:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يناجى ربه، و يدعوه بتضرع و إخلاص فى سحر كل ليلة من ليالى شهر رمضان بالدعاء الجليل الذى عرف بدعاء أبى حمزة الثمالى لأنه هو الذى رواه عنه، و هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنه يمثل مدى الانابة و الانقطاع إلى اللّه، كما أن فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها و شهواتها و بالإضافة إلى ذلك فقد

---

(۱) البحار ۴۶/ ۱۰۳- ۱۰۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۲

امتاز بجمال الأسلوب و روعة البيان و بلاغة العرض و فيه من التذلل و الخشوع و الخضوع أمام اللّه تعالى، ما لا يوجد فى بقية الأدعية و نقتطف بعض القطع المضيئة منه دون أن نذكره بأسره، و ذلك لذيوعه و انتشاره فى كتب الأدعية التى هى بمتناول الكثيرين من القراء.

و قبل أن نذكر بعض فقرات هذا الدعاء نود أن نبين أنه قد احتل مكانة مهمة فى نفوس الأخيار و الصلحاء من المسلمين فقد عكفوا على الدعاء به فى سحر كل ليلة من ليالى رمضان، كما قد رأيت بعض المؤمنين قد حفظه، و يدعو به، و فيما يلى بعض فقراته:

«الهى: لا- تؤدبنى بعقوبتك، و لا تمكر بى فى حيلتك، من أين لى الخير يا رب و لا يوجد إلا من عندك، و من أين لى النجاة و لا تستطاع إلا بك، لا الذى احسن استغنى عن عونك و رحمتك، و لا الذى أساء و اجترأ عليك و لم يرضك خرج عن قدرتك، يا رب بك عرفتك، و أنت دللتنى عليك و دعوتنى إليك، و لو لا أنت لم أدر ما أنت ...».

أ رأيتم راهب أهل البيت كيف يناجى ربه، و يتضرع إليه يحاججه بهذا الأسلوب الذى ينبض بواقع الإيمان و المعرفة ... و لنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف:

«يا حبيب من تحبب إليك، و يا قرة عين من لاذ بك، و انقطع إليك، أنت المحسن، و نحن المسيئون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك، و أى جهل يا رب لا يسعه جودك؟ و أى زمان أطول من أناتك؟ و ما قدر اعمالنا فى جنب نعمك، و كيف نستكثر أعمالا نقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك لو نهرتنى ما برحت من بابك، و لا كففت عن تملقك لما انتهى إلى من المعرفة بجودك و كرمك ..».

و هكذا يستمر الإمام عليه السلام فى تملقه و تضرعه إلى الخالق العظيم طالبا منه المغفرة و الرضوان، و اسمعوه كيف يقول:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۳

«اللهم: انى كلما قلت: قد تهيأت، و تعبّأت، و قمت للصلاة بين يديك، و ناجيتك القيت على نعاسا إذا أنا صليت، و سلبتنى مناجاتك إذا أنا ناجيت ... مالى كلما قلت: قد صلحت سريرتى، و قرب من مجالس التوابين مجلسى، عرضت لى بلية أزالت قدمى، و حالت بينى و بين خدمتك، سيدى: لعلك عن بابك طردتنى و عن خدمتك نحيتنى، أو لعلك رأيتنى مستخفا بحرمتك فاقصيتنى، أو لعلك رأيتنى معرضا عنك فقليتنى، أو لعلك وجدتنى فى مقام الكاذبين فرفضتنى، أو لعلك رأيتنى غير شاكر لنعمائك فحرمتنى، أو لعلك فقدتنى من مجالس العلماء فخذلتنى، أو لعلك رأيتنى فى الغافلين فمن رحمتك ايستنى، أو لعلك رأيتنى الف مجالس البطالين فبينى و بينهم خليتنى، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائى فباعدتنى، أو لعلك بجرمى و جريرتى كافيتنى، أو لعلك بقلة حيائى منك جازيتنى فإن عفوت يا رب فطالما عفوت عن المذنبين قبلى، لأن كرمك أى رب يجل عن مكافأة المقصرين ...».

و عرض الإمام عليه السلام إلى الأمور التى تحجب الإنسان من الاقبال على اللّه فى حال صلاته و مناجاته، و هذه بعضها:

۱- الاستخفاف بحقوق اللّه، و ذلك بأن يستهين بها.

۲- الاعراض عن اللّه،

۳- عدم اجتناب الكذب الذى هو مجمع الرذائل و الموبقات.

۴- عدم شكر النعم التى أنعم اللّه بها على العبد.

۵- عدم مجالسة العلماء الواقعيين الذين يذكرون الناس الدار الآخرة و يحثونهم على فعل الخيرات.

۶- الغفلة عن ذكر اللّه، و الغفلة عن ذكر الموت فإنهما يجران الإنسان إلى الشقوة و الهلاك.

۷- مجالسة البطالين الذين يقضون أوقاتهم باللهو، و يضيعون أعمارهم فى توافه الأمور، فإن مجالستهم مما توجب الانصراف عن اللّه.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۴

هـذه بعض الأمور التى تحجب التوفيق من الاتصال باللّه، و تصـده عن فعل الخير أعاذنا اللّه منها، و لنسـتمع إلى فصل آخر من فصول هذا الدعاء:

«الهى و سـيدى و عزتـك و جلالك لئن طالبتنى بـذنوبى لأطالبنك بعفوك، و لئن طالبتنى بلؤمى لأطالبنك بكرمك، و لئن ادخلتنى النار لأخبرن أهل النار، بحبى لك، الهى و سـيدى إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك، و أهل طاعتك فإلى من يفزع المـذنبون، و إن كنت لاـ تكرم إلا أهل الوفاء بك فبمن يسـتغيث المسـيئون الهى إن ادخلتنى النار ففى ذلك سـرور عـدوك- يعنى الشـيطان الرجيم- و إن ادخلتنى الجنة ففى ذلك سرور نبيك، و أنا و اللّه أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك ...» «۱».

لقـد اسـتعطف سـيد المتقين و إمـام العـارفين عليه السـلام الخالق العظيم الـذى وسـعت رحمته كل شـىء طالبا منه المغفرة و الرضوان للمـذنبين و المقصـرين من عبـاده، فـإن فيضه وجـوده لاـ يقتصـر على المؤمنين و المطيعين، و إنمـا هو شامـل لجميع عبـاده ... و بهـذه اللقطات اليسيرة ينتهى بنا الحديث عن دعاء الإمام فى سحر كل ليلة من ليالى رمضان المبارك.

دعاؤه فى وداع رمضان:

اشارة

و كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتأثر إذا انطوت أيام رمضان لأنه ربيع الأبرار، و كان يودعه بهذا الدعاء الجليل:

«اللهم يـا من لا يرغب فى الجزاء، و يا من لا ينـدم على العطاء، و يا من لا يكافئ عبـده على السواء، منتك ابتـداء، و عفوك تفضل، و عقوبتـك عـدل، و قضـاؤك خيرة إن اعطيت لم تشب عطـاءك بمن، و إن منعت لم يكن منعك تعـديا، تشـكر من شـكرك، و أنت الهمته شـكرك، و تكـافىء من حمـدك، و أنت علمته حمـدك، تستر على من لو شـئت فضـحته، و تجود على من لو شـئت منعته، و كلاهما أهل منك للفضيحة و المنع غير أنك بنيت فعالك على

---

(۱) المصباح للطوسى، المصباح للكفعمى.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۵

التفضل، و أجريت قـدرتك على التجاوز، و تلقيت من عصاك بالحلم، و امهلت من قصـد لنفسه بالظلم تسـتنظرهم باناتك إلى الانابة «۱»، و تترك معاجلتهم إلى التوبـة، لكيلا يهلك عليك هالكهم، و لا يشـقى بنعمتك شـقيهم إلا عن طول الإعذار إليه، و بعد ترادف الحجة عليه، كرما من عفوك يا كريم، و عائدة من عطفك يا حليم ...».

و لا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر فى هذه الفقرات المضيئة من كلام الإمام عليه السلام فقد احتوت على ما يلى:

۱- كرم اللّه:

أما كرم اللّه تعالى وجوده على العباد- حسبما أدلى به الإمام- فقد تميز بما يلى.

(أ) إن نعمة اللّه تعالى على العباد لا يرجو منها جزاء لانه تعالى مستغن عن عباده و هم الفقراء إليه.

(ب) إنه تعـالى إذا أنعم على عبـد بنعمـة مهمـا كبرت، فـإنه لا ينـدم على عطائه، كما ينـدم المخلوقون فى عطائهم إذا لم تكن هناك

عائدة أو منفعة ترجع إليهم.

(ج) إن نعم اللّه على عباده غير مشوبة بالمن، فإنه تعالى يعطى تفضلا

(د) إنه تعالى هو الذى يبتدئ بالإحسان و الكرم على عباده.

۲- عفو اللّه و عقابه:

أما عفو اللّه عن المذنبين و المسيئين فإنما هو تفضل و رحمة منه، و أما عقابه لهم فإنما هو عدل لأنه لا يعاقب إلا بقدر ما يستحق المذنب من العقاب.

---

(۱) الأناة: الحلم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۶

۳- قضاء اللّه:

أما قضاء اللّه و صدور الأفعال منه فإنه باختياره، و هو غير مجبور عليها كما يقول بذلك بعض الفلاسفة.

۴- شكره للشاكرين:

إن اللّه تعالى يشكر من شكره، و ذلك بزيادة الطافه و نعمه عليه، و هذا هو المراد من شكر اللّه لعبده، كما أنه تعالى يكافئ من حمده، و يزيد عليه الطافه.

۵- ستره على العبد:

و من الطاف اللّه على عبده ستره عليه فى حال ارتكابه للمعاصى، و لو شاء تعالى لفضحه، و اسقطه من عيون الناس، كما أن الطافه تعالى على المذنب، أنه يجود عليه، و يرزقه، و لو شاء لمنعه رزقه، و أماته جوعا، و لكنه تعالى قد جرت مشيئته و قدرته على التجاوز عن المذنبين، رجاء أن يرجع إليهم حلمهم و يتوبوا إلى طريق الحق و الرشاد، و لا يشقى منهم إلا من أصر على العصيان و نبذ الحق ... هذه بعض المحتويات فى كلام الإمام عليه السلام، و لنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف:

«أنت الذى فتحت لعبادك بابا إلى عفوك، و سميته التوبة، و جعلت على ذلك الباب دليله من وحيك لئلا يضلوا عنه، فقلت: تبارك اسمك «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۱» فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب و إقامة الدليل، و أنت الذى زدت فى السوم «۲» على نفسك لعبادك، تريد ربحهم فى متاجرتهم لك، و فوزهم بالوفادة عليك، و الزيادة منك، فقلت

---

(۱) سورة التحريم: آية ۸.

(۲) السوم: المجاذبة بين البائع و المشترى على السلعة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۷

تبارك اسمك و تعاليت: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها «۱» و قلت: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ «۲» و قلت: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ»* «۳» أضعافا كثيرة و ما أنزلت من نظائرهن فى القرآن من تضاعيف الحسنات، و أنت الذى دللتهم من غيبك و ترغيبك، الذى فيه حظهم على ما سترته عنهم، لم تدركه أبصارهم، و لم تعه اسماعهم، و لم تلحقه أوهامهم، فقلت: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ» «۴» و قلت: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ «۵» و قلت: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ «۶» فسميت دعاءك عبادة و تركه استكبارا، و توعدت على تركه دخول جهنم داخرين «۷» فذكروك بمنك، و شكروك بفضلك و دعوك بأمرك، و تصدقوا لك طلبا لمزيدك، و فيها كانت نجاتهم من غضبك، و فوزهم برضاك، و لو دل مخلوق مخلوقا من نفسه على مثل الذى دللت عليه عبادك منك كان موصوفا بالإحسان، و منعوتا بالامتنان، و محمودا بكل لسان، فلك الحمد ما وجد فى حمدك مذهب، و ما بقى لفظ تحمد به، و معنى ينصرف إليه، يا من تحمد إلى عباده بالإحسان و الفضل، و غمرهم بالمن «۸» و الطول «۹» ما افشى فينا نعمتك، و اسبغ علينا منتك، و اخصنا ببرك، هديتنا لدينك الذى اصطفيت، و ملتك التى ارتضيت، و سبيلك الذى سهلت و بصرتنا الزلفة لديك، و الوصول إلى كرامتك».

---

(۱) سورة الأنعام: آية ۱۰.

(۲) سورة البقرة: آية ۲۶۱.

(۳) سورة الحديد: آية ۱۱.

(۴) سورة البقرة: آية ۱۵۲.

(۵) سورة إبراهيم آية ۷.

(۶) سورة غافر: آية ۶۰.

(۷) داخرين: أى أذلاء محقرين.

(۸) المن: النعمة.

(۹) الطول: الإحسان.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۸

و تحدث الإمام عليه السلام فى هذه القطعة عن عظيم لطف اللّه و فضله على العصاة من عباده فقد فتح لهم باب التوبة و المغفرة لينقذهم من الهلاك، و الشقاء فى دار الآخرة، و التوبة ماحية للذنوب و منجية للإنسان من غمرات الأهوال، و يشترط فيها الندم على ما اقترف الإنسان من ذنب، و عدم العودة إليه.

و تحدث الإمام عليه السلام عن لطف آخر من الطاف اللّه على عباده، و ذلك بأن حثهم على الإحسان إلى الناس و فعل الخير، و على الصدقة و البر بالفقراء و الضعفاء و ضمن لهم عوض ذلك الثمن الجزيل فى دار البقاء و الخلود كل ذلك لنجاتهم، و سعادتهم، فما أسبغ نعمته، و اعظم فضله على العباد.

و عرض عليه السلام فى كلامه إلى شكر اللّه على نعمه و أنه مما يوجب المزيد، كما تعرض عليه السلام إلى الدعاء إلى اللّه و التضرع

إليه، فقد جعل ذلك عبادة و تركه استكبارا حسب ما أعلن القرآن الكريم، و لنستمع بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء:

«اللهم و أنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، و خصائص تلك الفروض شهر رمضان الذى اختصصته من سائر الشهور، و تخيرته من جميع الأزمنة و الدهور، و آثرته على كل أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن و النور، و ضاعفت فيه من الإيمان «۱» و فرضت فيه من الصيام، و رغبت فيه من القيام «۲» و اجللت فيه من ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، ثم آثرتنا به على سائر الأمم، و اصطفيتنا بفضله دون أهل الملل فصمنا بأمرك نهاره، و قمنا بعونك ليله، متعرضين بصيامه و قيامه لما عرضتنا له من رحمتك، و تسببنا إليه من مثوبتك، و أنت الملىء بما رغب فيه إليك، الجواد بما سئلت من فضلك، القريب إلى من حاول قربك، و قد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد، و صحبنا صحبة مبرور و اربحنا أفضل أرباح العالمين، ثم فارقنا عند

---

(۱) و ضاعفت فيه من الإيمان: أى جعلت ثواب الإيمان، و ثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفا.

(۲) و رغبت فيه من القيام: أى ندبت إلى إحياء لياليه بالعبادة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۹

تمام وقته، و انقطاع مدته، و وفاء عدده «۱» فنحن مودعوه وداع من عزّ فراقه علينا و غمنا، و أوحشنا انصرافه عنا، و لزمنا له الذمام المحفوظ، و الحرمة المرعية، و الحق المقضى ...».

و أشاد الإمام عليه السلام بهذه الكلمات بفضل شهر رمضان المبارك الذى ميزه اللّه على سائر الشهور، و اختصه بالمزيد من الفضل، ففرض فيه الصيام، و ندب فيه إلى إحياء لياليه بالعبادة و الطاعة، و جعل ثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفا، كما خصه بليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، و قد آثر اللّه به المسلمين و حباهم به دون غيرهم من سائر الأمم لينالوا الدرجات العالية، و المنزلة الكريمة عنده ... و تعرض الإمام (ع) إلى حزنه على مفارقة هذا الشهر العظيم الذى كان يكتسب فى كل ثانية منه الحسنات و الأعمال التى تقربه إلى اللّه زلفى، و لنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء المبارك:

«فنحن قائلون: السلام عليك يا شهر اللّه الأكبر، و يا عيد اوليائه السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، و يا خير شهر فى الأيام و الساعات، السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، و نشرت فيه الأعمال، السلام عليك من قرين جل قدره موجودا، و افجع فقده مفقودا، و مرجوا آلم فراقه، السلام عليك من أليف انس مقبلا فسرّ، و أوحش منقضيا فمضّ، السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب، و قلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، و صاحب سهّل سبل الاحسان، السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك، و ما أسعد من رعى حرمتك بك، السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب، و استرك لانواع العيوب، السلام عليك ما كان اطولك على المجرمين و اهيبك فى صدور المؤمنين، السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام، السلام عليك من شهر هو من كل أمر سلام، السلام عليك غير كريه المصاحبة، و لا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات و غسلت عنا دنس الخطيئات، السلام عليك غير مودع برما و لا متروك صيامه

---

(۱) و وفاء عدده: أى تمام عدده.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۰

سأما، السلام عليك من مطلوب قبل وقته، و محزون عليه قبل فوته، السلام عليك كم من سوء صرف بك عنا، و كم من خير أفيض بك علينا، السلام عليك و على ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، السلام عليك ما كان احرصنا بالأمس، و أشد شوقنا غدا إليك، السلام عليك و على فضلك الذى حرمناه و على ماض من بركاتك سلبناه ...».

لقد ودع الإمام عليه السلام شهر رمضان المبارك بهذه التحيات الحارة العاطرة مشفوعة بالمرارة و الأسى على فراقه لأنه كان ميدانا

لمبراته و أعماله الصالحة التى تقربه إلى اللّه تعالى، و قد عرض عليه السلام إلى خصائص هذا الشهر العظيم، و بيان امتيازاته على بقية الشهور، و لنستمع إلى لوحة اخرى من هذا الدعاء الجليل:

«اللهم إنا أهل هذا الشهر الذى شرفتنا به، و وفقتنا بمنك له، حين جهل الأشقياء وقته، و حرموا لشقائهم فضله، أنت ولى ما آثرتنا به من معرفته، و هديتنا له من سنته، و قد تولينا بتوفيقك صيامه و قيامه على تقصير، و أدينا فيه قليلا من كثير.

اللهم فلك الحمد إقرارا بالإساءة، و اعترافا بالإضاعة «۱» و لك من قلوبنا عقد الندم، و من ألسنتنا صدق الاعتذار، فاجرنا على ما أصابنا فيه من التفريط أجرا نستدرك به الفضل المرغوب فيه، و نعتاض به من أنواع الذخر «۲» المحروص عليه و أوجب لنا عذرك على ما قصرنا فيه من حقك، و أبلغ باعمارنا ما بين أيدينا من شهر رمضان المقبل، فإذا بلغتناه فاعنا على تناول ما أنت اهله من العبادة، و أدنا «۳» إلى القيام بما يستحقه من الطاعة، و أجر لنا من صالح العمل ما يكون دركا لحقك فى الشهرين «۴» من شهور الدهر.

اللهم و ما ألممنا به فى شهرنا هذا من لمم «۵» أو اثم، أو واقعنا فيه من

---

(۱) اراد عليه السلام أنا اضعنا هذا الشهر و لم نقم بما يلزم من رعايته.

(۲) أنواع الذخر: أى الثواب الذى اذخره اللّه لعباده المؤمنين.

(۳) أدنا إلى القيام: أى اوصلنا إلى القيام بطاعتك.

(۴) الشهرين: هما رمضان الماضى و الآتى.

(۵) اللمم: صغار الذنوب.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۱

ذنب و اكتسبنا فيه من خطيئة على تعمّد منا، أو على نسيان ظلمنا فيه أنفسنا، أو انتهكنا به حرمة من غيرنا، فصل على محمد و آله، و استرنا بسترك، و اعف عنا بعفوك و لا تنصبنا لأعين الشامتين، و لا تبسط علينا فيه ألسن الطاغين، و استعملنا بما يكون حطة «۱» و كفارة لما انكرت منا فيه برأفتك التى لا تنفد، و فضلك الذى لا ينقص، اللهم صل على محمد و آله و اجبر مصيبتنا بشهرنا و بارك لنا فى يوم عيدنا و فطرنا، و اجعله من خير يوم مرّ علينا، أجلبه لعفو، و امحاه لذنب، و اغفر لنا ما خفى من ذنوبنا و ما علن ..».

أ نظرتم إلى هذا الخضوع و التذلل أمام الخالق العظيم، و طلب العفو و المغفرة منه، و الاعتراف أمامه بالتقصير فى أداء ما ينبغى من عبادته و طاعته فى شهر رمضان المبارك، هذا و هو زين العابدين و داعية اللّه الأكبر!!! حقا لقد كان هذا الإمام العظيم انموذجا فريدا فى عالم المتقين و الصالحين ...

و لنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء:

«اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا، و أخرجنا بخروجه من سيئاتنا و اجعلنا من أسعد أهله به، و اجزلهم قسما فيه، و أوفرهم حظا منه، اللهم و من رعى هذا الشهر حق رعايته، و حفظ حرمته حق حفظها، و قام بحدوده حق قيامها و اتقى ذنوبه حق تقاتها، أو تقرب إليك بقربة أوجبت رضاك له، و عطفت رحمتك عليه، فهب لنا مثله من وجدك، و اعطنا اضعافه، فإن فضلك لا يغيض «۲» و ان خزائنك لا تنقص بل تفيض، و إن معادن إحسانك لا تفنى، و إن عطاءك للعطاء المهنّا.

اللهم صل على محمد و آله، و اكتب لنا مثل أجور من صامه أو تعبد لك فيه إلى يوم، القيامة اللهم انا نتوب إليك فى يوم فطرنا الذى جعلته للمؤمنين عيدا و سرورا، و لأهل ملتك مجمعا و محتشدا من كل ذنب اذنباه أو سوء اسلفناه، أو خاطر شر اضمرناه توبة من لا ينطوى على رجوع إلى ذنب، و لا يعود بعدها إلى خطيئة توبة نصوحا «۳» خلصت لك من الشك و الارتياب،

---

(۱) حطة: أى سببا لحط ذنوبنا.

(۲) لا يغيض: مأخوذ من غاض الماء إذا تسرب فى باطن الأرض.

(۳) نصوحا: أى خالصة لا يشوبها مما يفسدها.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۲

فتقبلها منا، و ارض عنا و ثبتنا عليها.

اللهم ارزقنا خوف عقاب الوعيد، و شوق ثواب الموعود حتى نجد لذة ما ندعوك به، و كآبة ما نستجيرك منه، و اجعلنا عندك من التوابين الذين أوجبت لهم محبتك و قبلت منهم مراجعة طاعتك يا أعدل العادلين اللهم تجاوز عن آبائنا و أمهاتنا و أهل ديننا جميعا من سلف منهم، و من غبر إلى يوم القيامة، اللهم صل على محمد نبينا و آله، كما صليت على ملائكتك المقربين، و صل عليه و آله كما صليت على انبيائك المرسلين، و صل عليه و آله كما صليت على عبادك الصالحين، و أفضل من ذلك يا رب العالمين، صلاة تبلغنا بركتها، و ينالنا نفعها، و يستجاب لها دعاؤنا، إنك اكرم من رغب إليه، و أكفى من توكل عليه، و اعطى من سئل من فضله، و أنت على كل شىء قدير ...» «۱».

إن هذا الدعاء الشريف بل و سائر ادعية الإمام عليه السلام مما تهتز لها أعماق النفوس، و تضطرب منها دخائل القلوب، و تبعث للتقوى و الإيمان كما تبعث على الندم و الحسرات على ما فرط الإنسان فى جنب اللّه.

فى يوم عيد الفطر:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الفطر بالدعاء إلى اللّه تعالى طالبا منه أن يتقبل صومه و سائر عباداته و مبراته فى شهر رمضان، و أن يمنحه العفو و الرضوان، و كان فى الصباح الباكر يعطى الفقراء زكاة الفطرة، عن نفسه، و عمن يعول به، كما كان يصلى صلاة العيد، و بعد الفراغ منها يستقبل القبلة، و يدعو بهذا الدعاء الجليل:

«يا من يرحم من لا يرحمه العباد، و يا من يقبل من لا تقبله البلاد «۲» و يا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه، و يا من لا يخيب الملحين عليه، و يا من

---

(۱) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع و الأربعون.

(۲) من لا تقبله البلاد: هو من طاردته الحكومة أو الأعداء فلا يتمكن من سكن البلاد خوفا من البطش به و لكن اللّه يسعه بفضله و منه.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۳

لا يجبه بالرد أهل الدالة عليه، يا من يجتبى «۱» صغير ما يتحف به، و يشكر يسير ما يعمل له، و يا من يشكر على القليل و يجازى بالجليل، و يا من يدنو إلى من دنا منه، و يا من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه، و يا من لا يغير النعمة و لا يبادر بالنقمة، و يا من يثمر الحسنة حتى ينميها، و يتجاوز عن السيئة حتى يعفيها «۲» انصرفت الآمال دون مدى كرمك «۳» بالحاجات و امتلأت بفيض جودك أوعية الطلبات، و تفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال، و الجلال الأمجد فوق كل جلال، كل جليل عندك صغير، و كل شريف فى جنب شرفك حقير، خاب الوافدون على غيرك و خسر المتعرضون إلا لك، و ضاع الملمون إلا بك، و اجدب المنتجعون «۴» إلا من انتجع فضلك، بابك مفتوح للراغبين، وجودك مباح للسائلين، و اغاثتك قريبة من المستغيثين، لا يخيب منك الآملون، و لا ييأس من عطائك المتعرضون و لا يشقى بنقمتك المستغفرون، رزقك مبسوط لمن عصاك، و حلمك معترض لمن ناواك، عادتك الاحسان الى المسيئين، و سنتك الابقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن الرجوع، و صدهم امهالك عن النزوع، و إنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك، و أمهلتهم ثقة بدوام ملكك، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها، و من

كان من أهل الشقاوة خذلته لها.

و عرض الإمام الأعظم عليه السلام فى هذه اللوحة إلى الطاف اللّه تعالى، و فضله الشامل على العباد فهو العطوف و الرحيم على من انقطع عن العباد، و لا يجد راحما سواه كما أن رحمته تعالى شملت من طاردته الحكومات فهام على وجهه من الخوف، و من الطاف اللّه تعالى أنه لا يحتقر المحتاجين إليه كما يحتقرهم العباد، و من رحمته تعالى أنه لا يخيب آمال

---

(۱) يجتبى: أى يختار.

(۲) يعفيها: أى يمحوها.

(۳) مدى كرمك: أى آخر كرمك.

(۴) المنتجعون: هم الذين يطلبون الماء و الكلاء.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۴

الملحين عليه بالمسألة و الدعاء، و من عظيم فضله تعالى وسعة رحمته انه يقبل القليل من العمل الصالح، و يجازى عليه بالكثير، و قد تحبب الى عباده فقد دنا إلى من دنا منه، و دعا من أدبر عنه ليمنحهم المنزلة الرفيعة فى دار الآخرة، و ينقذهم من الهلاك، و من الطاف اللّه على عباده أنه لا يغير نعمة أنعم بها عليهم إلا أن يغيروا ما بأنفسهم، كما أنه تعالى ينمى الحسنة و يربيها لصاحبها فى دار الآخرة ... إن كرم اللّه وجوده لا يحد، فقد عجزت الأوصاف و النعوت أن تلم به تعالى، فهو فوق كل عال، وفوق كل جلال، و فوق كل شريف.

و نعى الإمام عليه السلام فى دعائه على الذين يلجئون إلى غير اللّه، فقد فوتوا عليهم الخير و ضاعت آمالهم، و خسرت صفقتهم، كما قد ربح من التجأ إليه تعالى، و فاز فوزا عظيما و تعرض الإمام عليه السلام إلى حلم اللّه تعالى و انابته على المعتدين فلم يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يفيئوا إلى أمره تعالى، و يرجعوا إلى حظيرة الحق ... هذه بعض الأمور التى حفلت بها هذه القطعة من دعاء الإمام (ع)، و لنستمع إلى الفصل الأخير منه:

«كلهم صائرون إلى حكمك، و أمورهم آئلة إلى أمرك، لم يهن على طول مدتهم سلطانك و لم يدحض لترك معاجلتهم برهانك، حجتك قائمة لا تدحض، و سلطانك ثابت لا يزول، فالويل الدائم لمن جنح «۱» عنك، و الخيبة الخاذلة لمن خاب منك، و الشقاء الأشقى لمن اغتر بك «۲» ما أكثر تصرفه «۳» فى عذابك، و ما أطول تردده فى عقابك، و ما ابعد غايته من الفرج، و ما اقنطه من سهولة المخرج!! عدلا من قضائك لا تجور فيه، و انصافا من حكمك لا تحيف «۴» عليه، فقد ظاهرت الحجج، و أبليت الأعذار، و قد تقدمت بالوعيد، و تلطفت فى الترغيب، و ضربت الأمثال،

---

(۱) جنح: مال و انصرف.

(۲) اغتر بك: أى انخدع بامهالك له.

(۳) تصرفه: أى تقلبه.

(۴) لا تحيف: أى لا تجور.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۵

و أطلت الامهال، و أخرت و أنت مستطيع للمعالجة، و تأنيت و أنت ملئ «۱» بالمبادرة.

لم تكن انانك عجزا، و لا امهالك و هنا، و لا امساكك غفلة، و لا مداراة، بل لتكون حجتك أبلغ، و كرمك أكمل، و احسانك أوفى، و نعمتك اتم، كل ذلك كان و لم تزل، و هو كائن و لا تزال، حجتك أجل من أن توصف بكلها، و مجدك أرفع من أن تحد

بكنهه، و نعمتك أكثر من أن تحصى بأسرها، و إحسانك أكثر من أن تشكر على أقله، و قد قصر بى السكوت عن تحميدك و فههنى «۲» الامساك عن تمجيدك، و قصاراى الاقرار بالحسور «۳» لا- رغبة- يا إلهى- بل عجزا منها أنا ذا أؤمك «۴» بالوفادة، و اسألك حسن الرفادة فصل على محمد و آله، و اسمع نجواى، و استجب دعائى، و لا- تختم يومى بخيبتى، و لا- تجبهنى بالرد فى مسألتى، و اكرم من عندك منصرفى، و إليك منقلبى، إنك غير ضائق بما تريد، و لا عاجز عما تسأل، و أنت على كل شىء قدير، و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلى العظيم» «۵».

عرض الإمام عليه السلام فى هذه الكلمات إلى أن جميع الخلق مؤمنهم و فاسقهم، و موحدهم و كافرهم إنما هم فى قبضة اللّه تعالى، خاضعون لحكمه صائرون إلى أمره، و أما تعند العصاة، و استمرارهم فى البغى و التمرد و العصيان فإنهم لا يوهنون بذلك سلطان اللّه و الويل لهم من عقابه الدائم و عذابه الخالد، و إنما امهلهم تعالى فى دار الدنيا و لم يعجل عقوبتهم و ذلك شفقة منه و لطفا بهم إذ لعلهم يرجعون إلى حظيرة الحق، و يتوبون إلى اللّه، و بذلك يكون كرمه تعالى أوفى، و نعمته على عباده اكمل.

---

(۱) ملئ: أى قادر.

(۲) فههنى: أى اعجزنى.

(۳) الحسور: عدم القدرة.

(۴) أؤمك: أى اقصدك.

(۵) الصحيفة السجادية الدعاء الخامس و الأربعون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۶

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن صوم الإمام عليه السلام فى رمضان، و قد كان حافلا بجميع الوان العبادات و الطاعات و المبرات.

حجه:

اشارة

أما الحج إلى بيت اللّه الحرام فكان الإمام عليه السلام ملازما له لأنه يجد فى مواقفه الكريمة انتعاشا لنفسه التى أذابتها كوارث كربلاء، و كان (ع) بحث على الحج و العمرة و ذلك لما يترتب عليهما من الفوائد فقد قال: «حجوا و اعتمروا تصح اجسادكم، و تتسع ارزاقكم، و يصلح إيمانكم و تكفوا مؤونة الناس، و مؤونة عيالكم «۱» و قال عليه السلام الحاج مغفور له، و موجوب له الجنة، و مستأنف به العمل، و محفوظ فى أهله و ماله «۲» و قال عليه السلام:

«الساعى بين الصفا و المروة تشفع له الملائكة «۳» كما كان يدعو إلى تكريم الحجاج إذا قدموا من بيت اللّه الحرام و تبجيلهم، فقد قال: استبشروا بالحجاج إذا قدموا و صافحوهم، و عظموهم تشاركوهم فى الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب «۴» و نعرض- بإيجاز- لبعض شئونه فى حجه.

حجه ماشيا:

و حج الإمام عليه السلام غير مرة ماشيا على قدميه كما حج أبوه، و عمه الحسن عليهما السلام و قد استغرق الوقت فى إحدى سفراته إلى البيت عشرين يوما «۵».

---

(۱) وسائل الشيعة ۸/ ۵.

(۲) من لا يحضره الفقيه (ص ۱۵۶) وسائل الشيعة ۸/ ۵.

(۳) من لا يحضره الفقيه (ص ۱۵۹).

(۴) من لا يحضره الفقيه (ص ۱۵۵).

(۵) البحار، و جاء فى العقد الفريد ۳/ ۱۰۳ أنه حج خمسا و عشرين حجة راجلا.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۷

حجه راكبا:

و حج عليه السلام على ناقته عشرين حجة، و كان يرفق بها كثيرا، و يقول المؤرخون: أنه ما قرعها بسوط «۱» و قال إبراهيم بن على: حججت مع على بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب، ثم رد يده، و قال: آه من القصاص، و تلكأت عليه مرة أخرى بين جبال رضوى، فأراها القضيب، و قال: لتنطلقن أو لأفعلن، ثم ركبها فانطلقت «۲» لقد سمت نفسه إلى هذا المستوى من الرحمة و الرأفة و الرفق بالحيوان فلم يقرع ناقته بسوط و لم يفزعها، و يرى أن الاعتداء على الحيوان يتبعه قصاص و مسئولية فى دار الآخرة.

مرافقة القراء له:

كان الإمام عليه السلام إذا أراد السفر إلى بيت اللّه الحرام احتف به القراء و العلماء لأنهم كانوا يكتسبون منه العلوم، و المعارف، و الحكم و الآداب، يقول سعيد بن المسيب أن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج على بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب «۳» و كانوا يتعلمون منه مسائل الحج، و أحكام الدين، و سائر شئون الشريعة الإسلامية، إذ لم يكن فى عصره- بإجماع المؤرخين و الرواة- من هو أعلم منه بأحكام الكتاب و السنة.

زاده إلى الحج:

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ج۱ ۲۲۷ زاده إلى الحج: ..... ص : ۲۲۷

كان الإمام عليه السلام يستعد أحسن استعداد و أكمله فى سفره إلى الحج أو العمرة فكان يتزود من أطيب الزاد و أثمره من اللوز و السكر، و السويق

---

(۱) حلية الأولياء ۳/ ۱۳۳.

(۲) الفصول المهمة (ص ۱۸۹).

(۳) حياة الإمام محمد الباقر ۱/ ۱۳۸.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۸

المحمض، و المحلى «۱» و قد صنعت له فى إحدى سفراته أخته السيدة الزكية سكينة زادا نفيسا انفقت عليه ألف درهم إلا أنه لما كان بظهر الحرة أمر بتوزيعه على الفقراء و المساكين فوزع عليهم «۲».

اضطرابه عند الأحرام:

و إذا انتهى الإمام إلى احدى المواقيت التى يحرم منها كمسجد الشجرة الذى هو ميقات المدنيين و من يجتاز عليه، فيأخذ بعمل سنن

الاحرام من الغسل و غيره، و إذا اراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه، و اضطرب، و لم يستطع أن يلبى فقيل له:

«ما لك لا تلبى؟».

فيقول: و قد أخذته الرعدة و الفزع من اللّه:

«أخشى أن أقول: لبيك فيقال لى: لا لبيك ..».

و إذا لبى غشى، عليه من كثرة خوفه من اللّه، و يسقط من راحلته، و لا يزال تعتريه هذه الحالة حتى يقضى حجه «۳»، و روى مالك أن زين العابدين لما أراد أن يقول: لبيك أغمى عليه حتى سقط من ناقته فهشم «۴» لقد عرف اللّه معرفة كاملة، فهام بحبه، و فزع من عقابه، و اتجه نحوه بمشاعره و عواطفه شأنه فى ذلك شأن آبائه الذين هم سادة المتقين و المنيبين إلى اللّه.

دعاؤه عند الحجر:

و إذا انتهى فى طوافه عند الحجر رفع رأسه إلى السماء قائلا: «اللهم ادخلنى الجنة برحمتك- و هو ينظر إلى الميزاب- و أجرنى برحمتك من النار،

---

(۱) البحار ۴۶/ ۷۱.

(۲) صفة الصفوة ۲/ ۵۴.

(۳) نهاية الأرب ۲۱/ ۳۲۶ خلاصة تهذيب الكمال (ص ۱۳۱) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۶.

(۴) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۶.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۹

و عافنى من السقم و أوسع على من الرزق الحلال، و أدرأ عنى شر فسقة الجن و الإنس و شر فسقة العرب و العجم» «۱».

صلاته تحت الميزاب:

اشارة

و كان الإمام عليه السلام إذا أدى مناسكه فى البيت الحرام من الطواف و السعى أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة، و قد رآه طاوس اليمانى فى ذلك المكان المقدس قائما و هو يدعو اللّه و يبكى من خشية اللّه، فلما فرغ من صلاته انبرى إليه طاوس قائلا:

«رأيتك على حالة من الخشوع، و لك ثلاثة أمور: أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها أنك ابن رسول اللّه (ص) الثانى: شفاعة جدك، الثالث:

رحمة اللّه ...».

و أجابه الإمام بلطف قائلا:

ا «يا طاوس أما انى ابن رسول اللّه (ص) فلا- يؤمننى و قد سمعت اللّه تعالى يقول: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ «۲» و أما شفاعة جدى فلا تؤمننى لأن اللّه تعالى يقول: وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۳» و أما رحمة اللّه فاللّه يقول: ان رحمة اللّه قريب من المحسنين، و لا أعلم أنى محسن» «۴».

أ رأيتم هذا التواضع، و نكران الذات أمام اللّه تعالى، حقا لقد كان هذا الإمام نسخة لا ثانى لها فى بنى الإنسان عدا آبائه العظام.

مع هشام بن عبد الملك:

اشارة

حج هشام بن عبد الملك بيت اللّه الحرام، و قد صحبته الشرطة،

---

(۱) فروع الكافى ۴/ ۴۰۷.

(۲) سورة المؤمنون: آية ۱۰۱.

(۳) سورة الأنبياء: آية ۲۸.

(۴) البحار ۴۶/ ۱۰۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۰

و احتفت به المرتزقة و الوجوه و الأعيان من أهل الشام، و قد جهد على استلام الحجر فلم يستطع لازدحام الحجاج، و تدافعهم على تقبيل الحجر، و لم يعن أحد بهشام و لم يفسحوا له، فقد انعدمت الفوارق، فى ذلك البيت العظيم، و قد نصب له منبر فجلس عليه، و جعل ينظر إلى عملية الطواف، و أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ليؤدى طوافه، و بصر به بعض من يعرفه من الحجاج فنادى بأعلى صوته:

«هذا بقية اللّه فى أرضه ..»

«هذا بقية النبوة ...»

«هذا إمام المتقين، و سيد العابدين ...».

و غمرت الحجاج هيبة الإمام التى تعنو لها الوجوه و الجباه، و هى تحكى هيبة جده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و تعالت الأصوات من جميع جنبات المسجد بالتهليل و التكبير، و انفرج الناس له سماطين فكان السعيد من يقبل يده، و يلمس إحرامه، و ضج البيت بالتكبير و ذهل أهل الشام، و بهروا من هذا المنظر الرهيب، فإنهم لا يرون أحدا جديرا بالتكريم و التعظيم، غير الأسرة الأموية، فهى وارثة النبى (ص) و القريبة إليه حسب ما أكده الاعلام الأموى و بادر الشاميون إلى هشام قائلين:

«من هذا الذى هابه الناس هذه المهابة؟ ..»

و تميز هشام من الغيظ، و انتفخت أوداجه، و برزت عينه الحولاء «۱» فصاح بهم.

«لا أعرفه ..».

---

(۱) ذكر الجاحظ فى رسائله (ص ۸۹) أن هشام بن عبد الملك كان يقال له: الأحوال السراق، و قد أنشده أبو النجم العجلى أرجوزته التى يقول فيها:

«الحمد للّه الوهوب المجزل»

فأخذ يصفق بيديه استحسانا لها حتى صار إلى ذكر الشمس قال: «و الشمس فى الأرض كعين الأحول» فأمر بوجء عنقه و إخراجه، و علق الجاحظ على ذلك بقوله و هذا ضعف شديد، و جهل عظيم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۱

و إنما أنكر معرفته للإمام مخافة أن يرغب فيه أهل الشام و يزهدوا فى بنى أمية، و كان الفرزدق شاعر العرب الكبير حاضرا، فاستيقظ ضميره، و استوعب الحق فكره، و قد أخذته الرعدة، فاندفع بحماس قائلا لأهل الشام:

«أنا أعرفه ...».

«من هو يا أبا فراس؟ ..»

و ذعر هشام، و فقد صوابه مخافة أن يعرفه الفرزدق إلى أهل الشام، فصاح به:

«أنا لا أعرفه ...».

و علا صوت الفرزدق بالإنكار عليه قائلا:

«بلى تعرفه ..».

و التفت الفرزدق صوب أهل الشام قائلا:

«يا أهل الشام من أراد أن يعرف هذا الرجل فليأت ...».

و خف الشاميون و غيرهم نحو شاعر العرب الأكبر، و قد استحالوا إلى أذن صاغية، و انبرى الفرزدق، و كله حماس لنصرة الحق، فارتجل هذه القصيدة العصماء التى مثلت صدق القول، و جمال الأسلوب فقال:

هذا سليل حسين و ابن فاطمةبنت الرسول الذى انجابت به الظلم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتهو البيت يعرفه و الحل و الحرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلهمهذا التقى النقى الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها:إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يرقى إلى ذروة العز الذى قصرتعن نيلها عرب الإسلام و العجم

يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضى حياء و يغضى من مهابتهفلا يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبقمن كف اروع فى عرنينه شمم

من جده دان فضل الأنبياء لهو فضل امته دانت له الأمم

ينشق نور الهدى عن نور غرتهكالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۲ مشتقة من رسول اللّه نبعتهطابت عناصرها و الخيم و الشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهبجده انبياء اللّه قد ختموا

اللّه شرفه قدما و فضلهجرى بذاك له فى لوحه القلم

فليس قولك من هذا بضائرهالعرب تعرف من أنكرت و العجم

كلتا يديه غياث عم نفعهمايستوكفان و لا يعروهما عدم

حمال أثقال أقوام إذا فدحواحلو الشمائل تحلو عنده نعم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبتهرحب الفناء أريب حين يعتزم

من معشر حبهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهمأو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهمو لا يدانيهم قوم و إن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة ازمتو الأسد أسد الشرى و البأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهمسيان ذلك إن أثروا و إن عدموا

يستدفع السوء و البلوى بحبهمو يسترد به الاحسان و النعم

مقدم بعد ذكر اللّه ذكرهمفى كل امر و مختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذل ساحتهمخيم كريم و أيد بالندى هضم

أى الخلائق ليست فى رقابتهملأولية هذا أوله نعم

من يشكر اللّه يشكر أولية ذافالدين من بيت هذا ناله الأمم «۱» و تميزت هذه القصيدة العصماء على بقية الشعر العربى بالخلود على امتداد التاريخ لأنها كانت ثورة على الباطل، و نصرة للحق، فقد جاءت فى وقت كمت فيه الأفواه و أخرست الألسن عن ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام، فمن ذكر لهم مأثرة أو فضيلة سيق إلى الاعدام من قبل السلطة الأموية العاتية التى سخرت جميع أجهزتها لمحو أهل البيت من خارطة الوجود.

---

(۱) نهاية الأرب ۲۱/ ۳۲۷- ۳۳۱، و قد ذكرت هذه القصيدة كلا- و بعضا فى كثير من مصادر الأدب و التاريخ و التراجم نشير إلى بعضها، و هى: زهر الآداب ۱/ ۱۰۳ سرح العيون لابن نباته (ص ۳۹۰) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۱۹۳) الاتحاف بحب الأشراف (ص ۵۱) أخبار الدول للقرمانى (ص ۱۱۰) تأريخ دمشق ۳۶/ ۱۶۱ روضة الواعظين ۱/ ۲۳۹، دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۶ أنوار الربيع ۴/ ۳۵. مع اختلاف فى ترتيب الابيات.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۳

لقد اشاد الفرزدق فى قصيدته بالإمام العظيم أمام أهل الشام و غيرهم من سائر الحجاج مما يعتبر ضربة موجعة للسياسة الأموية، و علق البستانى على هذه القصيدة بقوله: و قالوا: كفى بالفرزدق أن يكون قال هذه القصيدة حتى يدخل الجنة «۱».

و مضافا لما فيها من روعة الصدق، و نصرة الحق انسجام أبياتها بهذا اللون من الجمال، يقول السيد على المدنى: و أما انسجامها فغاية لا تدرك، و عقيلة لا تملك، و قد جنبها حواشى الكلام، و جاء فيها ببديع الانسجام، و من رأى شعر الفرزدق، و رأى هذه القصيدة ملك نفسه العجب، فإنه لا مناسبة بينها و بين سائر قوله: سببا و مدحا و هجاء على أنه نظمها بديهة و ارتجالا، و لا شك أن اللّه سبحانه أيده فى مقالها، و سدده حال ارتجالها «۲».

تشكيك أبى الفرج:

و شكك أبو الفرج فى نسبة هذه القصيدة إلى الفرزدق لأن منهاجه فى الشعر غير ذلك إذ كان يستوعر فى اسلوبه و الفاظه و خياله «۳» و علق على ذلك الشيخ محمد أبو زهرة بقوله:

«و انا لا نرى ذلك الشك سائغا أو يتفق مع المنهاج السليم فى دراسة الروايات للأسباب الآتية:

أولها: تضافر الروايات كلها على نسبتها للفرزدق، و عدم محاولة الأصفهانى الطعن فى الرواية بتكذيب رواتها.

ثانيا- أنه لم يعيّن بالدليل الشاعر الذى ينسب إليه من بين شعراء آل البيت، و لا يصح أن يلغى نسب قصيدة لأبيها و قائلها، و يتركها مجهولة النسب أو ينسبها بغير حجة.

ثالثها- أن الشاعر الذى يستوعر قد يرق احيانا على

---

(۱) دائرة المعارف للبستانى ۹/ ۳۵۶.

(۲) أنوار الربيع ۴/ ۳۵۶.

(۳) الأغانى.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۴

حسب المقام الذى يقول فيه، فإذا كان الشاعر حسب المقام الذى يقول فيه، فإذا كان الشاعر يصف البادية بآكامها، و ما فيها فإنه يستوعر بطبيعته، و طبيعة الموضوع الذى يتصدى لوصفه، و إذا كان الموضوع الذى يتكلم فيه وصفا لأخلاق و شيم فإنه بلا ريب سيلين إلا ما كان شاعرا مجيدا يتخير ما يناسب كل مقام من مقال.

و إن امرأ القيس الجاهلى رق شعره فى آخر حياته عند ما نزلت به النوازل، و لسنا بمقام الروايۀ للأدب حتى ننقل لك وصفه لمرضه، و ما نزل به، و كذلك الأعشى، و كعب بن زهير عند ما مدحا النبى (ص) رق شعرهما رقۀ تتفق مع شيم النبى و مكارمه، فليست رقۀ الفرزدق فى هذه القصيدۀ بغريبۀ تستدعى الانكار و الشك.

و يجب هنا أن نقرر أن الفرزدق كان يميل ميلا شديدا إلى آل البيت و إن لم يكثر من الشعر فيهم اتقاء لأذى الأمويين «۱».

لقد كان الفرزدق علوى الميول و الاتجاه، و قد اندفع إلى مدح الإمام عليه السلام بوحى من عقيدته، يقول الشريف المرتضى: كان الفرزدق شيعيا مائلا- لبنى هاشم، و نزع فى آخر عمره عما كان عليه من الفسق و القذف، و راجع طريقۀ الدين على أنه لم يكن فى خلال ذلك سلخا من الدين، و لا مهملا أمره «۲» و على أى حال فإن نسبۀ هذه القصيدۀ العصماء إلى الفرزدق من الأمور التى لا تقبل التشكيك، فقد تواتر النقل بنسبتها إليه.

اعتقال الفرزدق:

و ثار هشام بن عبد الملك، و خرج من اهابه حينما سمع بهذه القصيدۀ، و ود أن الأرض قد ساخت به، فقد دللت على واقع الإمام العظيم، و عرفته لأهل الشام الذين جهلوه و جهلوا آباءه، فقد أشاد الفرزدق بمنزلۀ الإمام، و جعل الولاء له جزءا لا يتجزأ من الإسلام، و انه أفضل إنسان تضمه سماء الدنيا فى ذلك العصر.

---

(۱) الإمام زيد (ص ۲۸- ۲۹).

(۲) سرح العيون (ص ۳۹۰).

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۵

و أمر هشام باعتقال الفرزدق فاعتقل، و أودع فى سجون عسفان و هو منزل يقع ما بين مكۀ و المدينۀ، و بلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام فبعث إليه باثنى عشر ألف درهم فردها الفرزدق، و اعتذر من قبولها، و قال:

إنما قلت فيكم غضبا للّه و رسوله، فردها الإمام عليه فقبلها، و جعل الفرزدق يهجو هشاما، و مما هجاه به:

أ يحسبنى بين المدينۀ و التىإليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيدو عين له حولاء باد عيوبها «۱»

مناجاته فى البيت الحرام:

و أثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام مناجاۀ كثيرۀ فى بيت اللّه الحرام كان يناجى بها ربه فى غلس الليل البهيم، و من بينها ما يلى:

۱- روى محمد بن أبى حمزۀ قال: رأيت على بن الحسين (ع) فى فناء الكعبۀ، و هو يصلى، فأطال القيام حتى جعل مرۀ يتوكأ على رجله اليمنى، و مرۀ على رجله اليسرى ثم سمعته بصوت عال كأنه باك، و هو يناجى ربه قائلا.

«يا سيدى تعذبنى و حبك فى قلبى؟!! أما و عزتك لتجمعن بينى و بين قوم طالما عاديتهم فيك ...» «۲».

و فى هذه المناجاة القصيرة أعرب الإمام عليه السلام عن مدى انقطاعه و تضرعه الى اللّه طالبا منه أن يمنحه العفو و الرضوان.

۲- روى الأصمعى قال: كنت أطوف حول الكعبة فإذا شاب متعلق باستار الكعبة و هو يقول بنبرات حزينة تأخذ بمجامع القلوب:

---

(۱) نهاية الأرب ۲۱/ ۳۳۱.

(۲) الكافى ۲/ ۵۷۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۶

«نامت العيون، و علت النجوم، و أنت الملك الحى القيوم، غلقت الملوك ابوابها و أقامت عليها حراسها، و بابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلى برحمتك يا أرحم الراحمين ....».

ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلميا كاشف الضر و البلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت قاطبةو أنت وحدك يا قيوم لم تنم

ادعوك رب دعاء قد أمرت بهفارحم بكائى بحق البيت و الحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرففمن يجود على العاصين بالنعم قال الأصمعى: فاقتفيت أثره فإذا هو زين العابدين «۱» فوقعت عليه و قلت له: أنت على بن الحسين أبوك شهيد كربلاء، وجدك على المرتضى، و أمك فاطمة الزهراء، وجدتك خديجة الكبرى، وجدك الأعلى محمد المصطفى و أنت تقول: مثل هذا القول؟ ...».

فأجابه الإمام برفق و لطف:

«أ لم تقرأ قوله تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ «۲» أ لم تسمع قول جدى: «خلقت الجنة للمطيع و إن كان حبشيا، و خلقت النار للعاصى و إن كان قرشيا ...» «۳».

لقد تعلق هذا الإمام العظيم باللّه تعالى، و انقطع إليه، و قد أطاعه و عبده عن معرفة و إيمان و إخلاص.

۳- روى طاوس اليمانى قال: مررت بالحجر فإذا بشخص راكع و ساجد تأملته فإذا هو على بن الحسين، فقلت: فى نفسى رجل صالح من

---

(۱) البحار ۴۶/ ۸۰ كشف الضمة ۴/ ۱۵۰- ۱۵۱.

(۲) سورة المؤمنون: آية ۱۰۱.

(۳) روضات الجنات ۵/ ۱۶۱ و علق عليه بقوله: هذا تمام الحديث و هو غريب لمنافاته طبقة الأصمعى المذكور المشهور التى كانت ولادته بعد وفاة السجاد بكثير إلا أن يكون الأصمعى رجلا آخر من قدماء قبيلته المنسوبين إلى جده الأعلى اصمع».

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۷

أهل بيت النبوة، و اللّه لأغتنمن دعاءه فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته، فرفع بطن كفيه، و جعل يخاطب اللّه قائلا:

«إلهى: سيدى، سيدى، هاتان يداى قد مددتهما إليك بالذنوب مملوءتين و عيناى بالرجاء ممدودتين، و حق من دعاك بالندم تذللا أن تجيبه بالكرم تفضلا.

سيدى: من أهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكائى؟ أم من أهل السعادة خلقتنى فأبشر رجائى؟

سيدى: أ لضرب المقامع خلقت اعضائى؟ أم لشرب الحميم خلقت امعائى؟

سيدى: لو أن عبدا استطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهاربين من مولاه لكنى أعلم أنى لا أفوتك.

سيدى: لو أن عذابى مما يزيد فى ملكك سألتك الصبر عليه، غير أنى اعلم أنه لا يزيد فى ملكك طاعة المطيعين، و لا ينقص منه معصية العاصين.

سيدى: ها أنا و ما خطرى؟ هب لى بفضلك، و جللنى بسترك، و اعف عن توبيخى بكرم وجهك.

إلهى: و سيدى، ارحمنى مصروعا على الفراش تقلبنى أيدى أحبتى، و ارحمنى مصروعا على المغتسل يغسلنى صالح حيرتى، و ارحمنى محمولا- قد تناول الأقرباء اطراف جنازتى، و ارحم فى ذلك البيت المظلم وحشتى و غربتى ...» و لما سمع طاوس هذه المناجاة الحزينة التى تفزع منها النفوس، و تضطرب منها القلوب لم يملك نفسه ان بكى فالتفت إليه الإمام قائلا:

«يا يمانى ما يبكيك؟ أو ليس هذا مقام المذنبين؟ ..».

و انبرى طاوس بخضوع و إكبار للإمام قائلا:

«حق على اللّه أن لا يردك ..» «۱».

---

(۱) روضة الواعظين ۱/ ۲۳۷.

لقد سمت روح الإمام عليه السلام إلى الملأ الأعلى، و تعلقت به، و انقطعت إليه،

۴- و نقل الرواة عن الحسن البصرى أنه رأى الإمام فى الكعبة، و هو يتضرع إلى اللّه، و يدعوه منيبا، فدنا منه فسمعه ينشد هذه الأبيات الرقيقة:

الا أيها المأمول فى كل حاجةشكوت إليك الضر فارحم شكايتى

ألا يا رجائى أنت كاشف كربتىفهب لى ذنوبى كلها و اقض حاجتى

و إن إليك القصد فى كل مطلبو أنت غياث الطالبين و غايتى

أتيت بأفعال قباح رديةفما فى الورى خلق جنى كجنايتى

فزادى قليل لا أراه مبلغىأ للزاد ابكى أم لبعد مسافتى

أ تجمعنى و الظالمين مواقفىأين طوافى ثم أين زيارتى

أ تحرقنى بالنار يا غاية المنىفأين رجائى ثم أين مخافتى

فيا سيدى فامنن على بتوبةفانك رب عالم بمقالتى و أثر ذلك تأثيرا بالغا فى نفس الحسن البصرى، فاندفع يقبل رجلى الإمام و هو يقول له:

«يا سلالة النبوة، ما هذه المناجاة و البكاء و أنت من أهل بيت النبوة؟

قال اللّه: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

فانبرى الإمام يبين له واقع الإسلام الذى تبنى الأعمال الصالحة و لا يقيم وزنا للأنساب قائلا:

«دع هذا خلقت الجنة لمن اطاع اللّه، و لو كان عبدا حبشيا، و خلقت النار لمن عصاه و لو كان حرا قرشيا، و قال صلى اللّه عليه و آله: ايتونى باعمالكم لا بأنسابكم ...» «۱».

و استبعد بعض المؤلفين صحة هذه الرواية، و ذلك لاشتمالها على تلك الأبيات، و هى ركيكة بالإضافة إلى تقبيل الحسن البصرى لرجلى

---

(۱) روضات الجنات ۳/ ۲۹.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۳۹

الإمام، و هو لا يليق بمكانة البصري، و لا يرضى بذلك الإمام «۱» و هذه المناقشة واهية، و ذلك لما يلي:

أولا: إن الإمام عليه السلام أنشد هذه الأبيات، و لا يعلم أنها من نظمه.

ثانيا: انا لا نعرف الوجه في ركاكة هذه الأبيات، و ضعفها، فإنها من الرقة و الجودة بمكان.

ثالثا: أن تقبيل الحسن البصري ليس اهانة له، و إنما هو شرف و فخر له فإن الإمام بقية اللّه في أرضه، و سيد العترة الطاهرة في عصره، و فلذة من كبد رسول اللّه (ص)، و البصري أعرف بمكانته من هذا المؤلف.

۵- و من مناجاته للّه في البيت الحرام ما رواه طاوس الفقيه قال: رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر و يتعبد، فإذا لم ير أحدا رمق السماء بطرفه و قال:

«إلهي غارت نجوم سماواتك، و هجعت عيون أنامك، و أبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي و ترحمني، و ترينى وجه جدي محمد (ص)، في عرصات القيامة».

ثم بكى و خاطب اللّه تعالى قائلا:

«أما و عزتك و جلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، و ما عصيتك إذ عصيتك و أنا بك شاك، و لا بنكالك جاهل، و لا لعقوبتك متعرض، و لكن سولت لي نفسي، و اعانني على ذلك ستر ك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، و بحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني، فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفين جوزوا، و للمثقلين حطوا، أ مع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين احط؟ و يلي كلما طال عمري كثرت خطاياي و لم أتب، أ ما آن لي ان استحي من ربي ...».

---

(۱) الصلة بين التصوف و التشيع ۱/ ۱۶۱.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۴۰

و انفجر بالبكاء و أنشأ يقول:

أ تحرقني بالنار يا غاية المنىفأين رجائي ثم أين محبتي

اتيت بأعمال قباح رديةو ما في الورى خلق جنى كجنايتي سبحانك تعصى كأنك لا ترى، و تحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، و أنت يا سيدي الغني عنهم ...» ثم خر إلى الأرض ساجدا فدنوت منه، و رفعت رأسه و وضعته في حجري فوقعت قطرات من دموعي على خده الشريف فاستوى جالسا، و قال بصوت خافت:

«من هذا الذي اشغلني عن ذكر ربي؟ ..»

فأجابه طاوس بخضوع و إجلال:

«أنا طاوس، يا ابن رسول اللّه ما هذا الجزع و الفزع؟ و نحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا؟ و نحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي، و أمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول اللّه ...».

و لم يحفل الإمام بالنسب الوضاح الذي حظي به، فانبرى قائلا:

هيهات، هيهات، يا طاوس دع عنك حديث أبي و أمي وجدي، خلق اللّه الجنة لمن أطاعه، و أحسن، و لو كان عبدا حبشيا، و خلق النار لمن عصاه و لو كان سيدا قرشيا، أ ما سمعت قوله تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ «۱»، و اللّه لا ينفعك غدا إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح ..

۶- و من مناجاته عليه السلام في بيت اللّه الحرام ما رواه طاوس قال:

دخلت الحجر- يعنى حجر اسماعيل- فى الليل فإذا على بن الحسين قد دخل فقام يصلى ما شاء اللّه، ثم سجد سجدة فأطالها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول:

---

(۱) كشف القمة ۴/ ۱۵۱ البحار ۴۶/ ۸۱، مجالس ثعلب ۲/ ۴۶۲.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۱

«عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» ... و حفظ طاوس هذه المناجاة القصيرة التى عبرت عن نكران الذات، و الاعتراف بالعبودية المطلقة للّه، فكان يدعو بها عند الحاجة، و ان اللّه يكشف ما المّ به كما حدث بذلك «۱».

هذه بعض مناجاة الإمام فى بيت اللّه الحرام، و هى تكشف عن عظيم انابته و اتصاله باللّه، و له مناجاة أخرى سوف نعرض لها عند البحث عن أدعيته و مناجاته.

مع رجل يطوف بالكعبة:

و سمع الإمام عليه السلام رجلا فى أثناء طوافه بالكعبة، و هو يسأل اللّه الصبر فالتفت الإمام إليه قائلا:

«سألت البلاء، و لكن قل: «اللهم انى اسألك العافية، و الشكر على العافية» «۲» لقد ارشده الإمام إلى الدعاء الذى ينبغى أن يدعو به، و هو طلب العافية و الشكر عليها، و حذره من الدعاء بطلب الصبر لأنه إنما يكون فيما إذا نزل به بلاء أو فاقة.

انكاره على سائلين فى عرفة:

و نظر الإمام عليه السلام إلى قوم يسألون الناس، و يطلبون رفدهم فى يوم عرفة فأنكر عليهم ذلك و قال:

«ويحكم أ غير اللّه تسألون فى مثل هذا اليوم!! إنه ليرجى فى هذا اليوم لما فى بطون الحبالى أن يكون سعيدا ..» «۳».

تحريره للعبيد فى عرفات:

كان عليه السلام يشترى السودان، و ما به إليهم من حاجة فيأتى بهم إلى

---

(۱) نور الأبصار (ص ۱۲۷) نهج البلاغة ۶/ ۱۹۲.

(۲) دعوات قطب الراوندى (ص ۴۳) مخطوط.

(۳) البحار ۴۶/ ۱۰۵.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۲

عرفات فيسد بهم الفرج و الخلال فإذا افاض من عرفات أمر بعتق رقابهم، و جوائز لهم من المال «۱».

دعاؤه فى عرفات:

و كان الإمام فى عرفات يقوم بالصلاة، و الدعاء، و تلاوة القرآن الكريم، و كان يدعو بهذا الدعاء الشريف، و هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد حفل بأمور بالغة الأهمية، و فيما يلى نصه:

«الحمد للّه رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات و الأرض، ذا الجلال و الإكرام، رب الأرباب، و إله كل مألوه، و خالق كل مخلوق، و وارث كل شىء، ليس كمثله شىء، و لا يعزب «۲» عنه علم شىء، و هو محيط، و هو على كل شىء رقيب.

أنت اللّه لا- إله إلا- أنت، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد، و أنت اللّه لا- إله إلا- أنت الكريم المتكرم، و أنت اللّه لا- إله إلا أنت، العلى المتعال، الشديد المحال «۳» و أنت اللّه لا- إله إلا- أنت، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، و أنت اللّه لا- إله إلا- أنت، السميع البصير، القديم الخبير، و أنت اللّه لا إله إلا أنت، الكريم الأكرم، الدائم الأدوم، و أنت اللّه لا إله إلا أنت الدانى فى علوه، و العالى فى دنوه، و أنت اللّه لا- إله إلا- أنت ذو البهاء و المجد، و الكبرياء و الحمد، و أنت اللّه لا إله إلا أنت الذى انشأت الأشياء من غير سنخ «۴» و صورت ما صورت من غير مثال، و ابتدعت المبتدعات بلا احتذاء «۵» أنت الذى قدرت كل شىء تقديرا، و يسرت كل شىء تيسيرا، و دبرت ما دونك تدبيرا، و أنت الذى لم يعنك على خلقك شريك، و لم

---

(۱) البحار ۴۶/ ۶۲.

(۲) لا يعزب: أى لا يغيب.

(۳) الشديد المحال: أى القوى الحول.

(۴) من غير سنخ، أى من غير أصل.

(۵) بلا احتذاء: أى بلا اقتداء.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۳

يؤازرك فى أمرك وزير، و لم يكن لك مشاهد و لا نظير، أنت الذى اردت فكان حتما ما اردت، و قضيت فكان عدلا ما قضيت، و حكمت فكان نصفا ما حكمت، أنت الذى لا يحويك مكان، و لم يقيم لسلطانك سلطان، و لم يعيك برهان، و لا بيان ...».

و حفلت هذه الكلمات المشرقة بتعظيم اللّه، و تمجيده و الثناء عليه، و بيان معظم صفاته تعالى الإيجابية، و التى منها أنه تعالى أنشأ الأشياء، و أوجدها، و ابتدعها بقدرته، و إرادته التى احكمت كل شىء صنعا، فجميع ما فى الكون مما يرى، و مما لا يرى قد أحكمه تعالى، و قدره تقديرا، و دبره تدبيرا بحكمة بالغة، و باسرار عجيبة تذهل الأفكار، و تحير الألباب، و كيف يستطيع الانسان الممكن، و المحدود فى علمه، و قدرته و إرادته أن يصل إلى معرفة الخالق العظيم، الذى هو فوق التصور، و فوق الادراك، و هذا ما يؤكده الإمام عليه السلام فى المقطع التالى من هذا الدعاء الشريف:

«أنت الذى احصيت كل شىء عددا، و جعلت لكل شىء أمدا، و قدرت كل شىء تقديرا أنت الذى قصرت الأوهام عن ذاتيتك، و عجزت الأفهام عن كيفيتك، و لم تدرك الأبصار موضع اينيتك «۱» أنت الذى لا- تحد فتكون محدودا، و لم تمثل «۲» فتكون موجودا، و لم تلد فتكون مولودا، أنت الذى لا ضد معك فيعاندك «۳» و لا عدل «۴» لك فيكاثرك، و لا ندلك فيعارضك، أنت الذى ابتدأ و اخترع، و استحدث، و ابتدع، و أحسن صنع ما صنع، سبحانك ما أجل شأنك، و اسنى «۵» فى الأماكن مكانك، و اصدع بالحق فرقانك «۶»».

---

(۱) اينيتك: أى محلك، و اين أنت.

(۲) و لم تمثل: أى ليس لك مثل.

(۳) فيعاندك: أى يضادك.

(۴) و لا عدل: أى معادل و مماثل.

(۵) اسنى: أى ارفع.

(۶) فرقانك: أى القرآن الكريم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۴

و عرض إمام الموحدين فى هذه الفقرات إلى علم اللّه تعالى الذى لا يحد، و الذى كان فيه أنه أحصى جميع ما فى الكون عدا، و لم يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و الأرض، فقد أحاط بكل شىء علما، كما عرض الإمام عليه السلام إلى عجز الأفهام عن الوصول إلى إدراك حقيقته تعالى، و استحالة ذلك عليها إذ كيف يدرك الممكن حقيقة واجب الوجود الذى ليس له نوع و لا جنس و لا فصل حتى يتوصل إلى معرفته بها، و كيف يستطيع هذا الإنسان العاجز عن إدراك حقيقة ذاته و نفسه و ما فيه من أجهزة مذهلة و عجيبة حتى يعرف حقيقة الخالق العظيم الذى خلق الزمان و المكان، و خلق الكواكب و المجرات التى لا يحصى ما فيها من الكواكب الا اللّه.

و قد المت هذه الفقرات ببحوث فلسفية مهمة كنفى الحد، و المماثل و الضد و غيرها عنه تعالى و قد عرضت لها بالتفصيل الكتب الفلسفية و الكلامية ... و لنستمع إلى فقرات اخرى من هذا الدعاء الشريف:

«سبحانك من لطيف ما الطفك «۱»، و رءوف ما أرأفك «۲»، و حكيم ما أعرفك «۳» سبحانك من مليك ما امنعك، و جواد ما أوسعك «۴» ذو البهاء و المجد و الكبرياء و الحمد، سبحانك بسطت بالخيرات يدك، و عرفت الهداية من عندك، فمن التمسك «۵» لدين أو دنيا وجدك، سبحانك خضع لك من جرى فى علمك «۶» و خشع لعظمتك ما دون عرشك، و انقاد للتسليم لك كل خلقك، سبحانك لا تحس «۷» و لا تجس «۸» و لا تمس «۹» و لا تكاد «۱۰» و لا

---

(۱) ما الطفك: أى ما اكثر الطافك و فضلك على خلقك.

(۲) ما ارأفك: أى ما أكثر رحمتك على عبادك.

(۳) و حكيم ما اعرفك: أى ما أكثر علمك بمواضع الأشياء.

(۴) و جواد ما أوسعك: أى ما أوسع عطاءك وجودك.

(۵) فمن التمسك: أى من طلبك.

(۶) خضع لك من جرى فى علمك: أى جميع المخلوقات خاضعة و منقادة للّه.

(۷) لا تحس: أى لا تدرك بالحواس.

(۸) لا تجس: أى لا يعلم اخبارك احد.

(۹) لا تمس: لأنه تعالى ليس بجسم حتى يمس.

(۱۰) لا تكاد: أى لا يصل إليه احد بكيد أو مكر.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۵

تماط «۱» و لا- تنازع، و لا تجارى و لا تمارى «۲» و لا تخادع، و لا تماكر «۳» سبحانك سبيلك جدد «۴» و أمرك رشد، و أنت حى صمد «۵» سبحانك قولك حكم، و قضاؤك حتم و إرادتك عزم، سبحانك لا راد لمشيئتك، و لا مبدل لكلماتك، سبحانك باهر الآيات، فاطر السموات «۶» بارئ النسمات ...»

و حفلت هذه اللوحة بأروع ما يسبح به الأولياء و المتقون، و بأزكى ما يمجدون به ربهم، فما اعظم اللّه و أجله و أعلاه عند الإمام عليه السلام فهو تعالى اللطيف الرءوف بعباده، و الملك المقتدر، فمن التجأ إليه فقد التجأ إلى حصن وثيق، و كهف حريز و عرض الإمام عليه السلام إلى عظمة اللّه تعالى فقد خضع له كل ما فى الكون، و خشع له جميع من فى الوجود، و انقاد له بالتسليم جميع خلقه، كما أن من عظمته تعالى تنزيهه عن الجسم حتى لا- يدرك بالحواس الخمس، و إنما هو نور السموات و الأرض، و من عظمته انه ليس بمقدور أى أحد أن يكيده أو يمكر به أو يجادله أو ينازعه، و إنما الجميع تحت قبضته و سلطانه و أمره فقوله حكم، و قضاؤه حتم، و إرادته عزم، و لنصغ بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف:

«لک الحمد حمدا يدوم بدوامک، و لک الحمد حمدا خالدا بنعمتک، و لک الحمد حمدا يوازی صنعک «۷» و لک الحمد حمدا يزيد علی رضاک، و لک الحمد حمدا مع حمد کل حامد، و شکرا يقصر عنه شکر کل شاکر، حمدا لا ينبغی إلا لک، و لا يتقرب به إلا إليک حمدا يستدام به الأول، و يستدعی به دوام الآخر، حمدا يتضاعف علی کرور الأزمنة، و يتزايد اضعافا مترادفة، حمدا يعجز عن احصائه الحفظة «۸» و يزيد علی ما احصته فی کتابک

---

(۱) لا تماط: أی لا تزال.

(۲) لا تماری: أی لا يجادله أحد.

(۳) لا تماکر: أی لا احد يقدر علی مماکرة اللّه تعالی.

(۴) جدد: أی واضح.

(۵) الصمد: السيد الشريف.

(۶) فاطر السموات: أی خالق السموات.

(۷) يوازی صنعک: أی يعادل صنعک فی الکثرة.

(۸) الحفظة: و هم الملائکة الکرام الذين يحفظون اعمال العباد.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۲۴۶

الکتبة «۱» حمدا يوازن عرشک المجيد، و يعادل کرسيک الرفيع، حمدا يکمل لديک ثوابه، و يستغرق کل جزاء جزاؤه، حمدا ظاهره وفق لباطنه، و باطنه وفق لصدق النية، حمدا لم يحمدک خلق مثله، و لا يعرف أحد سواک فضله، حمدا يعان من اجتهد فی تعديده، و يؤکد من اغرق نزعا فی توفيته «۲» حمدا يجمع ما خلقت من الحمد، و ينتظم ما أنت خالقه من بعد، حمدا لا حمد أقرب إلی قولک منه، و لا أحمد ممن يحمدک به حمدا يوجب بکرمک المزيد بوفوره، و تصله بمزيد بعد مزيد طولا «۳» منک، حمدا يجب لکرم وجهک، و يقابل عز جلالک ...».

و لم تبق کلمة فی قاموس الحمد و الثناء إلا قدمها الإمام لمحبوبه الأکبر الخالق العظيم، لقد قدم له الحمد اللّامتناهی علی عظيم نعمه، و ألطافه عليه، و لنستمع بعد هذا الی لوحة أخری من هذا الدعاء الشريف:

«رب صل علی محمد و آل محمد، المنتجب «۴» المصطفی «۵» المکرم، المقرب افضل صلواتک، و بارک عليه اتم برکاتک، و ترحم عليه امتع رحماتک، رب صل علی محمد و آله، صلاة زاکية لا تکون صلاة أزکی منها، و صل عليه صلاة نامية لا تکون صلاة أنمی منها، و صل عليه صلاة راضية «۶» لا تکون صلاة فوقها رب صل علی محمد و آله صلاة ترضيه، و تزيد علی رضاه، و صل عليه صلاة ترضيک، و تزيد علی رضاک له، و صل عليه صلاة لا ترضی له إلا بها و لا ترى غيره لها أهلا.

رب صل علی محمد و آله صلاة تجاوز رضوانک «۷» و يتصل اتصالها

---

(۱) الکتبة: و هم الملائکة العظام الذين يکتبون اعمال الناس.

(۲) من أغرق نزعا فی توفيته: الاغراق الاکثار، و التوفية: الوفاء.

(۳) طولا: أی إحسانا.

(۴) المنتخب: المختار.

(۵) المصطفی: المختار.

(۶) راضية: أی مرضية.

(۷) تجاوز رضوانک: أی تجاوز القدر الذی ترضی به.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۲۴۷

ببقائک، و لا ینفد کما لا تنفد کلماتک، رب صل علی محمد و آله صلاة تنتظم «۱» صلوات ملائکتک و أنبیائک و رسلک و أهل طاعتک و تشتمل علی صلوات عبادک من جنک و انسک و أهل اجابتک، و تجتمع علی صلاة علی کل من ذرأت «۲» و برأت «۳» من اصناف خلقک، رب صل علیه و آله صلاة تحیط بکل صلاة سالفة و مستأنفة، و صل علیه و آله صلاة مرضیة لک و لمن دونک، و تنشئ مع ذلک صلاة تضاعف معها تلک الصلوات، و تزیدها علی کرور الأیام زیادة فی تضاعیف لا یعدها غیرک ...».

و أشاد الإمام علیه السلام بهذه الکلمات بجده الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و طلب من اللّه تعالی أن یترحم و یصلی علیه صلاة زاکیة نامیة مرضیة تبقی علی کرور اللیالی و الأیام، و تتصل ببقاء اللّه الذی لا نهایة له، و لا تنفد کما لا تنفد کلمات اللّه، و لنستمع بعد هذا الی قطعة اخری من هذا الدعاء:

«رب صل علی أطایب أهل بیته الذین اخترتهم لأمرک، و جعلتهم خزائن علمک، و حفظة دینک، و خلفاءک فی أرضک، و حججک علی عبادک، و طهرتهم من الرجس «۴» و الدنس تطهیرا بإرادتک، و جعلتهم الوسیلة إلیک، و المسلک إلی جنتک، رب صلّ علی محمد و آله صلاة تجزل لهم بها من نحلک «۵» و کرامتک، و تکمل لهم الأشیاء من عطایاک و نوافلک «۶» و توفر علیهم الحظ من عوائدک و فوائدک، رب صل علیه، و علیهم صلاة لا أمد فی أولها، و لا غایة لأمدها «۷» و لا نهایة لآخرها، رب صل علیهم زنة عرشک و ما دونه، و ملء سماواتک و ما فوقهن، و عدد اراضیک و ما تحتهن، و ما بینهن صلاة تقربهم منک زلفی، و تکون لک و لهم رضی، و متصلة بنظائرهن أبدا ...».

---

(۱) تنظم صلاة ملائکتک: أی تکون مع صلاة الملائکة.

(۲) ذرأت: أی خلقت.

(۳) برأت: أی أنشأت.

(۴) الرجس: المعاصی.

(۵) نحلک: جمع نحلة و هی العطیة.

(۶) نوافلک: جمع نافلة، و هی العطیة الفاضلة.

(۷) و لا غایة لأمدها: أی لا نهایة لمدتها.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۲۴۸

و اعرب الإمام علیه السلام فی هذه الکلمات عن سمو منزلة أهل البیت علیهم السلام و ما منحهم اللّه من الفضائل، و التی منها:

(أ) أن اللّه تعالی اختارهم لنشر دینه، و أداء رسالته إلی عباده.

(ب) أن اللّه جعلهم خزنة لعلمه، و مراکز لحکمته.

(ج) أنهم حفظة دین اللّه من الزیادة و النقصان.

(د) أنهم خلفاء اللّه فی أرضه، و حججه علی عباده.

(ه) أن اللّه طهرهم من الرجس و الدنس، کما نطقت بذلک الآیة الکریمة إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً.

(و) أن اللّه تعالی جعلهم الوسیلة إلیه، و المسلک إلی جنته، فمن أتاهم فقد نجا، و من تخلف عنهم فقد غرق و هوی.

هذه بعض فضائلهم و مآثرهم التی تحدث عنها الإمام علیه السلام، و طلب من اللّه أن یفیض صلواته و مغفرته علیهم و أن یجزل لهم

المزيد من رحماته، و لنصغ إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء:

«اللهم إنك أيدت دينك فى كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك و منارا «۱» فى بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، و الذريعة إلى رضوانك، و افترضت طاعته، و حذرت معصيته، و أمرت بامتثال أوامره، و الانتهاء عند نهيه، و الا يتقدمه متقدم، و لا يتأخر عنه متأخر، فهو عصمة اللائذين، و كهف المؤمنين، و عروة المستمسكين، و بهاء العالمين.

اللهم فأوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه، و أوزعنا مثله فيه، و آته من لدنك سلطانا نصيرا، و افتح له فتحا يسيرا، و اعنه بركنك الأعز، و اشدد ازره، و قو عضده، و راعه بعينك، و احمه بحفظك، و انصره بملائكتك، و أمده بجندك الأغلب، و أقم به كتابك و حدودك، و شرائعك، و سنن رسولك صلواتك اللهم عليه و آله، و أحى به ما أماته الظالمون من معالم دينك، و اجل به اصداء الجور عن طريقتك، و ابن به الضراء من سبيلك و أذل به الناكبين

---

(۱) المنار: الموضع الذى يجعل عليه النور ليلا ليراه المار فيعرف به الطريق.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۹

عن صراطك، و امحق به بغاة قصدك عوجا، و ألن جانبه لأوليائك و ابسط يده على اعدائك، و هب لنا رأفته و رحمته، و تعطفه و تحننه، و اجعلنا له سامعين، مطيعين، و فى رضاه ساعين، و إلى نصرته، و المدافعة عنه مكنفين، و إليك، و إلى رسولك صلواتك اللهم عليه و آله متقربين ...».

و تحدث عليه السلام عن سمو منزلة الإمام القائم و أهميته البالغة فى دنيا الإسلام، فهو الحافظ لدين اللّه، و الهادى إلى سبيل الحق و الرشاد، و الذريعة إلى رضوان اللّه و الواجب يدعو إلى لزوم طاعته، و حرمة مخالفته لأنه عصمة اللائذين، و كهف المؤمنين، و عروة المستمسكين، و بهاء العالمين، و قد دعا له بالنصر و الفتح المبين ليقيم سنة الإسلام، و يحيى ما أماته الظالمون من معالم الشريعة و أحكام الدين، و لنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء العظيم:

«اللهم و صل على أوليائهم، المعترفين بمقامهم، المتبعين منهجهم، المقتفين آثارهم المستمسكين بعروتهم، المستمسكين بولايتهم، المؤتمين بإمامتهم، المسلمين لأمرهم، المجتهدين فى طاعتهم، المنتظرين أيامهم، المادين إليهم اعينهم، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات، الغاديات، الرائحات، و سلم عليهم و على أرواحهم، و اجمع على التقوى أمرهم، و أصلح لهم شئونهم، و تب عليهم إنك أنت التواب الرحيم، و خير الغافرين، و اجعلنا معهم فى دار السلام يا أرحم الراحمين ...».

و طلب الإمام عليه السلام من اللّه تعالى أن يصلى و يترحم على شيعة أهل البيت عليهم السلام الذى يمثلون الوعى الفكرى فى الإسلام، و يتبعون منهج الأئمة الطاهرين، و يقتفون آثارهم، و يتمسكون بولايتهم، و يأتمون بامامتهم و يجتهدون فى طاعتهم، و ينتظرون أيامهم، و هؤلاء هم الملتزمون بحرفية الإسلام و شايعوا النبى (ص) فى أقواله و أفعاله، و التى منها اتباع ائمة أهل البيت (ع) و التمسك بهم، و الأخذ بما أثر عنهم فى عالم التشريع، و قد دعا لهم الإمام (ع) بأن يجمع اللّه أمرهم على التقوى، و يصلح شئونهم،

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۰

و يتوب عليهم، و يجعله معهم فى دار الحق و السلام، و لنستمع الى لوحة اخرى من هذا الدعاء:

«اللهم و هذا يوم عرفة، يوم شرفته و كرمته، و عظمته، نشرت فيه رحمتك، و مننت فيه بعفوك، و اجزلت فيه عطيتك، و تفضلت فيه على عبادك، اللهم و أنا عبدك الذى انعمت عليه قبل خلقك له، و بعد خلقك إياه، فجعلته ممن هديته لدينك، و وفقته لحقك، و عصمته بحبلك، و أدخلته فى حزبك، و أرشدته لموالاة أوليائك، و معاداة اعدائك، ثم أمرته فلم يأتمر، و زجرته فلم ينزجر، و نهيته عن معصيتك فخالف أمرك إلى نهيك لا معاندة لك، و لا استكبارا عليك بل دعاه هواه إلى ما زيلته «۱» و إلى ما حذرته، و أعانه على ذلك عدوك و عدوه «۲» فأقدم عليه «۳» عارفا بوعيدك، راجيا لعفوك، واثقا بتجاوزك، و كان أحق عبادك مع ما مننت عليه

ألا يفعل، و ها أنا ذا بين يديك صاغرا، ذليلا خاضعا خاشعا، خائفا، معترفا بعظيم من الذنوب تحملته، و جليل من الخطايا اجترمته «۴» مستجيرا بصفحك، لائذا برحمتك، موقنا أنه لا يجيرنى منك مجير، و لا يمنعنى منك مانع، فعد على بما تعود به على من اقترف من تعمدك، وجد على بما تجود به على من القى بيده إليك من عفوك، و امنن على بما لا يتعاظمك ان تمنّ به على من أملك من غفرانك «۵» و اجعل لى فى هذا اليوم نصيبا أنال به حظا من رضوانك، و لا تردنى صفرا «۶» مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك، و انى و إن لم اقدم ما قدموه من الصالحات، فقد قدمت توحيدك و نفى الأضداد و الأنداد و الأشباه عنك، و اتيتك من الأبواب التى أمرت أن تؤتى منها «۷» و تقربت إليك بما لا

---

(۱) زيلته: ابعدته.

(۲) العدو: المراد به إبليس الذى هو عدو اللّه و عدو الإنسان.

(۳) الضمير برجع الى المنهى عنه و المعصية.

(۴) اجترمته: أى اقترفته.

(۵) غفرانك: أى من مغفرتك، و ليست هى عظيمة عند الله.

(۶) صفرا: أى خاليا.

(۷) الأبواب التى أمر تعالى أن يؤتى هى أبواب الأئمة الطاهرين.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۱

يقرب أحد منك إلا بالتقرب به «۱» ثم اتبعت ذلك بالإنابة إليك، و التذلل و الاستكانة «۲» لك و حسن الظن بك، و الثقة بما عندك، و شفعته برجائك الذى قل ما يخيب عليه راجيك، و سألتك مسألة الحقير الذليل، البائس الفقير، الخائف المستجير، و مع ذلك خيفة و تضرعا و تعوذا «۳» و تلوذا، لا مستطيلا بتكبر المتكبرين، و لا متعاليا بدالة المطيعين، و لا مستطيلا بشفاعة الشافعين، و أنا بعد أقل الأقلين، و أذل الأذلين، و مثل الذرة أو دونها ...».

و اعرب الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من دعائه عن تعظيمه و تقديسه ليوم عرفة الذى هو من أجل أيام اللّه، فقد نشر فيه تعالى رحمته، و تفضل على حجاج بيته الحرام بالعفو و الغفران، كما ابدى عليه السلام تذلّله و عبوديته المطلقة للّه معترفا بتقصيره، واثقا بلطفه، راجيا منه العفو، مقدما له الاعتراف بتوحيده و نفى الأضداد، و الأنداد عنه، سالكا من الأبواب التى أمر تعالى أن يؤتى منها و هى أبواب الأئمة الطاهرين، و فى هذا درس للمقصرين، و المبتعدين عن اللّه تعالى أن ينهجوا هذا المنهج لينقذوا انفسهم، من عذاب اللّه فى الدار الآخرة، و لنعد إلى الاستماع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف:

«فيا من لم يعاجل المسيئين، و لا ينده «۴» المترفين، و يا من يمن باقالة العاثرين، و يتفضل بانظار الخاطئين، أنا الذى اقدم عليك مجترئا، أنا الذى عصاك متعمدا، أنا الذى استخفى من عبادك و بارزك، أنا الذى هاب عبادك، و امنك، أنا الذى لم يرهب سطوتك، و لم يخف بأسك، أنا الجانى على نفسه، أنا المرتهن ببليته، أنا القليل الحياء أنا الطويل العناء، بحق من انتجبت من خلقك، و بمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك، و من اجتبيت لشأنك «۵» بحق من وصلت طاعته بطاعتك، و من

---

(۱) المراد أن اللّه تعالى لا يقبل التقرب إليه إلا من طريق الأئمة عليهم السلام.

(۲) الاستكانة: التضرع.

(۳) التعوذ: الاستجارة.

(۴) يندە: أى يمنع.

(۵) لشأنک: أی لدینک.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۲۵۲

جعلت معصیته کمعصیتک، بحق من قرنت موالاته بموالاتک، و من نطت «۱» معاداته بمعاداتک، تغمدنی فی یومی هذا بما تتغمد به من جاء إلیک متنصلا «۲» و عاذ باستغفارک تائبا، و تولنی بما تتولی به أهل طاعتک، و الزلفی لدیک، و المکانة منک و توحدنی بما تتوحد به من وفی بعهدک، و اتعب نفسه فی ذاتک، و أجهدها فی مرضاتک، و لا تؤاخذنی بتفریطی فی جنبک و تعدی طوری فی حدودک، و مجاوزة احکامک، و لا تستدرجنی باملائک لی استدراج من منعنی خیر ما عنده، و لم یشرکک فی حلول نعمته بی، و نبهنی من رقدة الغافلین، و سنة المسرفین، و نعسة المخذولین «۳» و خذ بقلبی إلی ما استعملت به القانتین «۴» و استبعدت به المتعبدین، و استنقذت به المتهاونین، و اعذنی مما یباعدنی عنک و یحول بینی و بین حظی منک، و یصدنی عما أحاول لدیک، و سهل لی مسلک الخیرات إلیک، و المسابقة إلیها من حیث أمرت، و المشاحة فیها علی ما أردت، و لا تمحقنی فیمن تمحق من المستخفین بما أوعدت، و لا تهلکنی مع من تهلک من المتعرضین لمقتک، و لا تتبرنی «۵» فیمن تتبر من المنحرفین عن سبیلک، و نجنی من غمرات الفتنة «۶» و خلصنی من لهوات البلوی و اجرنی من أخذ الاملاء «۷».

و تحدث الإمام علیه السلام فی هذه الفقرات عن ألطاف الله تعالی علی عباده، و التی منها انه لا یعجل بالعقوبة و الانتقام من المسیئین و العصاة، و إنما یمهلهم لعلهم یثوبون، و یرجعون إلی طریق الحق و الصواب، کما

---

(۱) نطت: أی علقت.

(۲) متنصلا: أی متبرئا.

(۳) المخذولون: و هم الذین ترکهم اللّه تعالی و شأنهم لیفعلوا ما یشاءون لیحاسبهم علی ما اقترفوا فی الدار الآخرة.

(۴) القانتین: و هم الخاضعون لأوامره تعالی.

(۵) تتبرنی: أی تهلکنی.

(۶) غمرات الفتنة: و هی شدة الفتن التی تحیط بالإنسان.

(۷) أخذ الاملاء: و هی کتابة المعاصی و الموبقات التی یقترفها الإنسان و التی یحاسب علیها بعد انتهاء أجله.

حیاة الإمام زین العابدین(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۲۵۳

أعرب علیه السلام عن تذلّله و تصاغره و نکران ذاته أمام الخالق العظیم طالبا منه، و متوسلا إلیه أن یمنحه العفو و الرضوان، و ینبهه من رقدة الغافلین، و سنة المسرفین و یسلک به مسلک الأخیار و الصالحین، و لنستمع إلی قطعة أخری من هذا الدعاء الشریف:

«و حل بینی و بین عدو یضلنی، و هوی یوبقنی «۱» و منقصة ترهقنی، و لا تعرض عنی اعراض من لا ترضی عنه، بعد غضبک، و لا تؤیسنی من الأمل فیک، فیغلب علی القنوط من رحمتک، و لا تمنحنی بما لا طاقة لی به فتبهظنی مما تحملنیه من فضل محبتک، و لا ترسلنی من یدک إرسال من لا خیر فیه، و لا حاجة بک إلیه، و لا إنابة له، و لا ترم بی رمی من سقط من عین رعایتک، و من اشتمل علیه الخزی من عندک، بل خذ بیدی من سقطة المترددین، و وهلة المتعسفین، و زلة المغرورین، و ورطة الهالکین، و عافنی مما ابتلیت به طبقات عبیدک، و إمائک، و بلغنی مبالغ من عنیت به، و أنعمت علیه، و رضیت عنه فأعشته حمیدا، و توفیته سعیدا، و طوقنی طوق الإقلاع عما یحبط الحسنات، و یذهب بالبرکات، و أشعر قلبی الازدجاد عن قبائح السیئات، و فواضح الحوبات «۲» و لا تشغلنی بما لا أدرکه إلا بک عما لا یرضیک عنی غیره، و انزع من قلبی حب دنیا دنیة تنهی عما عندک، و تصد عن ابتغاء الوسیلة إلیک، و تذهل عن التقرب منک، و زین لی التفرد بمناجاتک باللیل و النهار، و هب لی عصمة تدنینی من خشیتک، و تقطعنی عن رکوب محارمک، و تفکنی من أسر العظائم «۳» و هب لی التطهر من دنس العصیان، و اذهب عنی درن «۴» الخطایا، و سربلنی بسربال

عافيتك «۵» و ردنى رداء معافاتك، و جللنى سوابغ نعمائك، و ظاهر «۶» لدى فضلك و طولك «۷»

---

(۱) يوبقنى: أى يهلكنى.

(۲) الحوبات: جمع حوبة و هى المعصية.

(۳) العظائم: و هى الذنوب التى يكون الإنسان أسيرا أمامها عند الله.

(۴) الدرن: القذارة، فان الخطايا التى يقترفها الإنسان توجب قذارة النفس.

(۵) السربال: القميص، و قد شبه به العافية فإنها تحيط ببدن الإنسان كله كالقميص.

(۶) و ظاهر: أى تابع على.

(۷) الطول: النعمة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۴

و ايدنى بتوفيقك و تسديدك، و أعنى على صالح النية، و مرضى القول، و مستحسن العمل، و لا تكلنى إلى حولى و قوتى دون حولك و قوتك، و لا تخزنى يوم تبعثنى للقائك، و لا تفضحنى بين يدى أوليائك، و لا تنسنى ذكرك، و لا تذهب عنى شكرك، بل الزمنيه فى أحوال السهو عند غفلات الجاهلين لآلائك «۱» و أوزعنى أن أثنى بما أوليتنيه و أعترف بما أسديته إلى، و اجعل رغبتى إليك فوق رغبة الراغبين، و حمدى إياك فوق حمد الحامدين، و لا تخذلنى عند فاقتى إليك، و لا تهلكنى بما أسديته إليك ...».

أ رأيتم هذا الاتجاه إلى الله تعالى، و الإخلاص فى طاعته؟ أ رأيتم كيف يسأل الإمام عليه السلام ربه بتذلل و خضوع و تملق، فقد سأل منه أن يكفيه شر الشيطان الرجيم العدو الأول للإنسان، و طلب منه أن يصرفه عن كل هوى يميل به إلى غير الحق، و أن يشمله برعايته و عنايته، و أن يأخذ بيده من سقطة المتردين، و وهلة المتعسفين و زلة المغرورين، و أن يجعل له الصوارف النفسية عن كل ذنب و خطيئة و عن حب الدنيا التى هى رأس كل خطيئة، و أن يزين له طاعته و عبادته حتى يحظى بطاعته و عبادته، و التقرب إليه ... هذه بعض المطالب التى سألها الإمام من ربه، و لنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف:

«و لا تجبهنى بما جبهت به المعاندين لك، فإنى لك مسلم، أعلم أن الحجة لك و انك أولى بالفضل، و أعود بالإحسان، و أهل التقوى «۲» و أهل المغفرة، و انك بأن تعفو أولى منك بأن تعاقب، و انك بأن تستر أقرب منك إلى أن تشهر، فأحينى حياة طيبة تنتظم بما أريد، و تبلغ ما أحب من حيث لا آتى ما تكره، و لا أرتكب ما نهيت عنه، و أمتنى ميتة من يسعى نوره بين يديه، و عن يمينه، و ذللنى بين يديك، و أعزنى عند خلقك، وضعنى إذا خلوت بك «۳»، و ارفعنى بين عبادك، و أغننى عمن هو غنى عنى، و زدنى

---

(۱) الآلاء: جمع مفرده إلى، و هى النعم.

(۲) أهل التقوى: يعنى أنت أهل لأن يتقى و يخاف منك.

(۳) وضعنى إذا خلوت بك: أى اجعلنى وضيعا ذليلا إذا خلوت بين يديك.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۵

إليك فاقة «۱» و فقرا، و أعذنى من شماتة الأعداء و من حلول البلاء، و من الذل و العناء، تغمدنى فيما اطلعت عليه منى بما يتغمد به القادر على البطش لو لا حلمه، و الآخذ على الجريرة لو لا أناته، و إذا أردت بقوم فتنة أو سوء فنجنى منها لواذا بك «۲» و إذا لم تقمنى مقام فضيحة فى دنياك، فلا تقمنى مثله فى آخرتك، و اشفع لى أوائل مننك بأواخرها «۳» و قديم فوائدك بحوادثها، و لا تمدد لى مدا يقسو معه قلبى «۴» و لا تقرعنى قارعة «۵» يذهب لها بهائى، و لا تسمنى خسيسة يصغر لها قدرى و لا نقيصة يجهل من

أجلها مكانى و لا ترعنى روعة أبلس «۶» بها و لا خيفة أوجس دونها.

اجعل هيبتى فى وعيدك، و حذرى «۷» من إعذارك و إنذارك، و رهبتى عند تلاوة آياتك، و اعمر ليلى بإيقاظى فيه لعبادتك و تفردى بالتهجد لك، و تجردى بسكونى إليك، و إنزال حوائجى بك، و منازلتى إياك فى فكاك رقبتى من نارك، و إجارتى مما فيه أهلها من عذابك، و لا تذرنى فى طغيانى عامها «۸» و لاـ فى غمرتى ساهيا حتى حين «۹» و لا تجعلنى عظة لمن اتعظ، و لا نكالا لمن اعتبر، و لا فتنة لمن نظر، و لا تمكر بى فيمن تمكر به، و لا تستبدل بى غيرى، و لا تغير لى اسما «۱۰» و لا تبدل لى جسما «۱۱» و لا تتخذنى هزوا لخلقك و لا سخريا لك «۱۲» و لا تبعا إلا لمرضاتك، و لا ممتهنا إلا بالانتقام لك ..».

---

(۱) الفاقة: شدة الفقر و الحاجة.

(۲) لواذا بك: أى ملتجئا إليك.

(۳) و اشفع لى أوائل مننك بأواخرها: أى اجعل نعمك متصلة بعضها ببعض على.

(۴) و لا تمد لى مدا يقسو معه قلبى: أى لا تمدنى بالنعم التى تؤدى إلى قساوة القلب.

(۵) القارعة: هى المصيبة الشديدة.

(۶) أبلس: أى أيأس.

(۷) حذرى: أى خوفى.

(۸) العمة: أشد العمى.

(۹) حتى حين: أى حتى حلول المنية.

(۱۰) و لا تغير لى اسما: أى لا تمح اسمى من ديوان السعداء.

(۱۱) و لا تبدل لى جسما: أى لا تحل على عقوبتك حتى يتغير جسمى و يكون كريها.

(۱۲) و لا سخريا لك: أى لا تعاملنى معاملة من تسخر به.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۶

و عرض الإمام عليه السلام مهامه و مطالبه أمام الخالق العظيم طالبا منه إنجازها، و أن لا يجبهه بردها، فقد سأله أن يحييه حياة طيبة كريمة، يتحقق فيها ما يأمله و يريده و أن لا يرتكب معصية أو يقترف إثما، و أن يميته ميتة الصالحين الذين يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم، كما سأله انه إذا وقف فى مناجاته و عبادته أن يكون ذليلا، لا يجد لنفسه أمامه أى كيان، و طلب منه أن يعزه عند خلقه، و يرفع شأنه بين عباده، و أن يغنيه عنهم، و أن يعيذه من شماتة الاعداء التى هى من أعظم النكبات على الإنسان، و أن ينجيه من حلول البلاء و الذل و العناء، و أن لا ينزل به فتنة أو سوءا أو عذابا إذا أراد أن يصبه على العصاة من عباده، إلى غير ذلك من مهام الأمور التى طلبها الإمام من الله تعالى، و لنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء الجليل:

«و أوجدنى برد عفوك، و حلاوة رحمتك، و روحك «۱» و ريحانك، و جنة نعيمك، و أذقنى طعم الفراغ «۲» لما تحب بسعة من سعتك، و الاجتهاد فيما يزلف لديك و عندك، و أتحفنى بتحفة من تحفاتك، و اجعل تجارتى «۳» رابحة و كرتى غير خاسرة، و اخفنى مقامك، و شوقنى لقاءك، و تب على توبة نصوحا لا تبقى معها ذنوبا صغيرة، و لا كبيرة، و لا تذر «۴» معها علانية و لا سريرة و انزع الغل «۵» من صدرى للمؤمنين، و اعطف بقلبى على الخاشعين، و كن لى كما تكون للصالحين، و حلنى حلية المتقين، و اجعل لى لسان صدق فى الغابرين «۶» و ذكرا ناميا فى الآخرين، و واف بى عرصة «۷» الأولين، و تمم سبوغ نعمتك على، و ظاهر كراماتها لدى، املأ من فوائدك يدى، و سق كرائم مواهبك إلى، و جاور بى الأطيبين من أوليائك فى الجنان التى زينتها

---

(۱) روحک: الروح الهواء الطيب.

(۲) طعم الفراغ: أى أكون فارغا لأعمل ما تحبه و تريده.

(۳) تجارتى: المراد بها التجارة لدار الآخرة التى لا تبور.

(۴) لا تذر: أى لا تبق.

(۵) الغل: الحقد.

(۶) الغابرين: أى الباقين من بعدى.

(۷) عرصة الأولين: أى ساحتهم و هو كناية عن الالتحاق بهم.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۷

لأصفيائك، و جللنى شرائف نحلك «۱» فى المقامات المعدة لأحبائك، و اجعل لى عندك مقيلا آوى إليه مطمئنا، و مثابة أتبوؤها «۲» و أقر عينا و لا تقايسنى «۳» بعظيمات الجرائر «۴» و لا تهلكنى يوم تبلى «۵» السرائر و أزل عنى كل شک و شبهة، و اجعل لى فى الحق طريقا من كل رحمة، و اجزل لى قسم المواهب «۶» من نوالک «۷» و وفر على حظوظ الإحسان من أفضالک، و اجعل قلبى واثقا بما عندک، و همى مستفرغا «۸» لما هو لک، و استعملنى بما تستعمل به خالصتک، و اشرب قلبى عند ذهول العقول طاعتک «۹» و اجمع لى الغنى و العفاف، و الدعة «۱۰» و المعافاة، و الصحة و السعة، و الطمأنينة، و العافية، و لا تحبط حسناتى بما يشوبها من معصيتک، و لا خلواتى بما يعرض لى من نزغات فتنتک، و صن وجهى عن الطلب إلى أحد من العالمين، و ذبنى «۱۱» عن التماس ما عند الفاسقين، و لا تجعلنى للظالمين ظهيرا، و لا لهم على محو كتابک يدا و نصيرا، و حطنى «۱۲» من حيث لا أعلم حياطة تقينى بها، و افتح لى أبواب توبتک، و رحمتک و رأفتک، و رزقک الواسع، إنى إليک من الراغبين، و أتمم إلى أنعامک، إنک خير المنعمين، و اجعل باقى عمرى فى الحج و العمرة ابتغاء وجهک يا رب العالمين، و صلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين، و السلام عليه و عليهم أبد الآبدين ..» «۱۳».

---

(۱) نحلک: أى عطاياک.

(۲) أتبوؤها: أى أتخذها محلا و مقرا.

(۳) لا تقايسنى: أى لا تؤاخذنى.

(۴) الجرائر: هى الجرائم.

(۵) تبلى السرائر: أى تظهر فى السرائر، و هى ما أسره الإنسان من الحسنات و السيئات.

(۶) قسم المواهب: أى الهبات التى تقسمها من عطائک.

(۷) نوالک: أى هباتک.

(۸) وهمى مستفرغا: أى فارغا.

(۹) عند ذهول العقول: أى عند غفلتها.

(۱۰) الدعة: السعة فى العيش.

(۱۱) ذنبى: من الذب بمعنى الدفع.

(۱۲) حطنى: من حاطه إذا حفظه.

(۱۳) الصحيفة السجادية الدعاء السادس و الأربعون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۸

و بهذا ينتهى هذا الدعاء الشريف الذى هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام، و قد حفل بأسمى دروس الحكمة و العرفان و الإنابة إلى الله بالإضافة إلى أنه فى منتهى الروعة من حيث البلاغة و الفصاحة و جمال الأسلوب.

يوم عيد الأضحى:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهال إلى الله و التضرع إليه طالبا منه أن يتفضل عليه بقبول مناسكه، و سائر طاعاته و عباداته، و أن يمنحه المغفرة و الرضوان، و كان يدعو الله تعالى بهذا الدعاء الجليل و هذا نصه:

«اللهم هذا يوم مبارك ميمون، و المسلمون فيه مجتمعون فى أقطار أرضك، يشهد السائل منهم و الطالب و الراغب و الراهب «۱» و أنت الناظر فى حوائجهم، فأسألك بجودك و كرمك، و هوان ما سألتك عليك أن تصلى على محمد و آله، و أسألك اللهم ربنا بأن لك الملك، و لك الحمد، لا إله إلا أنت الحليم الكريم، الحنان، المنان، ذو الجلال و الإكرام، بديع السموات و الأرض، مهما قسمت بين عبادك المؤمنين، من خير أو عافية أو بركة أو هدى أو عمل بطاعتك أو خير تمن به عليهم تهديهم به إليك، أو ترفع لهم عندك درجة أو تعطيهم به خيرا من خير الدنيا و الآخرة، أن توفر حظى و نصيبى منه.

أسألك اللهم بأن لك الملك و الحمد، لا إله إلا أنت أن تصلى على محمد و آل محمد عبدك و رسولك، و حبيبك و صفوتك و خيرتك من خلقك، و على آل محمد الأبرار الطاهرين الأخيار صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت، و أن تشركنا فى صالح من دعاك فى هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا رب العالمين، و أن تغفر لنا و لهم إنك على كل شىء قدير، اللهم إليك

---

(۱) الراهب: الخائف.

تعمدت بحاجتى، و بك أنزلت اليوم فقرى و فاقتى و مسكنتى «۱» و إنى بمغفرتك و رحمتك أوثق منى بعملى، و لمغفرتك و رحمتك أوسع من ذنوبى، فصل على محمد و آل محمد، و تول قضاء كل حاجة هى لى بقدرتك عليها، و تيسير ذلك عليك، و بفقرى إليك، و غناك عنى فإنى لم أصب خيرا قط إلا منك، و لم يصرف عنى سوءا قط أحد غيرك و لا أرجو لأمر آخرتى و دنياى سواك.

اللهم من تهيأ و تعبأ، و أعدّ و استعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده و نوافله و طلب نيله و جائزته، فإليك يا مولاى كانت اليوم تهيئتى و تعبئتى و إعدادى و استعدادى رجاء عفوك و رفدك و طلب نيلك و جائزتك، اللهم فصلّ على محمد و آل محمد، و لا تخيب اليوم ذلك من رجائى، يا من لا يحفيه «۲» سائل، و لا ينقصه نائل «۳» فإنى لم آتك ثقة منى بعمل صالح قدمته، و لا شفاعة مخلوق رجوته إلا شفاعة محمد و أهل بيته عليه و عليهم سلامك، أتيتك مقرا بالجرم و الإساءة إلى نفسى أتيتك أرجو عظيم عفوك الذى عفوت به عن الخاطئين، ثم لا يمنعك طول عكوفهم على عظيم الجرم إن عدت عليهم بالرحمة و المغفرة، فيا من رحمته واسعة و عفوه عظيم، يا عظيم، يا عظيم، يا كريم، يا كريم، صلّ على محمد و آل محمد، وعد على برحمتك، و تعطف على بفضلك، و توسع على بمغفرتك ..».

و أشاد الإمام عليه السلام فى مطلع دعائه بعيد الأضحى، و ما له من الأهمية البالغة عند المسلمين، فهم فى أقطار الأرض سواء من حضر موسم الحج أو لم يحضر قد رفعوا إلى الله تعالى حوائجهم و مهامهم طالبين منه قضاءها، و قد سأل الإمام من الله أن يكتب له ما قسمه لعباده فى هذا اليوم المبارك من خير أو عافية أو هداية، و أخذ الإمام بعد ذلك بالتضرع و التذلل أمام الله الذى بيده العطاء و الحرمان أن يتفضل عليه بالمغفرة و الرحمة

---

(۱) المسكنة: شدة الفقر.

(۲) يا من لا يحفيه: أى لا يبلغ آخر ما عنده.

(۳) نائل: أى عطاء.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۰

و الرضوان، و لنستمع بعد هذا إلى مقطع آخر من هذا الدعاء:

«اللهم إن هذا المقام «۱» لخلفائك و أصفيائك، و مواضع أمنائك فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزوها، و أنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، و لا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت، و أنى شئت، و لما أنت أعلم به غير متهم «۲» على خلقك، و لا- لإرادتك، حتى عاد صفوتك و خلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزين، يرون حكمك مبدلا، و كتابك منبوذا، و فرائضك محرفة عن جهات أشراعك، و سنن نبيك متروكة، اللهم العن أعداءهم من الأولين و الآخرين و من رضى بفعالهم و أشياعهم، و أتباعهم، اللهم صلّ على محمد و آل محمد إنك حميد مجيد كصلواتك و بركاتك و تحياتك على أصفيائك إبراهيم و آل إبراهيم و عجل الفرج و الروح و النصرة و التمكين و التأييد لهم ...».

و خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من دعائه الشؤون السياسية الحساسة فى عصره، فقد أدلى بما يلى:

۱- أن مقام صلاة العيد، و غيرها من الشؤون العامة إنما هى لأئمة الهدى الذين هم خلفاء النبى صلى الله عليه و آله و أوصياؤه و هم الذين يسيرون بين الناس بسياسة قوامها العدل الخالص، و الحق المحض.

۲- أن المراكز الحساسة فى الدولة قد ابتزها أئمة الجور و الضلال من ملوك الأمويين الذين لم يألوا جهدا فى محاربة الوعى الإسلامى و إقصاء العقيدة الإسلامية عن واقع الحياة.

۳- أن أئمة الهدى و الحق قد عادوا فى ضلال الحكم الأموى الأسود مقهورين، مغلوبين، قد ابتزت حقوقهم.

۴- أن السياسة الأموية قد عمدت إلى تبديل أحكام الله، و نبذ

---

(۱) إن هذا المقام: أى مقام صلاة العيد.

(۲) غير متهم: أى لا تتهم بانك قد عملت على خلاف الحكمة.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۱

الكتاب، و تحريف الفرائض، و ترك سنة الرسول (ص) ...

و لنعد بعد هذا إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف:

«اللهم و اجعلنى من أهل التوحيد و الإيمان بك، و التصديق برسولك، و الأئمة الذين حتمت طاعتهم، ممن يجرى ذلك «۱» به و على يديه آمين رب العالمين، اللهم ليس يرد غضبك إلا حلمك، و لا يرد سخطك إلا عفوك، و لا يجير من عقابك إلا رحمتك، و لا- ينجنى منك إلا التضرع إليك، و بين يديك، فصلّ على محمد و آل محمد، و هب لنا يا إلهى من لدنك فرجا بالقدرة التى تحيى بها أموات العباد، و بها تنشر ميت البلاد، و لا تهلكنى يا إلهى غما حتى تستجيب لى، و تعرفنى الإجابة فى دعائى، و أذقنى طعم العافية إلى منتهى أجلى، و لا تشمت بى عدوى، و لا تمكنه من عنقى، و لا تسلطه على.

إلهى إن رفعتنى فمن ذا الذى يضعنى؟ و إن وضعتنى فمن ذا الذى يرفعنى، و إن أكرمتنى فمن ذا الذى يهيننى؟ و إن أهنتنى فمن ذا الذى يكرمنى؟ و إن عذبتنى فمن ذا الذى يرحمنى؟ و إن أهلكتنى فمن ذا الذى يعرض لك «۲» فى عبدك أو يسألك عن أمره؟، و قد علمت أنه ليس فى حكمك ظلم، و لا فى نقمتك عجلة، و إنما يعجل من يخاف الفوت، و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، و قد تعاليت يا إلهى عن ذلك علوا كبيرا.

اللهم صل على محمد و آل محمد، و لا تجعلنى للبلاء غرضا، و لا لنقمتك نصبا و مهلنى «۳» و نفسنى «۴» و أقلنى عثرتى، و لا تبتلنى ببلاء على اثر بلاء «۵» فقد ترى ضعفى و قلة حيلتى، و تضرعى إليك، أعوذ بك اللهم اليوم من غضبك، فصلّ على محمد و آله، و أعذنى، و أستجير بك من سخطك،

---

(۱) ذلك: المشار إليه النصر.

(۲) يعرض لك: أى يعترض عليك.

(۳) و مهلنى: أى أعطنى المهلة.

(۴) و نفسنى: أى أزل همى و كربتى.

(۵) و لا تبتلنى ببلاء اثر بلاء: فإن تتابع البلاء مما يوجب انهيار الإنسان و شقاءه.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۲

فصلّ على محمد و آله، و أجرنى، و أسألك أمنا من عذابك، فصلّ على محمد و آله و آمنى، و أستهديك، فصل على محمد و آله، و اهدنى، و أستنصرك فصلّ على محمد و آله، و انصرنى، و استرحمك، فصلّ على محمد و آله، و ارحمنى، و أسترزقك و أستعينك فصلّ على محمد و آله و أعنى، و أستغفرك لما سلف من ذنوبى فصلّ على محمد و آله و اغفر لى، و أستعصمك، فصلّ على محمد و آله، و اعصمنى فإنى لن أعود لشىء كرهته منى إن شئت ذلك، يا رب، يا رب، يا حنان، يا منان، يا ذا الجلال و الإكرام، صلّ على محمد و آله و استجب لى جميع ما سألتك، و طلبت إليك، و رغبت فيه إليك، و أرده «۱» و قدره، و اقضه، و أمضه، و خر لى فيما تقضى منه، و بارك لى فى ذلك و تفضل على به، و أسعدنى بما تعطينى منه، و زدنى من فضلك، وسعة ما عندك، فإنك واسع كريم، و صل ذلك بخير الآخرة، و نعيمها يا أرحم الراحمين ..».

و كان يدعو بعد هذا الدعاء الجليل بما أهمه، ثم يصلى على النبى العظيم (ص) ألف مرة «۲» و انتهى بذلك هذا الدعاء الشريف الحافل بالخضوع و التذلل أمام الخالق العظيم، و الطلب منه بخير الدنيا و الآخرة، فقد سأل منه الإيمان به، و التصديق برسوله و بالأئمة العظام أوصياء النبى (ص) و خلفائه على أمته، و مما لا شبهة فيه أن الإمام عليه السلام كان فى أعلى مراتب الإيمان بالله، و التصديق برسوله (ص) و معرفة أوصيائه فهو أحدهم، و إنما كان يدعو بذلك لإرشاد الأمة لاتباع المنهج السليم فى حياتها العقائدية.

---

(۱) وارده: أى أعطنى طلبى و رغبتى.

(۲) الصحيفة السجادية: الدعاء السابع و الأربعون.

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۳

الفهرس

الإهداء ۵

تقديم ۷

السيدة شاه زنان ۱۹

الوليد العظيم ۳۳

نشأته و سلوكه ۴۵

عناصره النفسية ۷۳

إمامته ۱۰۳

انطباعات عن شخصيته ۱۲۳

مع رزايا كربلاء ۱۵۱

عباداته ۱۸۷

حياة الإمام زين العابدين(ع)، القرشي ،ج۲،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹